



الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

التنافس العثماني - الفارسي على العراق (١٧٤٧-١٨٤٨)

مشروع بحث أعد لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

سماح احمد محرز

إشراف:

أ.د. عبد المنعم الأحمد

الدكتور المشرف المشارك

أ. د.م. وضاح نوفل

العام الدراسي

٢٠٢١/١٤٤٢

المحتويات

المحتويات	أ
ملخص الدراسة	د
المقدمة	١
التمهيد - لمحة عن العلاقات العثمانية- الفارسية على العراق قبل عام ١٧٤٧	٨
أولاً-الجغرافية السياسية للدولة العثمانية:.....	١٠
ثانياً-الجغرافية السياسية للدولة الفارسية:.....	١١
ثالثاً-التنافس العثماني- الفارسي على العراق قبل عام ١٧٤٧:	١٣
١- قيام الدولة العثمانية وموقفها من التوسع الفارسي حتى معركة جالديران ١٥١٤:.....	١٤
٢- نهوض الدولة الفارسية واتساعها:.....	١٨
٣- النزاع العثماني -الفارسي حتى مصرع نادر شاه ١٧٤٧ وتأثيره على العراق:	٢٢
الفصل الأول- بدايات التوتر العثماني الفارسي وانعكاسه على العراق (١٧٧٥-١٧٤٧) ...	٣٣
أولاً- العلاقات العثمانية -الفارسية وأثرها على العراق (١٧٤٧-١٧٥٠):.....	٣٥
١- تغير الخريطة السياسية لبلاد فارس عقب اغتيال نادر شاه (١٧٤٧-١٧٥٠):.....	٣٥
٢- موقف الدولة العثمانية من الاضطرابات في بلاد فارس عقب اغتيال نادر شاه:.....	٤٠
٣- الأوضاع السياسية في العراق عقب اغتيال نادر شاه (١٧٤٧-١٧٥٠):.....	٤٢
ثانياً-العوامل المباشرة لمهاجمة إمارة كعب من قبل القوات العثمانية -الفارسية -	
الإنكليزية (١٧٥٧-١٧٦٦):.....	٤٨
ثالثاً- التحديات التي واجهت العلاقات العثمانية - الفارسية وأثرها على العراق:.....	٥٩
رابعاً- أسباب الهجوم الفارسي على العراق ١٧٧٥:.....	٦٤
خامساً - مقدمات الهجوم الفارسي على العراق بشكل عام والبصرة بشكل خاص وموقف	
الدولة العثمانية منه:	٦٨
الفصل الثاني-التنافس العثماني الفارسي وأثره على الأوضاع الداخلية في العراق (١٧٧٦-١٨١٨)	
.....	٧٤

- أولاً- الاحتلال الفارسي للبصرة وانعكاساته على العلاقات العثمانية- الفارسية (١٧٧٦ - ١٧٧٩): ٧٦
- ثانياً- الأوضاع السياسية في الدولة العثمانية والدولة الفارسية (١٧٧٩ - ١٨١٨): ٨٤
- ١- الأوضاع السياسية في الدولة العثمانية (١٧٧٩ - ١٨١٨): ٨٤
- ٢- الأوضاع السياسية في الدولة الفارسية (١٧٧٩ - ١٨١٨): ٩٥
- ثالثاً- الخلافات السياسية بين الدولتين العثمانية - الفارسية على كردستان العراق: ١٠٤
- الفصل الثالث- التقارب العثماني الفارسي وأثره على العراق (١٨١٩ - ١٨٣١) ١١٧
- أولاً - انفراج العلاقات بين الدولتين العثمانية والفارسية بعقد معاهدة أرضروم الأولى ١٨٢٣: ١١٩
- ١- الأسباب التي أدت إلى عقد معاهدة أرضروم الأولى بين الدولتين العثمانية والفارسية: ١١٩
- ٢- أهم النتائج التي أسفرت عن عقد معاهدة أرضروم الأولى ١٨٢٣ وأثرها على العلاقات بين الدولتين وعلى العراق ١٣٠
- ثانياً- التدخل الأوروبي في الواقع العثماني - الفارسي وتداعياته على العراق (١٨١٩ - ١٨٣١): ١٣١
- ثالثاً- سقوط حكم المماليك في بغداد وأثرها على العلاقات العثمانية الفارسية: ١٣٨
- رابعاً- عودة الحكم العثماني المباشر للعراق والتدخلات الأوروبية في المنطقة: ١٥١
- الفصل الرابع- مستجدات العلاقات العثمانية - الفارسية وتسوية الحدود بينهما (١٨٣٢ - ١٨٤٨) ١٥٥
- أولاً- توتر العلاقات العثمانية الفارسية وأثرها على العراق (١٨٣٧ - ١٨٤٢): ١٥٧
- ثانياً- أزمة كربلاء التي عدت عقبة أمام التسويات السلمية بين الدولتين العثمانية - الفارسية ١٨٤٣: ١٦٣
- ١- أسباب أزمة كربلاء: ١٦٣
- ٢- مجريات الأزمة: ١٦٨
- ٣- أبرز المواقف الإقليمية والدولية من أزمة كربلاء وأثرها على العلاقات العثمانية - الفارسية: ١٧٠
- أ- موقف الدولة العثمانية: ١٧٠
- ب- موقف الدولة الفارسية: ١٧١

ج - موقف إنكلترا:	١٧٢
د - موقف روسيا:	١٧٣
٤ - نتائج أزمة كربلاء وأبعادها في مسيرة التنافس العثماني - الفارسي:	١٧٥
ثالثاً - الأسباب التي أدت إلى عقد معاهدة أرضروم الثانية بين الدولتين العثمانية -	
الفارسية (١٨٤٣-١٨٤٨):	١٧٧
رابعاً - النتائج التي تمخّضت عن معاهدة أرضروم الثانية (١٨٤٣-١٨٤٨) وأثرها على العراق:	١٨٨
الخاتمة	١٩٣
الملاحق	١٩٨
قائمة المصادر والمراجع المستعملة	٢٢١
Abstract	٢٤٠

ملخص الدراسة

تتناول هذه الدراسة التنافس العثماني - الفارسي على العراق ١٧٤٧ - ١٨٤٨ في ضوء المصالح الاستراتيجية لكل منهما، وأثر هذا التنافس على العلاقات بين الطرفين، من خلال تتبع سلسلة من المحطات التاريخية التي تبرز هذا التنافس بأشكال مختلفة، فقد أضحت العراق ساحة للصراع وقعت على أرضه حروبٌ عديدةٌ من أجل السيطرة عليه، واستثمار خيراتهِ لصالح الدول المتنازعة، كما تخللته حالة من الهدوء النسبي والاستقرار من خلال عقد اتفاقيات ومعاهدات عدة، أسهمت نوعاً ما في تنظيم العلاقات بين الدولتين إلا أن العراق تحمل تبعات هذا التنافس، وحمل إرث هذا النزاع لسعي كل من الدولتين إلى تحقيق مكاسب على حساب الدولة الأخرى، فاقتطعوا جزءاً من أراضيه ومياهه.

شعرت الدول الأوروبية أن التنافس العثماني - الفارسي على العراق بات تهديداً حقيقياً؛ لأن الطموحات المتزايدة لممارسة دور الإقليمية في المنطقة لكل من الدولتين شكل خطراً حقيقياً على مصالحهم الاستراتيجية؛ لكونه يمثل الطريق إلى الهند، والمنفذ المهم للوصول إلى الخليج العربي في ظل الجهود التي بذلتها الدول الأوروبية المتنافسة من أجل السيطرة عليه، فاندفعت كل دولة إلى ضرب مصالح الدولة الأخرى في العراق.

في الوقت نفسه كان الضعف يسري في جسد كل من الدولتين العثمانية والفارسية، فاستطاعت الدول الأوروبية ممارسة الضغوط على الدولتين العثمانية والفارسية، حيث ألزمتهم بعقد معاهدة أرضروم الثانية ١٨٤٧ التي صودق عليها بعد تبادل النسخ بين الطرفين عام ١٨٤٨ لمنع قيام الحرب بينهما ورسم الحدود بين الدولتين.



المقدمة

تميز العراق بأهمية اقتصادية، وسياسية وجغرافية، حيث يقع على رأس الخليج العربي كما يمثل حلقة اتصال بين أوروبا ومنطقة المحيط الهندي وكانت الأهمية التي امتاز بها سبباً في استقطاب عدد من القوى الإقليمية، والدولية؛ للسيطرة عليه وتنفيذ استراتيجيتها الإقليمية والدولية، ولا نجانب الحقيقة إذا قلنا انتاب العراق الغموض في العهد العثماني، ولم ينل حظه من الدراسات التاريخية المتخصصة؛ ويرجع ذلك إلى ندرة وثائقها، وتعدد لغاتها، وصعوبة الوصول إليها.

أهمية الدراسة:

وبالتالي، فإن موضوع التنافس العثماني - الفارسي على العراق (١٧٤٧-١٨٤٨) مهم تاريخياً لما له من تطورات خطيرة أثرت على ولاية العراق العثمانية؛ لكونها ساحة من ساحات التنافس والصراع (العثماني-الفارسي) في مستويات الحياة كافة، بحيث وقفت العراق على أعتاب مرحلة تاريخية جديدة؛ وتُعزى هذه العلاقات والصدامات إلى أسباب عدة، منها: استراتيجية كل من الدولتين؛ لكونها تمثل إيديولوجيا تختلف عن الأخرى من ناحية، والسباق والتنافس ليصبح لكل منهما نفوذ في منطقة الخليج العربي بشكل عام وولاية العراق بشكل خاص، والسعي إلى التحكم بالطرق التجارية، وأسواقها العالمية من ناحية أخرى.

إلا أن تلك العلاقات اختلفت بين فترة وأخرى، ولاسيما بعد عقد معاهدة أرضروم الأولى ١٨٢٣ حيث بدأت التوجهات بين الدولتين لحل الخلافات بشكل دبلوماسي وسلمي؛ ويرجع ذلك إلى بدايات انحدار قوة الدولتين العثمانية والفارسية وتراجعها؛ بسبب الضغوط الدولية والثورات التي أدت إلى تغيير موازين القوى الدولية التي فرضتها كل من روسيا، إنكلترا وفرنسا في فترة الدراسة على كلا الدولتين.

أهداف الدراسة:

إن الغاية من هذا الموضوع هو تتبع مسار التنافس (العثماني-الفارسي) على العراق حيث سيسلط الضوء على حقبة مهمة عقدت فيها الدولتان العثمانية والفارسية معاهدات حول العراق تخلل ذلك حدوث نزاعات حدودية، ومطالبات فارسية في ضم العراق إلى بلاد فارس، فحملت منطقة العراق هذا النزاع.

حدود الدراسة

ومن هذا المنطلق، فإن هذه الدراسة بدأت من عام ١٧٤٧ حيث الاضطرابات التي استهلت عقب وفاة الشاه الفارسي نادر شاه ونهاية المدة ١٨٤٨ حيث تم توقيع معاهدة أرضروم الثانية بين الدولتين وما آثراها على العراق ١٨٤٨.

إشكالية الدراسة:

احتل التنافس العثماني - الفارسي مساحة كبيرة من الجدل؛ لاحتوائه على متغيرات أثرت على العراق في كافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية كافة؛ لكونه شكل موقعاً استراتيجياً مهماً؛ إلا أن العلاقات ظلت قائمة بين الطرفين على الرغم من الظروف الموجودة، وهذا ما يثير تساؤلات عدة، منها:

- ١- كيف بدأت مسيرة العلاقات بين الدولتين العثمانية والفارسية؟
- ٢- ما طبيعة التنافس والصراع بينهما؟ وهل كانت بكامل فتراتها علاقات حرب؟ أم أن هناك فترات سلم، ولاسيما أن هناك دولاً أوروبية لها مصالح تجارية في المنطقة حاولت فرض وجودها في المنطقة العربية بشكل عام والعراق بشكل خاص؟
- ٣- ما الأساليب التي اتبعتها كل من الدولتين العثمانية والفارسية لتكريس نفوذهما في العراق؟

- ٤- ما تداعيات التنافس العثماني الفارسي على العراق؟
 - ٥- ما الانعكاسات التي نتجت عن المعاهدات التي وقعتها كل من الدولتين العثمانية والفارسية على العراق (خصوصاً معاهدة أرضروم الأولى ١٨٢٣ ومعاهدة أرضروم الثانية عام ١٨٤٧ التي صودق عليها ١٨٤٨)؟
 - ٦- ما موقف أبناء القبائل العراقية من الدولتين العثمانية والفارسية؟
- وللإجابة عن تلك التساؤلات سيتم استعراض التطورات التاريخية والسياسية في مرحلة الدراسة؛ للوصول إلى النتائج المبتغاة من الدراسة.

منهجية الدراسة:

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي لهذه الأحداث القائم على الجمع بين الوصف والتحليل بموضوعية والخروج بنتائج بعد مقارنة الأحداث مع بعضها بعضاً.

صعوبات الدراسة

واجهت الباحثة صعوبات كبيرة في أثناء عملها تمثلت؛ بقلّة المصادر والبحوث المتعلقة في الجانب الخاص بالعراق فترة العهد العثماني بحيث لم يكن هناك تطرق كبير إلى التنافس العثماني الفارسي في العراق؛ لذا دعت الحاجة إلى تعدد المصادر وتنوعها في وقت ابتعد الباحثون عن دراسة تلك الفترة، واكتفوا بدراسته من النواحي الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، أو تاريخ المدينة بشكل عام؛ فضلاً عن صعوبة الوصول إلى المكتبات في العراق وتركيا؛ بسبب الأوضاع الأمنية والصحية والظروف الصعبة التي عاشتها الباحثة في أثناء تأدية واجبها الأكاديمي.

تقسيمات الدراسة:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة تقسيمها إلى: مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وملاحق، وقائمة بأسماء المصادر والمراجع المستعملة .

أما المقدمة فقد تضمنت أهمية الدراسة، وأسباب اختيار البحث، وإشكاليته مع تقديم لفصول الدراسة، ثم أنهيتها بالتعرف إلى أهم المصادر والمراجع التي استعملتها فيها.

وتحدث التمهيد عن لمحة عن العلاقات العثمانية - الفارسية على العراق قبل عام ١٧٤٧ حيث بحث القسم الأول في الجغرافية السياسية للدولة العثمانية، أما القسم الثاني فقد وضع الجغرافية السياسية للدولة الفارسية، بينما تناول القسم الثالث التنافس العثماني - الفارسي على العراق قبل ١٧٤٧ من خلال دراسة قيام الدولة العثمانية، وموقفها من التوسع الصفوي حتى معركة جالديران ١٥١٤ و دراسة نهوض الأسرة الصفوية، واتساعها والنزاع العثماني - الفارسي حتى مصرع نادر شاه ١٧٤٧ وتأثيره على العراق.

أما الفصل الأول، فقد تناول بدايات التوتر العثماني - الفارسي، وانعكاسه على العراق (١٧٤٧ - ١٧٧٤)، فتناول القسم الأول العلاقات العثمانية - الفارسية: (١٧٤٧ - ١٧٥٠) وأثرها على العراق، وتطرق إلى تغيير الخريطة السياسية لبلاد فارس عقب اغتيال نادر شاه (١٧٤٧ - ١٧٥٠)، وموقف الدولة العثمانية من الاضطرابات في بلاد فارس عقب اغتيال نادر شاه (١٧٤٧ - ١٧٥٠)، والأوضاع السياسية في العراق عقب وفاه نادر شاه، وكرس القسم الثاني لدراسة العوامل المباشرة لمهاجمة إمارة كعب من قبل القوات العثمانية - الفارسية - الإنكليزية (١٧٥٧ - ١٧٦٦)، وبين القسم الثالث التحديات التي واجهت العلاقات العثمانية - الفارسية وأثرها على العراق.

أما القسم الرابع، فتناول أسباب الهجوم الفارسي على العراق ١٧٧٥، بينما القسم الخامس تناول مقدمات الهجوم الفارسي على العراق بشكل عام، والبصرة بشكل خاص وموقف الدولة العثمانية منه، واختص الفصل الثاني المعنون بالتنافس العثماني - الفارسي، وأثره على الأحداث الداخلية في العراق (١٧٧٥ - ١٨١٨) بدراسة الاحتلال الفارسي للبصرة وانعكاساته على العلاقات العثمانية - الفارسية (١٧٧٦ - ١٧٧٩)، كما اهتم القسم الثاني بالأوضاع السياسية في كل من الدولة العثمانية والدولة الفارسية (١٧٧٩ - ١٨١٨)، بينما ركز القسم الثالث على الخلافات السياسية بين الدولتين العثمانية - الفارسية على كردستان العراق.

تناول بالبحث والتحليل والاستنتاج الفصل الثالث التقارب العثماني - الفارسي وأثره على العراق (١٨١٩ - ١٨٣١)،

حيث تناول القسم الأول انفراج العلاقات بين الدولتين العثمانية والفارسية بعقد معاهدة أرضروم الأولى ١٨٢٣، والظروف التي أدت إلى عقد معاهدة أرضروم الأولى بين الدولتين العثمانية و الفارسية ١٨٢٣، وأهم النتائج التي أسفرت عنها وتتبع القسم الثاني التدخل الأوروبي في الواقع العثماني - الفارسي، وتداعياته على العراق ١٨١٩-١٨٣١، ثم تناول القسم الثالث سقوط دولة المماليك في بغداد، بينما تناول القسم الرابع عن الحكم العثماني المباشر للعراق.

وتناول الفصل الرابع المعنون بمستجدات العلاقات العثمانية- الفارسية، وتسوية الحدود بينهما ١٨٣٢-١٨٤٨ حيث تناول القسم الأول توتر العلاقات العثمانية - الفارسية، وأثرها على العراق ١٨٣٧-١٨٤٢ ثم ركّز القسم الثاني على أزمة كربلاء التي عدت عقبة في التسوية السلمية بين الدولتين العثمانية الفارسية من خلال استعراض أسباب أزمة كربلاء، ومجريات الأزمة، والمواقف الإقليمية والدولية، من هذه الأزمة، وأثرها على العلاقات العثمانية - الفارسية، ونتائج أزمة كربلاء، وأبعادها في تاريخ التنافس العثماني - الفارسي، ثم تتبع القسم الثالث الأسباب التي أدت إلى عقد معاهدة أرضروم الثانية، أما القسم الرابع فقد ركّز على النتائج التي تمخضت عن معاهدة أرضروم الثانية.

أهم المصادر والمراجع المستعملة في الدراسة:

اعتمدت الدراسة على مجموعة من الوثائق المنشورة ، وغير المنشورة، والمصادر، والكتب العربية، والمعرّبة، والأجنبية، والبحوث المنشورة في المجلات، والموسوعات السياسية، والتاريخية، فضلاً عن شبكة الإنترنت، وكذلك تم الرجوع لعدد من الرسائل والأطاريح التي خدمت البحث بمعلومات قيمة.

وفي مقدمة الوثائق غير المنشورة كانت وثائق البلاط الملكي:

د.ك و ملفات وزارة الخارجية، مجموعة محاضر جلسات قوميون تحديد الحدود

التركية - الفارسية المتواجدة في بغداد استقّدت منها في الفصل الرابع، عندما تحدثت عن معاهدة أرضروم وبنودها، وبالنسبة للوثائق الفرنسية: هي وثائق موجهة إلى باشوية بغداد

فضلاً عن البيانات الصادرة عن المسؤولين العثمانيين عام ١٨٤٦

1- F.O. 78/2715 . Annx Zin No4. Tradution of the Ldentic Tukish and Persian nine Articles Propsed for Treaty.

2- F.O. 78/2714. Annx 5 in No.3. Tradution de la Copie a une Depehe Uizirielle Adresse au Pacla de Bagdad (Piece Communiquee le 5 fevrier (17) mars, 1846 .

بينما الوثائق المنشورة فقد شكلت الوثائق مصدراً مهماً للدراسة؛ لكونها قدمت رؤية وثائقية

لمجريات الأحداث التاريخية، ومن أهمها: وثائق نجد تقارير أمراء المعاصرين لظهور محمد عبد الوهاب واستقرار أول دولة لآل سعود في نجد والحجاز، لمؤلفها علي الموجاني التي وثقت فترة

الحركة الوهابية، والنزاعات بين قادتها والمناطق المجاورة لها، ومواقف الدولة العثمانية منها من خلال الفرامين، والمكاتبات مع السلطنة العثمانية التي احتلت كربلاء، وإحلال الدمار وسفك الدماء، ونهب الخيرات، وآثار هذه الحادثة على العلاقات العثمانية - الفارسية، واستفدت منها بالفصل الثاني، كما أن الكتاب الوثائقي العراق في وثائق محمد علي باشا، لمؤلفه عماد عبد السلام رؤوف عبارة عن وثائق عثمانية مكتوبة باللغة العثمانية، وبعضها باللغة العربية تتعلق بأخبار العراق، فقد كشفت عن الرسائل والتقارير التي كان يرسلها رجال محمد علي إلى إدارته في الشام، والقاهرة مثل تمرد والي بغداد داود باشا على السلطان العثماني، وتولي علي رضا باشا اللاذ والي حلب مهمة القضاء على حكمه، وغيرها من القضايا التي تتعلق بثلاثينيات القرن التاسع عشر، وأدت منها في الفصل الثالث، أما الملف الوثائقي فصول من النزاع العراقي الإيراني كان خير عون لي في إظهار معاهدة أرضروم الثانية التي وقعت بين الدولة العثمانية والفارسية، والمذكرة الإيضاحية؛ فضلاً عن الخرائط التي بينت كيف كان العراق قبل معاهدة أرضروم، وبعدها في الفصل الرابع.

أما العراق في الوثائق العثمانية الأوضاع السياسية، والاجتماعية في العراق خلال العهد العثماني لمؤلفه سنان معروف أوغلو يحوي مجموعة من الوثائق المكتوبة باللغة العربية، من قبل شخصيات محلية ورؤساء العشائر، والأفراد العاديين، ومسؤولي الإدارة العثمانية في العراق حول جوانب الحياة كافة، وأدت منه في الفصل الرابع.

وأيضاً الوثائق باللغة الفارسية إيران/وزارت امور خارجي/دفتر مطالعات سياسی وبين المللي/واحد نشر اسناد. "گزیده اسناد سياسی ايران و عثمانی: دوره قاجاریه." كتاب مهم تضمن وثائق سياسية بين الدولة الفارسية والعثمانية في عهد الأسرة القاجارية، وهو تابع لوزارة الخارجية استفدت منه في الفصل الثالث.

واعتمدت على مجموعة المصادر والمراجع العربية:

دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء لمؤلفه رسول كركوكلي، تناول هذا الكتاب الأوضاع السائدة في العراق والعلاقات العثمانية - الفارسية استفدت منه في التمهيد، والفصل الأول والثاني، والثالث كما أن كتب سليمان فائق بك الذي عاصر المماليك تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد، وتاريخ بغداد، وعشائر المنفق، شكلت الدعامة والركيزة الأساسية في الدراسة، وكتاب ج.ج لوريمر دليل الخليج القسم التاريخي من الكتب النفيسة التي أعطت معلومات مهمة في فترة الدراسة، وكتاب أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لمؤلفه مستر ستيفن همسلي لونكريك حيث كشف النقاب عن الحقائق التاريخية في العراق بطريقة مفصلة كونه عاصر الأحداث.

وبالنسبة لكتب الرحالة الذين عاصروا الأحداث، من أهمها: رحلة نيبور الكاملة إلى العراق لمؤلفه الرحالة الألماني كارستن نيبور حيث بدأ رحلته من البصرة، والعراق، والنجف، وخير من اهتم بوصف مدينة بغداد، واستفدت منه في الفصل الثالث في الحديث عن الهجوم على إمارة كعب، وغيرها من التفاصيل الأساسية التي أغنت البحث؛ فضلاً عن ذلك رحلة ريج المقيم الإنكليزي في العراق عام ١٨٢٠ التي كشفت عن أوضاع كردستان، وأهداف ريج لقيامه بجولته في المنطقة.

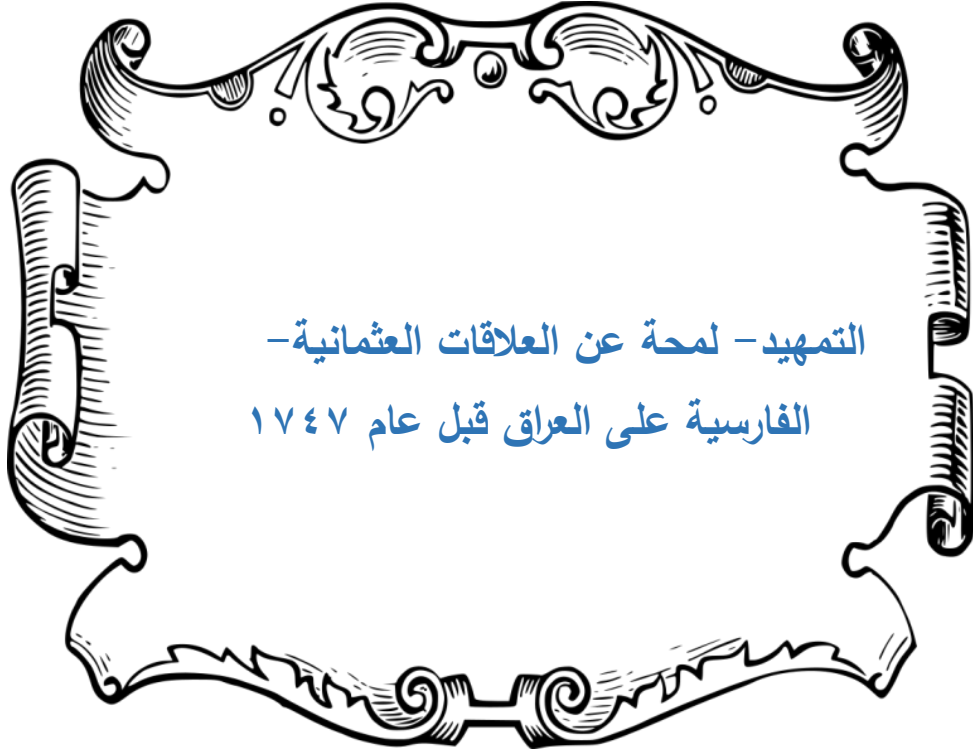
كما أفادت الدراسة مجموعة من الكتب باللغة الفارسية: ويأتي في مقدمتها كتاب (ايران در دوره سلطنت قاجار) لمؤلفه اصغر شميم، إيران خلال سلالة قاجار أعطى صورة عن واقع الأوضاع السياسية لدى الدولة الفارسية فترة العهد القاجاري. ومن الكتب الإنكليزية:

Michael Axworthy (A history of Iran : empire of the mind) لمؤلفه تاريخ الدولة الفارسية إمبراطورية العقل ويضيف نوعاً من التحليل، واستعملته في التمهيد والفصل الثاني.

وركزت الدراسة على عدد من الموسوعات، ومنها: موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، وموسوعة عشائر العراق لعباس العزاوي اللتين أضافتا معلومات تاريخية عن العراق، وعشائره في ثنايا الدراسة.

كما اعتمدت الدراسة على بعض المجلات، ومنها: مجلة العلوم الإنسانية كلية التربية لجامعة بابل في بحث منشور معنون بعادل شاه وحكمه لإيران ١٧٤٧-١٧٤٨ لمؤلفه أحمد كاظم البياتي، وأفدت منه في الفصل الأول، وأيضاً الأطاريح والرسائل، وكذلك المواقع الإلكترونية.

وأخيراً أرجو أن أكون قد استطعت تقديم هذا الجهد المتواضع لكي ينال رضا اللجنة الموقرة، وأتوجه بالشكر والعرفان إلى أستاذي الدكتور عبد المنعم الأحمد لجهوده الحثيثة في متابعة عملي؛ فضلاً عن تقديمه النصيح، والتوجيهات، وتوضيح كل مايلزم للارتقاء بموضوع الدراسة، وله الأثر البالغ في إنجازها، كما أتوجه بالشكر للدكتور وضاح نوفل، وأتمنى له دوام الصحة والعافية.



التمهيد - لمحة عن العلاقات العثمانية -
الفارسية على العراق قبل عام ١٧٤٧

أولاً- الجغرافية السياسية للدولة العثمانية.

١- الأناضول.

٢- البلقان.

٣- الولايات العربية في المشرق والمغرب العربيين.

ثانياً -الجغرافية السياسية للدولة الفارسية.

ثالثاً- التنافس العثماني - الفارسي على العراق قبل عام ١٧٤٧.

١- قيام الدولة العثمانية وموقفها من التوسع الصفوي حتى معركة جالديران

١٥١٤.

٢- نهوض الأسرة الصفوية واتساعها.

٣- النزاع العثماني - الفارسي حتى مصرع نادر شاه ١٧٤٧ وتأثيره على

العراق.

التمهيد

عندما نلقي نظرة على الخريطة السياسية لجغرافية كل من الدولتين العثمانية والفارسية وعلى مناطق الجوار، سنذكر طبيعة تنافسهما على مناطق النفوذ، ولاسيما على العراق، ومن هذا المنطلق تقتضي الدراسة الإشارة إلى المنطقة الجغرافية، وما تتبعها من تغييرات ديموغرافية واستراتيجية عسكرية، وذلك بشكل مقتضب بشكل لا يخل بالدراسة.

حيث إن الجغرافية السياسية تهتم بدراسة المجتمع في ضوء واقعه السياسي داخل الوحدة السياسية التي هي نتاج البشر، كما تهتم بدراسة التفاعل بين الإقليم الجغرافي والعملية السياسية التي تعنى بتتابع الأحداث السياسية، أو الإجراءات التي يتخذها الإنسان لخلق النظام السياسي، أو المحافظة عليه ومدى علاقتها المكانية مع تفسير ذلك ودراسة الحدود الجغرافية وأبعاد الاستعمار على هذه الوحدات، ودراسة العواصم والأنهار الدولية، والممرات والقنوات الدولية؛ فضلاً عن دراسة الدولة في إطار علاقاتها بالمجتمع الدولي، وتحليل هذه العلاقات الدولية، ودورها في تطوير وتقوية الوحدات السياسية المختلفة^(١).

أولاً-الجغرافية السياسية للدولة العثمانية:

استطاعت الدولة العثمانية أن تؤسس دولة عالمية كانت تطمح لها بفضل وضع الأسس السياسية والعسكرية، فقد امتدت لتشمل المناطق الآتية:

١- الأناضول: آسيا الصغرى.

٢- روميليا؛ أي أوروبا الشرقية المشتملة على البلقان، والصرب، واليونان، وهنغاريا... إلخ.

٣- الولايات العربية في كل من المشرق والمغرب العربيين^(٢).

استطاعت بفضل هذا الموقع الفريد أن تربط بين الغرب الذي يمثلته العالم الأوروبي، والشرق الذي يمثلته العالم الآسيوي، حيث يحد الولايات العربية من الشمال البحر المتوسط، وجبال طوروس وزاغروس، ومن الجنوب الصحراء الكبرى، والمحيط الهندي، ومن الشرق الخليج العربي، ومن الغرب المحيط الأطلسي، وهذا ما جعل هذه الولايات العربية تشكل وحدة إقليمية فريدة من نوعها، ولكن الأطماع السياسية والاقتصادية للدول الكبرى حالت دون توحيدها، وعملت على إضعاف المنطقة وتقسيمها بما يناسب مصالحها^(٣).

(١) علي احمد هارون، أسس الجغرافيا السياسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨، ص ٩-١٢.

(٢) سيار الجميل، تكوين العرب الحديث، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٩، ص ٥٠.

(٣) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (١٥١٦-١٩٢٢)، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص ١١.

لقد اهتم العثمانيون ب تثبيت دعائم حكمهم في المنطقة، ومنع العرب من إقامة كيان سياسي مستقل، ومن أجل تسهيل حكم الولايات العربية، وضمان استغلال الثروات قسمها العثمانيون إلى ١٢ ولاية، و٤ متصرفيات، ومن أبرز هذه الولايات: ولاية دمشق، ولاية حلب، وولاية بغداد، والموصل، والبصرة، وولاية مصر، وولاية الجزائر، وولاية تونس، أما المتصرفيات، فمنها: متصرفية القدس، و متصرفية جبل لبنان، وترتبط هذه المتصرفيات والولايات ارتباطاً مباشراً بالعاصمة إستانبول، ولقد اقتصر اهتمام الحكام العثمانيين على حفظ النظام والدفاع الخارجي وتنظيم الثروة التي تعود إلى السلطان العثماني الذي يُعدُّ الحاكم الأعلى للدولة والجيش^(١).

ثانياً- الجغرافية السياسية للدولة الفارسية:

تقع الدولة الفارسية في نصف الكرة الشمالي في جنوب غرب آسيا، وهي هضبة مرتفعة^(٢)، وتحدها سهول دجلة والفرات في الغرب، وجبال هندوكوش في الشرق، وبين سهول تركستان وبحر الخزر في الشمال، وشواطئ الخليج العربي وبحر العرب في الجنوب، وتحف الجبال بهذه الهضبة من جميع الجهات، ففي الغرب تمتد جبال زاغروس^(٣) باتجاه الجنوب الشرقي، وهي تصل بين هضبة أرمينية وجبال كردستان^(٤) في الشمال الغربي، وتستمر من دون

(١) حيدر علوان حسين، الإدارة في الدولة العثمانية، مجلة التراث العلمي العربي، بغداد، العدد ١، ٢٠١٢، ص ٣٣١.

(٢) تمثل الهضبة نحو ٥٠% من مساحة الدولة الفارسية، وتضمُّ عدداً من الأحواض المغلقة ذات التصريف الداخلي، وقد كان يشغل قيعان هذه الأحواض بحيرات قديمة ترجع إلى أواخر الزمن الجيولوجي الثالث ثم تركت هذه البحيرات رواسب طميّة بعد جفافها، فتحوّلت إلى صحارى جافة تخلو من الحياة، وتضم هذه الهضبة بعض المستنقعات الملحية التي تعرف باسم (الكافير kavir)، وتشغل نحو ٢٥% من مساحة الهضبة، أما باقي الهضبة فتتكون من أراضي رملية وصخرية جوده حسنين جودة، علي أحمد هارون، جغرافية الدول الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ٩٤. محمد سعيد البارودي، احمد البدوي الشريعي، جغرافية العالم الإسلامي، كلية العلوم الاجتماعية-جامعة أم القرى، قسم الجغرافية مكة المكرمة، ٢٠١٧، ص ٣٥.

(٣) تمتد في شمال وشمال شرق العراق في اتجاه عام من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بين العمادية وخانقين تقريباً، هذه المرتفعات التي تتألف من سلاسل عدة، وكتل جبلية تمتد متوازية لبعضها بعضاً، وتخللها عدد من الخوانق والثغرات، ومنها دياالى، والزاب الكبير، والزاب الصغير، وتتميز بالارتفاع الشديد حيث توجد أعلى القمم الجبلية في العراق التي تأتي حصار روست (١١٨٣٠ قدماً)، بيرة مكرون (٨٥٩٠ قدماً) في مقدمتها؛ لذا تكسو الثلوج قمم الجبال محمد خميس الزوكة، جغرافية العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٤) كردستان: هم ينتشرون في المنطقة المحصورة في العراق، ويمتد شمالاً على محاذاة بحيرة أرومية؛ وصولاً إلى حدود القوقاز؛ مشتملاً على الهضبة الأرمينية بالذات، ومن حدود القوقاز يمتد غرباً إلى أعماق آسيا

انقطاع حتى هضبة بلوخستان في أراضي باكستان، وعندما تتحرف في وسطها بازدياد نحو الشرق يتكون سهل الأهواز وهو تنمة لبلاد الرافدين، وتكون هذه الجبال على شكل سلاسل تحصر بينها أودية تقوم فيها الزراعة، وتنتهي فيها الأودية المنحدرة من الجبال، وتمتد في الشمال جبال البورز التي تبدأ من عقدة أرمنية في الغرب أيضاً، وتشكل قوساً حول بحر الخزر (قزوين)، وتوجد فيها أعلى مرتفعات الدولة الفارسية ممثلة في جبل دامافند^(١) الذي يصل ارتفاعه إلى ٥٦٠١ م، وتميل هذه الجبال بشدة نحو بحر الخزر (قزوين).

وفي الشمال الشرقي وحتى الجنوب الشرقي توجد سلاسل قليلة الارتفاع متقطعة تفصلها عن الأمصار المجاورة لها، أشهرها جبال كوبيت التي تفصلها عن بلاد التركمان^(٢)، وإن كان خط الحدود بين الدولة الفارسية وجاراتها من جهة الشرق يمر في منطقة منخفضة شرقي هذه السلاسل تجري فيها المياه أو تؤول إليها الوديان، فتشكل بحيرات ومستنقعات، أو شطوطاً، أو تكون سهولاً قليلة تقوم عليها بعض الزراعات.

وتبقى المناطق الداخلية بقاعاً صحراوية قد تتساب إليها بعض السيول في بعض سنوات الخير، أهمها: صحراء لوط في الجزء الجنوبي، وصحراء الكافر في القسم الشمالي.

أما السهول فهي ضيقة المساحة، وأشهرها: سهل الأهواز الذي هو تنمة لسهول العراق، ويرويه نهر قارون وفروعه، ثم السهول الساحلية سواء التي تشرف منها على بحر الخزر (قزوين) في الشمال أم التي تشرف على خليجي عمان والعربي، وهي ضيقة عموماً وإن كانت تتسع أحياناً عند مصبات بعض الأنهار، ثم هناك بعض الأودية التي توجد بين السلاسل الجبلية فقد تتسع وتشكل بعض البقاع السهلية، وتقوم فيها الزراعة؛ وبخاصة عندما تكون المنطقة ملتقى

الصغرى ليصل إلى سيواس وقونية. عباس الصباغ، تاريخ العلاقات العثمانية - الإيرانية: الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٢٥.

(١) قمة جبل دامافند (Damavand) الذي يبلغ ارتفاعه ١٨،٩٥٥ قدماً يقع في وسط سلسلة جبال البرز شمال شرق طهران بحوالي ٦٤ كم، وتجدر الإشارة أن قمة جبال دامافند أعلى من أي قمة جبلية تقع إلى الغرب منه سواء في آسيا أو أوروبا، وأطلقت عليه المصادر المسمارية على جبل دامافند التسمية بكني أي جبل اللازورد. محمود شاكر، مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا إيران، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق، ط ٤، ١٩٨٦، ص ٧١.

(٢) بلاد التركمان: تقع في وسط آسيا يحدها أفغانستان، والدولة الفارسية جنوباً، وبحر الخزر (قزوين) غرباً، وأوزبكستان وقازاغستان شرقاً وشمال شرق. وإن كلمة تركمان تتكون من كلمتي (ترك) و(مان) بمعنى الرجل التركي أو المقاتل التركي. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية الميسرة، ٧ مج، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٩، مج ٢، ص ٩٥٤-٩٥٥. عزيز قادر الصمانجي، التاريخ السياسي لتركمان العراق، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢٣-٢٦.

لعدد من المجاري المائية. كما توجد في الشرق منطقة سيستان التي هي تنمة للمنطقة نفسها التي توجد في بلاد الأفغان^(١).

هكذا نجد أن الدولة الفارسية تميزت بكونها جسراً برياً بين شرق البحر المتوسط من ناحية، ووسط آسيا وجنوبها من جهة أخرى عندما كانت الطرق الرئيسية تعبر الجزء الشمالي من البلاد^(٢).

ثالثاً-التنافس العثماني- الفارسي على العراق قبل عام ١٧٤٧:

ظهرت على مسرح الساحة السياسية في بلاد فارس في مطلع القرن السادس عشر الأسرة الصفوية التي أعلنت عن قيام دولة في بلاد فارس على أسس دينية تتبع المذهب الجعفري الاثنا عشري فوضعت نفسها في مواجهة مع الدولة العثمانية في الأناضول التي قامت على أسس المذهب السني، وكانت هذه المواجهة بداية مرحلة صراع طويلة بينهما على الأرض العراقية^(٣). وللوقوف على أبعاد هذا التوسع الفارسي والرد العثماني عليه، لابدّ من متابعة الظروف التي رافقت الأسرة الصفوية في الدولة الفارسية، واتساعها والخطوات العملية التي اتبعتها الدولة العثمانية في مواجهة هذا الخطر الكبير الذي أدى إلى اختلال ميزان القوى لديها في الشرق.

(١) بلاد الأفغان: المقصود بها أفغانستان التي تقع في الجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا، وهي منطقة جبلية تسكنها قبائل الغزنائية في قندهار، والإبدالية في هرات، والهزائية والتايماني في الوسط، واللغة الأصلية للقبائل هي البشتو، أما الرسمية التي يتكلم بها السكان هي اللغة الفارسية، ومنهم من أرجع أصولهم إلى الأصول الفارسية، ولسانهم مأخوذ من لسان (زندواستا)، وهو اللسان الفارسي القديم. أحمد كاظم محسن البياتي، بلاد فارس والاحتلال الأفغاني ١٧٢٢-١٧٢٥، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة المستنصرية، العراق، العدد ٥١، ٢٠٠٧، ص ٦٨.

(٢) الزوكة، جغرافية العالم...، ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٣) يقع العراق في جنوب غربي آسيا إلى الشمال الشرقي من شبه جزيرة العرب، يحده من الشمال الدولة العثمانية، ومن الشرق الدولة الفارسية، ومن الجنوب الخليج العربي، ومن الغرب شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، تقترب منه مجموعة من البحار الدافئة ذات الأهمية الاستراتيجية الدولية وهي البحر المتوسط، والبحر الأسود، وبحر قزوين، والبحر العربي، والبحر الأحمر، كما يشرف على الخليج العربي؛ مما يجعله صلة وصل بين القارات القديمة، ويصل في الوقت نفسه بين المحيط الهندي والبحر المتوسط. مجموعة مؤلفين، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، ١٧ مج، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠، مج ٤، ص ١٦٣.

١- قيام الدولة العثمانية وموقفها من التوسع الفارسي حتى معركة جالديران ١٥١٤:

يرجع أصل العثمانيين إلى قبيلة قايي التركية (kayi Rribe)، هي إحدى عشائر الأتراك الغز نزحت من سهول آسيا الغربية إلى آسيا الصغرى بأمر من مؤسسها أرطغرل بن سليمان شاه الذي ساند القوات السلجوقية ضد البيزنطيين، فكافأه السلطان السلجوقي علاء الدين بأن أقطع لعشيرته بعض الأراضي الخصبة على الحدود البيزنطية في المنطقة المعروفة بسكود حول اسكي شهر حيث بدأت العشيرة هناك حياة جديدة بالتوسع على حساب أملاك البيزنطيين تحت اسم السلاجقة، وبعد وفاة أرطغرل عام ١٢٨٩ تولى ابنه عثمان الحكم، ونسبت إليه الدولة العثمانية^(١)، واستكمل سياسة أبيه في التوسع وكذلك فعل أبنائه حتى أصبحت الإمارة الصغيرة دولة كبيرة مترامية الأطراف امتدت أقاليمها إلى آسيا وأوروبا ومن ثم إفريقيا^(٢).

وقد بلغت الدولة العثمانية أوج قوتها وسطوتها في عهد السلطان محمد الفاتح (١٤٥١-١٤٨١) الذي لقب بالفاتح؛ لنجاحه في السيطرة على إستانبول، وقضائه على إمبراطورية الروم الشرقية^(٣). أما بخصوص علاقة الفاتح بالدولة الفارسية فقد كان هناك صراع دائم بينه وبين أوزون حسن زعيم أسرة الآق قوينلو حول ضم طرابزون، حيث استطاع محمد الفاتح (١٤٥١-١٤٨١) أخذ طرابزون وهزيمة أوزون حسن ١٤٧٣^(٤).

وبعد أن توفي السلطان محمد الفاتح (١٤٥١-١٤٨١) تولى السلطنة العثمانية ابنه بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥٥٢) الذي عرف عهده بالهدوء النسبي مع أسرة الآق قوينلو المسيطرة على الدولة الفارسية، ومع تغير الوضع السياسي في المنطقة برزت مسألة احتمال حدوث توترات على الصعيد الإقليمي بين الجانبين، ولاسيما مع نشوء الدولة الصفوية، ففي عام ١٥٠٢

(١) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق الدكتور إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٩٨١، ص ١١٥-١٢٠. عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة العثمانية، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٢.

(٢) إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٩٩٦، ص ١٠.

(٣) سيد محمود السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية (النشأة - الازدهار) وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٢١٤.

(٤) ياغي، الدولة العثمانية...، ص ٤٧-٤٨.

استطاع الشاه إسماعيل السيطرة على شيروان، وأذربيجان^(١)، والعراق وفارس، وفي عام ١٥٠٧ احتل الشاه إسماعيل ديار بكر وقسماً من كردستان وفي العام التالي دخل الشاه بغداد^(٢).

كما نجح الشاه في إنشاء قاعدة شعبية للدولة الصفوية بين القبائل التركمانية في آسية الصغرى، وفي مناطق الحدود في طوروس التي كان يتنازع عليها العثمانيون والمماليك.

ورداً على ذلك قام السلطان العثماني (بايزيد الثاني) (١٤٨١-١٥١٢) بإجراء اللازم من خلال تجريد حملة على المورة من أجل مواجهة هذا التوسع، وتقويض السلطة الفعلية للدولة الصفوية حيث أبعد قسماً من القبائل التي تدين بالمذهب الشيعي إلى المنفى خارج المنطقة، وفي هذا السياق اجتاحت الجيوش العثمانية عام ١٥١١ الأناضول؛ لإخماد الثورة الشيعية في كوتاهية؛ علماً أن الثوار سيطروا على بورصة غير أن القوات العثمانية تمكنت من ضرب الثورة، وقتل زعيمها الشاه قولي واسمه قره بيكلي أوغلي^(٣).

ومع صعود سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠) إلى السلطة تصاعدت حدة المواجهة المسلحة بين القوات العثمانية والقوات الصفوية، حيث أدرك السلطان العثماني سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠) خطورة هذا التحدي الجسيم على أمن المنطقة منذ توليه إمارة طرابزون عندما عمل على إثارة والده لمواجهة الشاه إسماعيل، إلا أن كل هذه الجهود ذهبت هباء؛ نظراً إلى عدم توافق الآراء مع والده^(٤).

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: ما الأسباب التي أدت إلى نشوب الصراعات بين الدولتين (العثمانية - الفارسية)؟

الحقيقة تكمن في القول: إن أسباب النزاع لم تكن وليدة الصدفة؛ وإنما وُجِدَتْ منذ قيام الدولتين العثمانية والفارسية، ومن أهمها:

(١) أذربيجان: اشتق اسمها من القائد اترو باتيس (أي الذي تحميه النار) الذي أعلن استقلالها في فترة غزو إسكندر المقدوني لفارس ٣٢٨ ق.م، وحدودها من بردعة مشرقاً إلى أرزنجان مغرباً ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجيل والطرم وهو إقليم واسع، ومن أشهر مدنها: تبريز، ومن مدنها: خوي، وسلماس، وأرمية، وأردبيل، ومرند... إلخ. محمد بن ناصر العبودي، زيارات في الاتحاد السوفييتي جمهورية أذربيجان، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ، ص ١٣٣-١٣٥.

(٢) سيوري، إيران....، ص ٣٢-٣٥.

(٣) وجيه كوثراني، الفقيه والسلطان جدلية الدين والسياسة في تجربتين تاريخيتين العثمانية والصفوية-القاجارية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط٤، ٢٠١٥، ص ٧٣-٧٤ مفتي، بوقرة، العلاقات العثمانية...، ص ٢٤-٢٦.

(٤) ياغي، العالم العربي...، ص ١٦.

❖ حقق الشاه إسماعيل النقل السياسي، والديني، والعسكري للدولة الصفوية لاسيما على الحدود الشرقية المتاخمة للدولة العثمانية؛ مما خلق قاعدة شعبية له في الأراضي العثمانية عن طريق دمجهم ضمن مذهب واحد (المذهب الجعفري)، وإثارتهم ضد الدولة العثمانية، وتزامن ذلك مع وصول السلطان العثماني سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠) إلى الحكم، وعليه فإن استراتيجية الشاه إسماعيل عُدَّتْ هاجساً كبيراً له لما يترتب عليها من آثار خطيرة على الأصعدة جميعها، فما كان من السلطان العثماني إلا السعي نحو القضاء على الدولة الصفوية^(١).

❖ صرح الشاه إسماعيل عن تأهبه لاتخاذ جميع التدابير اللازمة لمساندة الأمير أحمد بن بايزيد ضد أخيه السلطان سليم الأول، بما في ذلك تقديم الدعم العسكري له، فقد كانت الدولة الصفوية أفضل مكان لطالبي اللجوء من الأمراء الثائرين ضد السلطنة العثمانية^(٢).

❖ قام السلطان سليم بإغلاق بوابات الحدود العثمانية المتاخمة للدولة الصفوية؛ ونتيجة هذا الإجراء ساءت العلاقات التجارية الصفوية مع الأناضول.

❖ إن تحالف الشاه إسماعيل الصفوي مع المماليك والبندقية ضد العثمانيين أدى إلى توتر العلاقات بين الدولتين، فقرر السلطان سليم القيام بعملية عسكرية للإطاحة بالشاه إسماعيل عندما تتوفر الفرصة المناسبة لذلك^(٣).

وبالتالي حدثت أزمة بين الدولتين أفضت إلى حرب في سهل جالديران^(٤) عام ١٥١٤، وانتهت بهزيمة الشاه الصفوي وهروبه بعيداً عن أرض المعركة؛ مخلفاً وراءه كل ممتلكاته، بينما

(١) والجدير بالذكر أن تقاعس السلطان بايزيد والد السلطان سليم عن مواجهة الشاه إسماعيل هو على الأرجح سببه المناخ الصوفي الذي اختلط في التشيع، ولابد من الأخذ بالحسبان أن التصوف كان سمة من سمات الثقافة الإسلامية التي سادت في آسيا، والدولة الفارسية، ولكن توجهات السلطان بايزيد في هذه النقطة أدت إلى تصعيد الصراع بين الأسرة الحاكمة في السلطنة العثمانية، انتهت باستلام السلطان سليم الأول وإعادة هيكلة التوجهات السياسية نحو الشرق لمواجهة الخطر الصفوي. أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٧٧-٧٩. فاضل مهدي بيّات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٦.

(٢) طقوش، تاريخ الدولة...، ص ٧٠-٧١. المحامي، تاريخ الدولة...، ص ١٨٨-١٨٩.

(٣) صالح كولن، سلاطين الدولة العثمانية، دار النيل، القاهرة، ١، ٢٠١٤، ص ٩١.

(٤) جالديران: اسم سهل يقع في الشمال الغربي لمدينة تبريز دارت فيه معركة بين السلطان سليم الأول والشاه إسماعيل الصفوي، وانتهت بانتصار الدولة العثمانية بقيادة السلطان سليم الأول. المصري، معجم الدولة...، ص ٤٣.

السلطان سليم الأول قضى الشتاء في أماسيا^(١)، وبذلك أصبحت محطات طريق الحرير بين تبريز - حلب وتبريز-بورصة تحت السيطرة العثمانية بعد استيلائها على مدينة تبريز^(٢). وخطا العثمانيين أكبر مشروعاتهم بعد معركة جالديران في محاولاتهم للحصول على طرق أذربيجان، والقوقاز، وبغداد بعد أن تم ضم المناطق الجبلية الممتدة من أرضروم إلى ديار بكر واعتراف الحكام المحليين، وزعماء العشائر في هذه المناطق بالسيادة العثمانية بحكم الأمر الواقع^(٣) حيث أكمل السلطان سليم (١٥١٢-١٥٢٠) بالتوجه نحو بلاد الشام ومصر وإنهاء الدولة المملوكية للقضاء على أي احتمالات للتوسع الصفوي نحو الغرب، وحوض المتوسط بصفة عامة هو التوسع الذي كان يمكن أن يهدد العثمانيين في الأناضول، وأية محاولات للمماليك في مساعدة عدد من الأمراء الفرس الهاربين من الدولة العثمانية^(٤). مما سبق يمكن القول: إن الدولة العثمانية تشكلت ملامحها التوسعية في عهد السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠) الذي حاول الوقوف بوجه الدولة الفارسية على عكس سياسة أبيه من خلال توجيه ضربة قاسية لها في معركة جالديران.

(١) أماسيا: مدينة في تركية الآسيوية (الأناضول) على نهر ميشيل مركز لواء الاسم نفسه في ولاية سيواسي مقر أسقفية يونانية تتبع بطركية القسطنطينية. . موستراس، ، س. موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٠٤.

(٢) عبد الرحمن، الدولة...، ص ٣٦.

(٣) خليل إينالچك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد م الأرنؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٥٤.

(٤) نادية محمود مصطفى، العصر المملوكي: من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية (٦٤٢-٩٢٣هـ / ١٢٥٨-١٥١٧)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٦١.

٢- نهوض الدولة الفارسية واتساعها:

هناك خلاف بين المؤرخين حول أصول الصفيين، فمن الباحثين يرجع أصولهم إلى الأكراد، ومنهم من يرجعهم إلى موسى الكاظم عليه السلام كما يرجع نسبهم إلى صفى الدين الأردبيلي (ت ٧٣٥هـ/١٣٣٤م)^(١)، الذي كان واحداً من أكبر الصوفية في عصر له منزلة كبيرة لدى الساسة والحكام في ذلك الوقت حيث أصبحت أردبيل^(٢) عاصمة دينية ثم سياسية لأتباعه^(٣).

وبعد وفاته خلفه أبناؤه في زعامة هذه الطريقة سائرين على نهجه في عدم الاشتغال بالسياسة، ولكن حدث تغيير كبير بعد أن تولى الشيخ جنيد بن إبراهيم بن خواجه علي بن صدر الدين موسى بن صفى الدين الأردبيلي زعامة الأسرة الصوفية حيث اتخذت هذه الحركة طابعاً سياسياً بعد أن غير لقبه من شيخ إلى پاديشاه^(٤)، وبدأت طموحاته التوسعية لبناء دولة على

(١) ولد صفى الدين في كنف أسرة تتمتع بالرفاهية إلى حد ما، وكانت من الأشراف القرويين، في قرية كلخوران التابعة لأردبيل، توفي والده في عام ١٢٥٨، فاختار صفى الدين اليتيم التصوف كأسلوب لحياته، ودرس العلوم الدينية والعقلية في صباه، وتعلم على يد شيوخ عدة، فاتجه إلى شیراز حيث اتصل بالشيخ تاج الدين إبراهيم الملقب بالكيلاني (ت ١٣٠١م) الذي لزمه، وتزوج ابنته، وقد جعل الشيخ من صهره أميراً صوفياً التق الناس حوله وكثر أتباعه ومريدوه، وادعى بنسبه للأئمة الاثني عشرية . موسى بن محمد آل هجاء الزهراني، الدولة الصوفية الاثني عشرية النشأة والآثار وعوامل الانهيار، دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ٢٠١٦، ص ١٧-٢٠.

(٢) أردبيل: مدينة جنوب غرب الدولة الفارسية عاصمة أذربيجان، استولى عليها الروس عام ١٨٢٨ ونقلوا مكتبتها الكبيرة إلى سانت بطرسبورغ. راجر سيورى، إيران عصر صفوى، ترجمه ي: كامبيز عزيزى، نشر مركز، تهران، ١٣٨٩، ص ١. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية...، مج ١، ص ٢٢٣.

(٣) كامل مصطفى الشبيبي، الطريقة الصوفية ورواسبها في العراق المعاصر دراسة مزجية لأصول الشبك والنحل الصوفية في شمال العراق، مكتبة النهضة، بغداد، ط ١، ١٩٦٧، ص ١٩-٢٠.

(٤) پاديشاه: كلمة فارسية بمعنى الملك الحامي، أو الحارس أو صاحب العرش، وأطلق هذا اللقب أيضاً على سلاطين العثمانيين على لسان العوام غير أن اللقب الرسمي الذي أطلق على من حكموا العثمانيين هو سلطان وخان وخنكار بضم الخاء، حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٢٧.

حساب الدول الحاكمة في فارس القره قوينلو^(١) الآق قوينلو^(٢)، وخطا جنيد خطوة ثاقبة عندما صاهر الأمير أوزون حسن أمير الشاه البيضاء، وأحدث هذا الزواج السياسي تحولاً كبيراً في هذه الحركة عندما استطاع تدعيم قوته العسكرية، وكثر أتباعه الذين جندوا تحت لوائه وعمل على تدريبهم تدريباً عسكرياً، واستقل بهم في أردبيل، ثم توجه إلى شيروان، وهاجمها لكنه هزم وقتل عام ١٤٦٠ على يد شمس الدين حاكم مقاطعة شيروان^(٣)، فخلفه ابنه حيدر الذي تسلم زعامة الأسرة الصفوية، وسار على نهج والده بالتحالف مع الأسرة الآق قوينلو، ومن أهم أعماله: تمييز أتباعه بزي جديد وبخاصة القبعة الحمراء بشقوقها الاثني عشر أو القلنسوة (تشير إلى عدد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام) وسموا بالقلزباش^(٤) ما جعل العثمانيين يطلقون على أتباعه بذوي الرؤوس الحمراء، وحاول حيدر الانتقام من قتلة والده إلا أنه اصطدم بجيش السلطان يعقوب بن أوزن^(٥) المتعاون مع حاكم شيروان، وفي معركة فاصلة بينهم قتل حيدر عام

(١) القره قوينلو: الخروف الأسود، وقد سميت بذلك نسبة إلى لون علمها أو خرافها، ويرى بعض المؤرخين أن الأصل في نسبة هذه التسمية يرجع إلى أن الخروف الأسود رمز لها، والجدير بالذكر أن هذه القبيلة اعتنقت المذهب الاثني عشري. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ٩٠٧-١١٤٨/١٥٠١-١٧٣٦، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص ١٨.

(٢) الآق قوينلو: الخروف الأبيض، وقد سميت بذلك إما نسبة إلى لون علمها، أو خرافها، أو إلى أن الخروف الأبيض، كان رمزاً عليها والمعروف أن هذه القبيلة كانت على مذهب أهل السنة. طقوش، تاريخ الدولة...، ص ١٨-١٩.

(٣) علي شاکر علي، ولاية الموصل العثمانية في القرن السادس عشر دراسة سياسية - إدارية - اقتصادية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١١، ص ٣٤-٤٥. شوقي أبو خليل، تشالديران: سليم الأول وإسماعيل الصفوي، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٥، ص ١٧-١٨.

(٤) القلزباش: هم صوفية شيعة من أتباع الصفويين ولفظ القلزباش معناه الرؤوس الحمر لتغطية رؤوسهم بشعار أحمر، وهو عبارة عن قلنسوة يلبسونها كشعار لهم مقسمة إلى اثنتي عشر شقة للدلالة على الإمام علي كرم الله وجهه، وأبنائه الإثني عشر. علي الكاش، الصوفية والصوفية خصائص وأهداف مشتركة، منشورات البرهان، بغداد، ٢٠١٤، ص ٣٢. فريدون أمجان، سليمان القانوني سلطان الرين والبحرين، حقائق في ضوء المصادر، ترجمة: جمال فاروق أحمد جمال، دار النيل، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٦٤.

(٥) يعقوب بن أوزون: أحد سلاطين الآق قوينلو حكم (١٤٧٨-١٤٩٠)، وهو ابن حسن أوزون من زوجته سلجوق شاه أوغلو حيث استطاع الاستيلاء على العرش بعد الإطاحة بأخيه السلطان خليل للمزيد: ميشيل مزوي، أصول الصفويين تشيع وتصوف وغلو، ترجمة: نائر ديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٨، ص ٦٩-٧٠.

١٤٨٧^(١)، ثم نجح إسماعيل بن حيدر عام ١٤٩٤ من الوصول إلى الحكم حيث بدأ حكام الآق قوينلو بالضغط على الأسرة الصفوية، وتقويض نفوذها لالتفاف تركمان الأناضول الذين انضموا إلى دعوته، وشكلوا نواة جيشه لتكاليه عليهم في تنفيذ مخططاته التوسعية باتجاه جنوب شرق الأناضول وشمال العراق.

وهكذا نرى أن الشاه إسماعيل استطاع بحنكته السياسية أن يجنّد القوة الدينية لصالحه عندما صهر الفوارق العرقية في بوتقة الوحدة الدينية؛ لإقامة الكيان السياسي الجديد، ومواجهة الخطر الذي تُجسّدُه الدولة العثمانية المجاورة لحدود الدولة الصفوية الفتية من خلال إعلان المذهب الاثني عشر^(٢) المذهب الرسمي للدولة الصفوية في عام ١٥٠١^(٣).

أصبحت شروان تحت نفوذه عام ١٥٠٠ ثم تبريز^(٤) التي اتخذها عاصمة لدولته الفتية بعد طرد الآق قوينلو منها ١٥٠٢ ثم زحف باتجاه أصفهان ويزد وكرمان^(٥)، وجنوب خراسان، وسك النقود باسمه، وبذلك أخضع إسماعيل بلاد فارس إلى سيطرته، وبدأ يتطلع نحو الخارج، وسيطر على ديار بكر^(٦) ١٥٠٧^(٧).

(١) صبحي عبد المنعم، الشرق الإسلامي زمن المماليك والعثمانيين، العربي للنشر، القاهرة، د.ت، ص ٩٤، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن عبد الله الحسن، أثر العناصر الأجنبية في فكر بعض الشيعة الاثني عشرية، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٧، ص ٢٤٩.

(٢) الاثني عشرية أو الجعفرية أو الإمامية: هم طائفة دينية شايعوا الإمام علي كرم الله وجهه، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاثنا عشرية كمذهب ظهر بعد ميلاد فكرة الأئمة الاثني عشر والقائلة بإثني عشر إماماً ناصر الفقاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ج ٣، د.م، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ٤٩-١٠٣.

(٣) سيوري، ايران...، ص ٢٧-٣٠.

(٤) تبريز: شمال غرب الدولة الفارسية في أذربيجان الشرقية ثاني المدن الكبرى، فتحها نعيم بن مقرن المزني في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، استولى عليها العثمانيون ثم استعادها الصفويون ١٥٠٠ م، ثم تداولها الطرفان مرات عدة، واحتلتها الروس ١٨٢٧-١٨٢٨. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية...، مج ٢، ص ٩٢٥.

(٥) كرمان: تقع بين باكستان وإقليم فارس المواجه للخليج العربي من الجهة الثانية. عبد العزيز صالح المحمود الشافعي، عودة الصفويين، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٧، ص ١٨.

(٦) ديار بكر: مدينة في الأناضول مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه في ولاية كردستان على الضفة اليمنى لدجلة ومقر أسقفية يونانية تتبع بطركية القسطنطينية. موستراس، المعجم الجغرافي...، ص ٢٧٢.

(٧) حفيظة مفتي، سعيدة بوقرة، العلاقات العثمانية-الصفوية خلال القرن ١٠/١٦، إشراف: د. نادية طرشون، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الدكتور يحيى فارس كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المدينة، ٢٠١٥، ص ٢٠.

وفي عام ١٥٠٨ هاجم إسماعيل باشا العراق التي كانت تحت يد باريك بيك الذي هرب إلى بلاد الشام التابعة لسلطة المماليك^(١).

والسؤال الذي يطرح نفسه، ما الدوافع وراء حملة إسماعيل باشا على ديار بكر والعراق عام ١٥٠٨ ؟

يمكن السبب في العامل الاقتصادي إلى جانب العامل الإيديولوجي^(٢) الذي أدى دوراً مهماً وفاعلاً في إثارة هذا النزاع الطويل بينهما وديمومته، فقد كانت القوى الصفوية تسعى جاهدة إلى السيطرة على المراكز البرية التي تربط فارس بالأناضول أو فارس ببلاد الشام، فضلاً عن التطويق والتضييق التجاري الذي فرضته القوات العثمانية في أواخر عهد بايزيد الثاني على التجارة الفارسية؛ مما أجبر على تغيير التجارة الصفوية إلى المراكز الواقعة في الجنوب من هضبة الأناضول التي تصل الموصل بحلب وساحل المتوسط ولم تكن هذه المراكز أقل أهمية من محور أرضروم^(٣).

وهكذا جعلت السيطرة الصفوية على محاور التجارة الدولية الدولة العثمانية أكثر حساسية وحدةً لتعارضها مع خطط السلطان سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠)، فلجأ إلى تشديد التطويق على التجارة الصفوية؛ للحيلولة دون نيل الصفويين على عُدّة الحرب المشتملة على معدني

(١) هوما كاتوزيان، الفرس إيران في العصور القديمة والوسطى والحديثة، ترجمة: أحمد حسن المعيني، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١٤، ص ١٥٤.

(٢) الأيديولوجي: مصطلح لاتيني الأصل استعمله لأول مرة الفيلسوف الفرنسي دي تراسي في مطلع القرن التاسع عشر بمعنى علم الأفكار، وكشيء مقابل للعالم المحسوس وربما المناقض له وبعد حقبة طويلة أحيا كارل ماركس استعمال التعبير؛ بمعنى مجموعة من الأفكار، والمعتقدات التي تسود مجتمعاً ما بفعل الظروف الاقتصادية والسياسية القائمة، وثم تطور المصطلح على يد علماء المجتمع وأصبح يعرف أنه أسلوب في التفكير. عبد الوهاب كيالي، الموسوعة السياسية، ج٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ج١، ص ٤٢١.

(٣) أرضروم: مدينة في الأناضول وهي مركز لولاية ولواء يحملان الاسم نفسه، وتقع على سفح غير بعيد عن نهر الفرات، وكانت مقراً لأسقفية يونانية تتبع بطريرك أنطاكية كانت في القديم اسمها غارين (Garin) ثم أصبح اسمها ثيودوسيوبولس (Theodosiopolis) لاسم ثيودوس الإمبراطور البيزنطي الذي بنى أسوارها ثم استولى عليها السلاجقة في القرن الحادي عشر ثم العثمانيون عام ١٥١٧، وبعد ذلك سيطر عليها الروس عام ١٨٢٩ لكنهم أعادوها في العام التالي إلى الباب العالي، ثم ضربها زلزال مدمر عام ١٨٥٩. موستراس، المعجم...، ص ٤٤-٤٥.

النحاس والحديد؛ فضلاً عن ضرب تجارة الحرير الفارسي التي تعدّ أحد أهم مصادر إيرادات الدولة الصفوية آنذاك^(١).

بناءً على ما تقدم؛ وبموجب الأوضاع السائدة في تلك الفترة حاولت الدولة الفارسية إحكام قبضتها على مقاليد الأمور في المنطقة إلا أن الدولة العثمانية عملت على منع مدّ نفوذها من خلال ضرب مصالحها الحيوية التي ترنو إليها نحو المنطقة العربية، ولاسيما العراق والخليج العربي.

٣- النزاع العثماني - الفارسي حتى مصرع نادر شاه ١٧٤٧ وتأثيره على العراق:

أسهمت العوامل الاقتصادية والسياسية في تعاضد الصراع الإقليمي والدولي على العراق ولواحقه وأطرافه، وهذا ما أثار النزاع بين الدولتين العثمانية والفارسية في الوقت الذي أمن السلطان سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠) منطقة شمال العراق وبلاد الشام تابع ابنه السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦) السير على نهج والده في السيطرة على بغداد، وأخذها عنوة من أيدي الصفويين سنة ١٥٣٤ وإخضاعها للحكم العثماني بعد احتلال تبريز لمرة أخرى وبعض المناطق التابعة لبلاد فارس في عام ١٥٤٨، مما زاد الوضع سوءاً بين الدولتين، وأفضى الأمر إلى حدوث حرب إلا أنه سرعان ما تم عقد معاهدة الصلح عرفت بمعاهدة أماسيا عام ١٥٥٥، وتعدّ معاهدة أماسيا أولى المعاهدات التي عقدت بين الطرفين وهي الأساس التاريخي الذي ستعتمد عليه علاقات الطرفين على امتداد الصراع بينهما^(٢)، ومن أهم شروطها:

- ❖ اعتراف الدولة العثمانية بالدولة الفارسية.

- ❖ احتفاظ الدولة العثمانية بملكيتها في شرق الأناضول، وأذربيجان، وتبريز، والعراق. وهذا ما سيسمح لها في وصول الخليج العربي^(٣).

- ❖ تسوية الخلافات الحدودية بحيث تكون قارص حدّاً للدولتين وتكون ولايات (أذربيجان الشرقية، وكرجستان^(٤) الشرقية، وأرمينيا الشرقية) تحت سيطرة الدولة الفارسية.
- ❖ تأمين سلامة الحجاج الذين جاؤوا من بلاد فارس.

(١) محمد رضا وصفي، التفاعل بين الإسلام والمسيحية في إيران: العهد الصفوي (١٥٠١-١٧٢٢)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٩٤-١٩٥. إسماعيل ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٩٩٧، ص ١٣.

(٢) أمجان، سليمان القانوني...، ص ٢٧٩.

(٣) كولن، سلاطين...، ص ١١٠.

(٤) كرجستان: هي منطقة جبلية تقع في منطقة القوقاز عند الحد الفاصل بين أوروبا، وآسية، وتتمتع بحدود منيعة من الجبال في الشمال والجنوب، وأشهر مدنها (تفليس، شيروان، شكي، شماخي، كنجة، كارتيل، كاخت) الصباغ، تاريخ العلاقات...، ص ١٢٧.

❖ تبادل الطرفين اللاجئين لدى كل منهما.

❖ تستأنف المفاوضات بشأن مدينة شهرزور^(١).

وبالتالي يمكن القول: إن السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) كان يدرك مكانة الحرير الفارسي، والطرق التجارية المؤدية إليه؛ لهذا استفاد من معاهدة أماسيا في الاحتفاظ بتبريز والعراق.

إلا أن التوتر عاد ليحكم العلاقات بين الجانبين حيث لم يمض سوى بضعة عقود على المعاهدة حتى استغل العثمانيون فرصة الاضطرابات، وضعف الحكم الصفوي عقب مقتل الشاه طهماسب (١٥٢٤-١٥٧٦)^(٢) إذ اقترحت جيوشهم بلاد فارس، واستولت لأكثر من عقد من زمان على بعض مناطقها الشمالية والشمالية الغربية عاد ثم بعدها الطرفان ليبرما في عام ١٥٩٠ معاهدة عرفت بمعاهدة فرهاد باشا، وقد تضمنت المعاهدة الشروط الآتية:

- ١- احتفاظ الدولة العثمانية بمعظم الأراضي الفارسية التي كانت قد استحوذت عليها تبريز، والولايات الغربية من الدولة الفارسية؛ أي منطقة العراق العجمي^(٣)، وخوزستان، وشماعى، وتقليس، وجزء من منطقة لرستان^(٤).
- ٢- أن تكف الدولة الفارسية عن التشهير بالخلفاء الثلاثة الأوائل.
- ٣- أن يبقى حيدر ميرزا بن حمزة ميرزا أخ الشاه عباس في استانبول كرهينة حتى لا ينقض الشاه عباس المعاهدة.

(١) مشعل مفرح ظاهر، باسم خطاب الطعمة، العلاقات الصفوية العثمانية ١٥٨٧-١٦٢٩ دراسة تحليلية، مجلة آداب البصرة، العدد ٤٥، ٢٠٠٨، ص ١٥٢، نورة عبد الرزاق العلي، السلطان سليمان القانوني (حياته، حروبه، إدارته)، إشراف: كاميليا أبو جبل، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ الدولة العثمانية، جامعة دمشق، ٢٠١١، ص ١٦٥. باسم حمزة عباس، إيران في عهد الشاه طهماسب الأول الصفوي ١٥٢٤-١٥٧٦، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، مجلد ٤٠، والعدد (٢-١)، ٢٠١٢، ص ٤٨. أمجان، سليمان القانوني...، ص ٢٧٩. الصباغ، تاريخ العلاقات العثمانية...، ص ١٨١.

(٢) طهماسب (١٥٢٤-١٥٧٦) : وصل إلى الحكم في بلاد فارس وعمره لايجاوز ١١ عاماً عام ١٥٢٤، فأخذ القزلباش الوصاية عليه إلى أن بلغ الشاه طهماسب سن الرشد حيث استطاع السيطرة على زمام أمور البلاد ومحاربة الأوزبك في الشرق وملك بغداد ذو الفقار من الغرب كما اهتم بالآداب والفنون وتوفي ١٥٧٦ للمزيد: عباس، إيران في عهد الشاه...، ص ٣-٤.

(٣) يجدر الإشارة إلى أن مصطلح العراقيين قديم أُستعمل بين القرنين الحادي عشر والسادس عشر على منطقتي عراق العرب (المنطقة السهلية على حوض نهر دجلة والفرات)، أما عراق العجم (المنطقة الجبلية) وكان يفصل بينهما سلسلة جبال زاغروس أمجان، سليمان القانوني...، ص ١٥٢.

(٤) لرستان: هي كورة واسعة بين خوزستان، وأصفهان، ومعدودة من عمل خوزستان، وهي تقع في القسم الجنوب الغربي من بلاد فارس. المحامي، تاريخ الدولة...، ص ٢٦٤.

٤- إطلاق سراح الأسرى لكل من الطرفين^(١).

وبذلك سيطر الهدوء على منطقة الحدود بين الدولتين عقب توقيع المعاهدة، وهنا

يثير التساؤل: هل كان الشاه عباس لديه أهداف خفية من توقيع هذه المعاهدة؟

يبدو أن مشاريع الشاه عباس تحتاج إلى خطط حقيقية تتخذ موقعها في التنفيذ

عندما تحين الفرص، وتشجع الظروف فعل ذلك بإعادة هيكلة الجيش الصفوي^(٢).

ومع بدايات القرن السابع عشر بدأ الشاه عباس باسترجاع الأراضي التي سيطرت عليها

الدولة العثمانية بموجب معاهدة فرهاد باشا عام ١٥٩٠ حيث هاجم تبريز عام ١٦٠٣،

واستردها من العثمانيين، ونجح في السيطرة على بريفان وشيروان وقارص ولم تكن الدولة

العثمانية بكامل طاقتها القتالية لأنها من جانب آخر تحارب النمسا، وفي الوقت نفسه بدأت

تتفقم الاضطرابات الداخلية في الأناضول بينما الشاه عباس تابع حملاته المتكررة على مدن

(١) بديع محمد جمعة، الشاه عباس الكبير ٩٦٦-١٠٣٨/١٥٨٨-١٦٢٩، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٦٦. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ٦ أجزاء، انتشارات الشريف الرضي، قم، ط ١، ١٣٧١-١٤١٢، ج ١، ص ٦٦.

(٢) لقد عالج الشاه عباس الصفوي ضعف الجيش بزيادة أعداده، وتعزيزه بآليات حربية كالمدافع والبنادق، وذلك عن طريق بعثة تجارية إنكليزية جاءت إلى الدولة الفارسية برئاسة الإخوين السير أنطوني شيرلي، والسير روبرت شيرلي حيث أتاحت هذه البعثة مساعدة من خلال رجل خبير في صب المدافع؛ لتهيئة الجيش الصفوي= بالمدافع القادرة على مواجهة المدافع العثمانية، وتزويد قواته بالبنادق التي تجاوزت ستين ألف بندقية وتدريبهم على استعمالها. حسن كريم الجاف، موسوعة تاريخ إيران السياسي من بداية الدولة الصفوية إلى نهاية الدولة القاجارية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٤٣.

أذربيجان، فسيطر عليها ونتيجة ذلك حصلت هدنة بين الطرفين بمساعي الصدر الأعظم^(١) نصوح باشا^(٢) وتم توقيع معاهدة عام ١٦١٢ التي سميت باسمه^(٣)، ومن أهم ما جاء فيها:

١- أن تعترف الدولة العثمانية بحدودها التي كانت في عهد السلطان سليمان القانوني بعدم الاعتداء على الأراضي التي استولت عليها فيما بعد في عهد السلطانين مراد الثالث ومحمد الثالث، وبالمقابل يتعهد الشاه عباس الأول بسحب القوات كافة التي وضعها في بلاد ما بين النهرين، ويعيد كل ما استولى عليه منها إلى العثمانيين.

٢- يتعهد الشاه عباس الأول بإرسال مائتي حمل حرير سنوياً إلى السلطان، ومائة حمل من بضائع أخرى.

٣- تختار كل دولة ممثلها لتحديد الأراضي الخاصة بها.

٤- تتكفل الدولة الصفوية بعدم القيام بأي عمل استفزازي عقائدي كما التزمت به زمن الشاه طهماسب الأول (١٥٢٤-١٥٧٦).

٥- تتكفل الدولة العثمانية بعدم منع المسافرين من الدولة العثمانية من المرور بأراضيها، وتسمح للحجاج من الدولة الفارسية بسلوك طريق حلب-دمشق؛ فضلاً عن طريق بغداد - البصرة.

٦- تتكفل الدولة الصفوية بعدم حماية هلو خان حاكم شهرزور.

٧- يتكفل الطرفان بالسماح للجانبين بالتنقل في الحدود بهدف تحديدها^(٤).

(١) لقب صاحب المقام الأول في الحكومة ، رئيس مجلس الوكلاء ووزراء الدولة، واستعمل الصدر كلقب من ألقاب الكناية المكانية في العصر المملوكي، واستعمل هذا اللقب في العصر الإسلامي في النقوش منذ أوائل القرن السادس الهجري، ويغلب إطلاقه على رجال الدين. مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٣٢٦. محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان ١١٧-١١٨ كانون الثاني -حزيران، جامعة دمشق، ٢٠١٢، ص ٣٧٥.

(٢) نصوح باشا: صدر أعظم في عهد السلطان أحمد الأول، وكان بلطجياً في القصر السلطاني، ثم التحق بعمل آخر فيه ثم أسندت إليه الولاية على حلب بدرجة وزير، كما عهد إليه قيادة جيش لمحاربة طوئل أوغلي ، ثم نقل إلى ديار بكر والياً عليها، وهناك جمع ثروة طائلة، واشترك في عقد الصلح مع الدولة الفارسية إن السلطان غضب عليه، وأمر بقتله ١٠٢٣هـ. المصري، معجم الدولة ...، ص ١٤٨-١٤٩.

(٣) غزوة سعيد عبود، الصراع الفارسي - العثماني وانعكاساته السلبية على العراق ١٥٠٨-١٩١٤، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، المجلد ٢٧، ٢٠١٦، ص ٣١١. كولن، سلاطين...، ص ١٤٩.

(٤) بك المحامي، تاريخ الدولة...، ص ٢٧٢. طقوش، تاريخ الدولة الصفوية...، ص ١٧٥.

ومن خلال بنود المعاهدة نلاحظ أن الدولة العثمانية حاولت إبقاء العراق تحت نفوذها عندما طلبت من الدولة الفارسية عدم التدخل بشؤون ولاية شهرزور، وعدّتها الدولة العثمانية جزءاً لا يتجزأ من الولايات العراقية.

لم يدم الاستقرار طويلاً، فقد بدأ الشاه عباس عملياته العسكرية بعد أن نكث بوعوده؛ مستثمراً الفوضى الهائلة التي شهدتها الأناضول، وتواكب ذلك مع التطورات التي وقعت في بغداد باستحواد قائد شرطتها بكر الصوباشي^(١) على الحكم بعد مقتل الوزير يوسف باشا، إذ استطاع الشاه عباس احتلال بغداد عام ١٦٢٣ بمعاونة قائد شرطة بغداد بكر الصوباشي^(٢). حاولت القوات العثمانية استعادة ما فقدته بأمر من السلطان مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠)، فحاصرت بغداد من الجهة الشمالية من أجل وقف تقدم القوات الصفوية ومنعها من السيطرة على الموصل وكركوك، إلا أن القوات العثمانية فشلت بسبب تدفق القوات الصفوية؛ مما أدى إلى تراجع القوات العثمانية إلى الموصل وديالى^(٣).

لقد أراد الشاه عباس إحكام سيطرته على كامل العراق من شماله حتى جنوبه؛ من أجل إجبار العثمانيين على الاعتراف بحكمه، فاتجه نحو الجنوب بعدما أحكم سيطرته على الشمال والوسط العراقي؛ مستغلاً بذلك التفوق العسكري، فاتجه إلى ناحية البصرة التي لم يلقَ فيها النجاح الذي حازه في بغداد على الرغم من محاولاته العديدة، إذ كانت أولى محاولاته ١٦٢٤ عندما رفض حاكمها على أفرسياب الولاء له، وترك الطاعة للدولة العثمانية، ونقش اسم الشاه على العملة، والدعوة له في خطبة الجمعة، وأجبر أهالي البصرة على ارتداء الزي الصفوي،

(١) الصوباشي: لقب حربي قديم وقد شاع استعمال هذا اللقب في الأناضول منذ القرن الرابع عشر الميلادي، وقد أصبح لقب صوباشي من أشهر الألقاب الحربية المستعملة في سلك الشرطة في الدولة العثمانية، ثم أصبح للصوباشية إقطاعاتهم، وبعد ذلك أصبح لقب صوباشي يستعمل للدلالة على رتبة عسكرية خاصة في سلاح فرسان. ابناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث ١٢٥٨-١٩١٨، دار عدنان، بغداد، ٢٠١٤، ص ٢٤٠.

(٢) بعد أن سيطر بكر الصوباشي على الأوضاع في العراق بحرب دموية ضد معارضيه أرسل إلى السلطان يطلب منه باشوية بغداد، ووزع منشوراً مزوراً أعلن فيه أنه أصبح والي بغداد إلا أن الصدر الأعظم قره حسين باشا رفض طلبه، ومنح حكم بغداد إلى سليمان باشا والي ديار بكر، فراسل بكر الصوباشي الشاه عباس لاستلام بغداد، وعندما طلب منه الشاه أن يفي بوعده رفض؛ بحجة أنه ولي على بغداد بموافقة الدولة العثمانية، فاجتاح الشاه بغداد بعد حصارها، ومساعدة محمد بن بكر الصوباشي، ثم قتل بكر الصوباشي. ياسين العمري، تاريخ محاسن بغداد هو تهذيب غاية المرام، تحقيق: ميعاد شرف الدين الكيلاني البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣، ص ٥٥-٥٦. سليمان صائغ الموصل، تاريخ الموصل، تحقيق: عبد الخالق بن عبد اللطيف بن حسن الموصل، ج ٢، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٣، ج ١، ص ٣٠٧-٣٠٨. رعد البيدر، الصدى السياسي للظواهر التاريخية في العلاقات العراقية الإيرانية، دار دجلة، عمان، ٢٠١٤، ص ٤٢.

(٣) اللوردي، لمحات اجتماعية، ص ٨١.

مقابل أن يكون والياً وراثياً يقدم شيئاً من الجارية، وله ملء ما تسع الصلاحية المحلية، فأمر الشاه عامله حاكم شيراز^(١) إمام قلي خان بمهاجمة البصرة، إلا أنه فشل في ذلك بسبب صمود أهلها بمساعدة الإمارة المشعشعية^(٢).

أثرت وفاة الشاه عباس المفاجئة عام ١٦٢٩ في أداء القوات الصفوية، ومع اعتلاء السلطان مراد الرابع العرش جهز جيشاً لاسترجاع الأراضي التي خسرتها الدولة العثمانية، فكانت أول حملة موجهة إلى منطقة روان (بريفان اليوم) عام ١٦٣٥ وبعدها تم محاصرة بغداد واسترجاعها في ١٦٣٨ ، وعلى إثر ذلك انسحب الجيش الصفوي بقيادة رست خان إلى مشارف مدينة قصر شيرين الواقعة شرق نهر ديال، كما اجتاز الجيش العثماني بقيادة قره مصطفى باشا كمش - نهر ديال حتى وصل إلى القرب من درنتك؛ وصولاً إلى سهل زهاب، وفي الواقع كلتا القوتين كانت راغبة في إنهاء الصراع فيما بينهما على جبهتي العراق وأذربيجان، ومن أجل ذلك جرت مفاوضات الصلح في زهاب على سفح الجبل القريب من قصر شيرين؛ لذلك سميت هذه المعاهدة بتسميات عدة (قصر شيرين معاهدة سي) أي معاهدة قصر شيرين بالتركية^(٣) وبمعاهدة زهاب باللغة الإنكليزية، وكذلك تسمى بمعاهدة مراد باشا، وكانت تلك المعاهدة إشارة على النهاية الرسمية للحروب الدائرة بين الدولتين العثمانية وفارس الصفوية، فجلبت السلام للمنطقة لأعوام طويلة متتالية، ووضعت الأساس للمرجعيات المستقبلية في العلاقات الدبلوماسية بين البلدين^(٤). لقد أسفرت هذه المعاهدة عن شروط عدة، ومن أهمها:

❖ أن تكون بدرة، وجصان، ومندي، ودرنتك، والسهول الواقعة بين تلك المدن ومجموعة

العشائر المتنوعة التي تقطن تلك المنطقة تابعة للدولة العثمانية.

❖ يعد الممر الاستراتيجي المؤدي إلى شهرزور حداً جغرافياً فاصلاً بين الدولتين.

❖ تعد بغداد مدينة عثمانية^(٥).

(١) شيراز: تقع جنوب غرب بلاد فارس أسست في القرن السابع، واتخذت عاصمة لبلاد فارس ١٧٥٠-١٧٧٩، مقبرتا الشاعرين الفارسيين حافظ الشيرازي والسعدي. اشتهرت بصناعة السجاد والنسيج. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية...، مج ٤، ص ٢٠٦٠.

(٢) مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر العثماني (١٥١٦هـ/١٩١٦) دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩، ص ٦٠-٦١. الجميل، تكوين العرب...، ص ١٧٣-١٧٥.

(٣) المصري، معجم الدولة...، ص ١١٠.

(٤) كولن، سلاطين الدولة...، ص ١٦٧-١٦٩.

(٥) الجميل، تكوين العرب...، ص ١٦٩.

إن الحروب والحوادث قد سارت باتجاهات تنازلية متناقصة خلال فترة ١٦٣٩ - ١٧٢٠ بحيث إنها لم تؤثر بشكل كبير على العلاقات العثمانية - الصفوية، لكنه خلال أواخر القرن السابع عشر الميلادي اشتبك العثمانيون بعدة حروب في أوروبا كانت نتائجها غير حاسمة. وفي الوقت الذي أفلت أوروبا الشرقية حدودها بوجه الجيوش العثمانية، كان الأفغان قد هيموا على أصفهان عاصمة الدولة الصفوية ١٧٢٢-١٧٢٩؛ الأمر الذي أيقظ طموحات العثمانيين الاستراتيجية، فالتقوا من جديد نحو الشرق للتوغل في بلاد فارس بحكم السيطرة الأفغانية عليها^(١).

وما لبث أن تجدد الصراع بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية؛ ويكمن السبب وراء ذلك في الفوضى التي اجتاحت الدولة الفارسية، وقدمت فرصة ذهبية إلى الصدر الأعظم الداماد^(٢) إبراهيم باشا الذي أراد التوسع في آسيا لتعويض الخسائر العثمانية المستمرة في الولايات الأوروبية منذ فشل الحصار العثماني الثاني لفيينا^(٣) سنة ١٦٨٣؛ فضلاً عن قيام روسيا القيصرية^(٤) باجتياح فارس؛ بحجة أنها تنقذها من الوجود الأفغاني فيها، وقيام والي بغداد بإرسال رسالة إلى المير محمود يستوضح فيها عن نوايا الدولة الأفغانية في اجتياح الدولة الفارسية، فما كان من المير محمود سوى إرسال رسالة من قبل مبعوثه محمد صادق خان إلى والي يشجعه

(١) أصباغ، تاريخ العلاقات ...، ص ١٦٥-١٦٦. عبد اللطيف هريدي، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا، دار الصحوة، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧، ص ٧٩.

(٢) داماد: هو لفظ فارسي استعمل في التركية، ومعناه الصهر، وكان هذا اللفظ يستعمل مضافاً إلى الاسم بمعنى التشريف لمن كان متزوجاً من بنت السلطان، أو من أخته. المحامي، تاريخ الدولة...، ص ٣١٢.

(٣) هي عاصمة النمسا والمجر معاً قائمة على نهر الطونة، وكانت عاصمة الإمبراطورية الألمانية إلى أن سقطت سنة ١٨٠٩، وحاصرها العثمانيون مرتين الأولى في عام ١٥٢٩، والثانية عام ١٦٨٣، وفيها الكثير من المنزهات الجميلة، وهي أجمل مدينة في العالم بعد باريس الغناء الملقبة بجنة الفردوس الأرضية، المحامي، تاريخ الدولة...، ص ٢١٦.

(٤) في عام ١٧٢٢ بدأت حملة بطرس الأكبر على بلاد فارس، وكان عدد الجند حوالي ٤٤ ألفاً حيث توجهت الحملة إلى داغستان وأراضي أذربيجان الشمالية، ودخل الروس مدينة دربند، واتجهوا نحو باكو، وكانت من أهم العوامل التي جعلت القيصر الروسي يقوم بهذه الحملة، ومن ثم توقيع اتفاق مع الشاه الصفوي لتلبية طموحه في الوصول إلى المياه الدافئة، وتأمين المجال الحيوي للقيصرية الروسية، وهذا ما أثار حفيظة الدولة العثمانية؛ لكونها تعد المنطقة جزءاً من ممتلكاتها فما كان من فرنسا إلا التدخل لمنع نزاع بينهما حيث سيؤثر سلباً على مصالحها التجارية على الطريق الذي يخترق الدولة الفارسية، والمدن التي تخترق السلطنة العثمانية. طقوش، تاريخ الدولة الصفوية...، ص ٢٤٢. كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، الأمانة العامة للثقافة والشباب، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٧-٢٠.

فيها على المساعدة في الاستيلاء على الدولة الفارسية بأكملها؛ لتكون حليفة للدولة العثمانية، وبناءً على تلك المعطيات أصدر شيخ الإسلام فتوى من أجل الهجوم على البلاد الفارسية^(١).

فأوعزت الدولة العثمانية إلى ولايتها بمهاجمة الدولة الفارسية في الأماكن التي لم يستول عليها المير محمود الأفغاني، فتوجه كل من والي بغداد حسن باشا قائداً على جبهته، ووالي وان عبد الله باشا الكوبرلي قائداً على أنحاء تبريز وأذربيجان، أما والي أرضروم إبراهيم باشا السلحدار^(٢) قائداً على كنجة وروان^(٣).

فتقدم جيش والي بغداد نحو كرمنشاه، فسيطر عليها ثم اتجه نحو همدان للسيطرة عليها، وعلى المدن المجاورة لها، كما سيطر على لرستان وصاوق بولاق، لكن والي توقف مع قدوم الشتاء؛ لصعوبة اجتياز الطريق، ووعورته، ومع مجي فصل الربيع أكمل والي وان عبد الله باشا الكوبرلي نحو تبريز وأذربيجان في الوقت الذي أعلن فيه والي بغداد حسن باشا قائد عام للجيش العثمانية، ولكنه توفي، وأكمل ابنه أحمد باشا^(٤) والي البصرة مهمة قيادة الجيوش، فاتجه مستولياً على همدان، وجعل الأقاليم الغربية من الدولة الفارسية تحت حكم السيطرة العثمانية، وتقدمت الجيوش العثمانية في عمق الدولة الفارسية نحو أصفهان، ولكن فشلت في السيطرة على العاصمة كي تبدأ سلسلة مفاوضات للصلح، وأهم ما جاء فيها: الكف عن الحرب على أن تبقى كرمنشاه وهمدان، وما بينهما للدولة العثمانية وأن يبقى. أشرف خان الأفغاني حاكماً على الدولة الفارسية وتابعا للدولة العثمانية^(٥).

(١) رسول كركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة: موسى كاظم نورس، دار الكتاب العربي، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، د.ت، ص ١٧. هريدي، الحروب...، ص ٨١.

(٢) السلحدار مصطلح يطلق على حامل السلاح وقد أسس في عهد يلدرم بيلاز كان جمع الأسلحة ينشأ بين الشباب المتقدمين إلى هذا الموقع ومع مرور الوقت استمرت هذه الوظيفة حتى عهد محمود الثاني حتى عهد محمود الثاني أمجان، سليمان القانوني...، ص ٣١.

(٣) عباس العزاوي المحامي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، ٨ مج، دار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٥، ٢٣٨.

(٤) أحمد باشا ولد في مدينة جفلكة القريبة من إستانبول سنة ١٦٨٣ تولى ولاية شهرزور سنة ١٥١٧ ثم ولاية قونية سنة ١٧١٦ بعد ذلك ولاية حلب سنة ١٧١٧ بعدها نقلته السلطنة العثمانية إلى أورفة ثم تم تعيينه على ولاية البصرة التي مكث فيها حتى وفاة والده ١٧٢٤ ليصبح والياً على بغداد، العزاوي، موسوعة تاريخ العراق...، ج ٥، ص ٢١١. عبد الرحمن السويدي، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، منشورات المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٣، ص ٢٢٦-٢٣٥.

(٥) كركوكلي، دوحة...، ص ٢٢-٢٣. الجميل، تكوين...، ص ٢٤٦.

لم يرض هذا الاتفاق الشاه طهماسب، فاستعاد زمام المبادرة بمساعدة نادر خان^(١) لطرد الأفغان من الدولة الفارسية، فتمكن القائد نادر خان من السيطرة على أصفهان، وطرد الأفغان منها ومن معظم الأراضي التي كانت في حوزتهم في سنة ١٧٢٩ كما استطاع الحصول على همدان وكرمنشاه من العثمانيين ١٧٣٠، وكذلك تبريز عام ١٧٣١ إلا أن العثمانيين بقيادة والي بغداد أحمد باشا أعادوا احتلال كرمينشاه وهمدان، فتصدى لهم الشاه طهماسب وبعد أن أخفق في استرجاعهما، واندحر أمامهم عقد معاهدة عام ١٧٣٢ عرفت بمعاهدة أحمد باشا استعاد فيها الشاه بعض المناطق المحتلة من قبل العثمانيين وتنازل لهم عن مناطق أخرى في الشمال الغربي للدولة الفارسية^(٢).

لم يرض نادر شاه عن تلك المعاهدة لما فيها من تنازلات للدولة العثمانية، وعلى إثرها قام بخلع الشاه طهماسب ١٧٣٢ وتولية ابنه الصغير عباس الثالث شاهاً على الدولة الفارسية، وأصبح هو وصياً عليه، ثم توجه إلى بغداد على رأس جيش كبير للانتقام من واليها أحمد باشا، فاستولى أولاً على أربيل، وحاصر كركوك، ثم حاصر بغداد عام ١٧٣٣ لأكثر من ستة أشهر عانى خلالها أهالي بغداد المزار من طول الحصار، إلا أن الجيش الذي بعثه السلطان العثماني بقيادة طوبال عثمان باشا^(٣) تمكن من إلحاق الهزيمة بنادر خان الذي انسحب إلى داخل الدولة الفارسية، وأعاد تنظيم قواته بسرعة ورجع ليصطدم بطوبال عثمان قرب كركوك في ١٧٣٣،

(١) نادر شاه: ولد في خراسان سنة ١٦٨٨ من قبيلة تدعى افشار، وتزوج من ابنة زعيم قبيلته، فذاع أمره، ثم ورث الزعامة عم صهرة وألف تحالفاً قوياً من القبائل واستطاع مقاومة ملك محمود حاكم مشهد وساعد الشاه طهماسب في حروبه لذلك أكرمه بتوليته مناصب عليا، وعين وزيراً للتشريعات، ومنح لقب طهماسب قلي الذي يعني عبد طهماسب، وبعد ذلك خاض حروبه ضد الأفغان، واستولى على هرات وأصفهان، وقاد حملات ضد الدولة العثمانية، ولقب شاه سنة ١٧٣٦ للمزيد انظر: علي كامل السرحان، الحلة في عهد المماليك ١٧٤٩-١٨٣١ دراسة في الأحوال السياسية، مجلة آداب الكوفة، مجلد ١، العدد ٢٧، ٣٠ حزيران ٢٠١٦، ص ٤٨٨-٤٨٩.

Michael Axworthy, A history of Iran : empire of the mind, Basic book, United States of America.,2010,P151-154.

(٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية...، ص ١١٠-١١١. الجميل، تكوين...، ص ٢٤٧.

(٣) طوبال عثمان باشا: ولد في اليونان وتوقف في سراغيلو بإستانبول، وترفع بالمناصب حتى أصبح قائداً عاماً في اليونان، ثم والي الروم ايلي. وكانت الجروح قد شوهته حتى أن أحد هذه الجروح في رجله صار يلقي صعوبة في المشي عليها، ولذلك لقب بطوبال أي الأعرج، وبعد تقاعده عن منصب الصدر الأعظم سمع ما آلت إليه الأمور في بغداد، والغزو الفارسي لها فأصبح سر عسكر في آسية؛ ليرد الخطر عن العراق بأمر من الدولة العثمانية التي أعطته السلطة من أجل جمع القوات واستعمال الموارد المختلفة في الإيالات الشرقية. ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، بغداد، ط ٤، ١٩٦٨، ص ١٧٣-١٧٤.

ويظفر بالنصر في معركة فتك فيها القائد طوبال عثمان ثم عاد نادر خان بعد ذلك ليحاصر بغداد حصاراً شديداً، ولكنه سرعان ما فاوض أحمد باشا على الصلح في ١٧٣٣ بشروط يسيرة لاضطراره للعودة إلى بلاد فارس، وكانت تلك الشروط العود لحدود معاهدة ١٦٣٩^(١).

وقد تبلور ذلك الصلح على شكل معاهدة أبرمت عام ١٧٣٦ بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية، وقد أقرت المعاهدة حدود سنة ١٧٣٦ بين الدولتين، ونصت تبادل السفراء بينهما، وكان ذلك لأول مرة؛ فضلاً عن امتيازات حصلت عليها الدولة الفارسية بشأن زوارها إلى العتبات المقدسة في العراق، وحققها في تعيين أمير للحج وتبادل الأسرى.

إلا أن طموحات نادر شاه بعد أن انتهى من حملاته على الهند وبلاد الأفغان وتركستان جعلته يقوم بتجهيز جيش كبير على مدى ١٧٤١-١٧٤٣ للهجوم على العراق، وعسكر قسم من جنده قدر بسبعين ألف رجل بالقرب من بغداد، حيث اتجه إلى الموصل لمحاصرتها بعد أن سقطت مسالك العراق وخطوطه كاملة، وكل المدن العراقية المهمة وخاصة مدينتي كركوك وأربيل، وحاصر الموصل لمدة أربعين يوماً إلا أنه فشل في حصارها، ثم توجه نادر شاه بعد فشل حصار الموصل إلى بغداد وطلب من أحمد باشا بعد حصار قصير لهذه المدينة عقد صلح مع الدولة العثمانية، فاستجاب له على أن يبرم بعد موافقة إستانبول عليه، ثم مضى الشاه لزيارة كربلاء والنجف، وعقد عام ١٧٤٣ مؤتمراً لعلماء الدين السنة والشيعة بالقرب من النجف؛ كان هدفه المعلن التقريب بين المسلمين من السنة والشيعة، ثم عاد بعد ذلك إلى الدولة الفارسية^(٢).

وفي عام ١٧٤٦ توصلت الدولتان العثمانية والفارسية لعقد معاهدة جديدة تضمنت شروطاً عدّة، من أهمها:

- ❖ الإقرار بالحدود التي رسمت على أساس معاهدة زهاب ١٦٣٩.
- ❖ تيسير رحلات الحجاج الذين جاؤوا من الدولة الفارسية إلى بيت الله عن طريق بغداد -الشام.
- ❖ مبادلة السفراء بين الدولتين.
- ❖ عدم بيع الأسرى لدى كل من الطرفين، وفسح المجال لعودة الراغبين منهم.

(١) جميل موسى النجار، العلاقات العثمانية الإيرانية وتطوراتها وتأثير العراق فيها وانعكاسها عليه ١٨٢٣-١٨٧٥، الرافدين، بيروت، دار عدنان، بغداد، ط ١، ٢٠١٦، ص ٣٢-٣٣. عليان جالودي، التحولات الفكرية في العالم الإسلامي: أعلام وكتب وحركات وأفكار من القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠١٤، ص ١٩٠.

(٢) كوثراني، الفقيه والسلطان...، ص ٨٢-٨٤.

وتطبيقاً لفقرات الميثاق الذي عقد بين الدولتين، تم تعيين كسريه لي أحمد باشا^(١) سفيراً في الدولة الفارسية، وعين الشاه مصطفى خان سفيراً في إستانبول، وحمل كل واحد من السفيرين وهو متوجه إلى مقر عمله الهدايا، ونسخة مصدقة من المعاهدة، والتقى في بغداد ولكن السفير العثماني رجع إلى بغداد بعد وصوله إلى همذان لسماعه بمقتل نادر شاه الذي اغتيل في ٣٠ حزيران ١٧٤٧، بينما السفير الفارسي أقام في بغداد ريثما ينقشع الموقف في بلاده^(٢).
مما سبق يمكن القول: إن مسيرة العلاقات بين الدولتين العثمانية - الفارسية بعد وفاة نادر شاه، وصولاً إلى وصول كريم خان الزند إلى الحكم مهدت لحقبة جديدة من الصراع والتنافس بين الدولتين للهيمنة على العراق حيث فرض تحدياً جديداً سنتحدث عنه في الفصل القادم.

(١) الكسريه لي أحمد باشا: عمل سفيراً للدولة العثمانية في الدولة الفارسية وبعد عودته من مهمته استلم ولاية البصرة وساعد الدولة العثمانية بإنهاء الفتنة وأصبح والياً على بغداد عام ١٧٤٨، ولم يستمر طويلاً فيها وأعفي من منصبه بناءً على طلبه سنة ١٧٤٩. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق...، مج ٥، ص ٣٢٦-٣٢٢

(٢) عبد الله، تاريخ العراق...، ص ٣٢٧-٣٢٨.



أولاً- العلاقات العثمانية - الفارسية وأثرها على العراق (١٧٤٧ - ١٧٥٠).

١- تغيير الخريطة السياسية لبلاد فارس عقب اغتيال نادر شاه (١٧٤٧ - ١٧٥٠).

٢- موقف الدولة العثمانية من الاضطرابات في بلاد فارس عقب اغتيال نادر شاه.

٣- الأوضاع السياسية في العراق عقب اغتيال نادر شاه (١٧٤٧ - ١٧٥٠).

ثانياً- العوامل المباشرة لمهاجمة إمارة كعب من قبل القوات العثمانية والفارسية والإنكليزية (١٧٥٧ - ١٧٦٦).

ثالثاً- التحديات التي واجهت العلاقات العثمانية الفارسية وأثرها على العراق.

رابعاً- أسباب الهجوم الفارسي على العراق ١٧٧٥.

خامساً- مقدمات الهجوم الفارسي على العراق بشكل عام والبصرة بشكل خاص، وموقف الدولة العثمانية منه.

أولاً- العلاقات العثمانية-الفارسية وأثرها على العراق (١٧٤٧-١٧٥٠):

كانت الأحداث الدامية التي وقعت على الساحة العراقية بين الدولتين العثمانية - الفارسية قبيل عام ١٧٤٧، أثرت على الأمن والسلم في المنطقة، وأدت إلى حدوث توتر كبير، لكن مع وفاة نادر شاه سنلاحظ تغييرات على الخريطة السياسية، وهنا يجب فهم طبيعة التحولات التي أدت إلى حالة خفض التوتر بينهما.

١- تغيير الخريطة السياسية لبلاد فارس عقب اغتيال نادر شاه (١٧٤٧-١٧٥٠):

في أواخر حكم نادر شاه الفارسي (١٧٣٦-١٧٤٧)، قامت فتن واضطرابات في بلاد فارس، فانتهاز الفرصة علي قلي خان ابن أخ نادر شاه^(١) في دس الدسائس والمؤامرات ضد عمه بالتعاون مع رئيس بلاطه صالح خان الأفشاري الذي انشغل في محاربة إحدى القبائل الكردية التي ثارت عليه في منطقة كوشان^(٢)، فدخلوا إلى خيمته، وقتلوه بناء على أوامر من علي قلي خان؛ بحجة أنه أراد أن ينقذ الشعب من ظلمه، ويعيد الهدوء والأمن إلى المنطقة^(٣).

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن، كيف أصبحت بلاد فارس بعد قتل نادر شاه؟

يمكن الإجابة عن ذلك بالقول: إن مقتل نادر شاه (١٧٣٦-١٧٤٧) من قبل المتآمرين أدى إلى حدوث خلافات ومنازعات بين قواده، فقد نهبوا الخيام، ووصلت الأمور إلى درجة الاقتتال فيما بينهم، وانتهت بوضع علي قلي خان شاهاً على بلاد فارس الذي كان في هرات،

(١) علي قلي خان: الابن البكر لشقيق نادر شاه (ابراهيم خان)، ولد في عام ١٧١٩ في مقاطعة خراسان وتوفي في مشهد عام ١٧٤٩ تزوج من ابنة الملك الجورجي، وكما تزوج من ابنة حاكم بخارى وكان قائداً عسكرياً للحملات أيام نادر شاه، ولكن اشتبه نادر شاه بولائه ففرض عليه ١٠٠٠٠٠٠ تومان؛ مما أثار تمرداً ضد عمه نادر شاه؛ لذا قاد ثورة ضد عمه في الأجزاء الشمالية من الدولة الفارسية، وحظي بتأييد معظم أبناء القبائل والعشائر الفارسية، كما قام بالتخلص من أبناء عمومته؛ أولاد نادر ليصبح شاهاً على فارس، ولقب بعاذل شاه أفشار عندما تولى حكم الدولة الفارسية عقب وفاة نادر شاه. الجاف، موسوعة تاريخ ايران...، ج٣، ص١١٧-١١٨.

J. R.Perry, "ADEL SHAH AFSAR," Encyclopedia Iranica, <http://www.iranicaonline.org/articles/adel-shah-afsar-the-royal-title-of-ali-qoli-khan->

(٢) كوشان: مدينة في أقصى شمال شرق بلاد فارس قريبة من مشهد ...، شامي، موسوعة المدن...، ص٢٨٢.

(٣) Sir Henry Mortimer, Durand, Nadir Shah, T. And A. Constable, Printers To His Majesty At The Edinburgh University Press, London, 1908, P384-352. P. M. SYKES, C.M.G., C.Le., A History Of Persia, 2 Vol., Macmillan And Co., Limited St. Martin's Street, London, 1915, Vol 2, P367-369. Axworthy, A history of Iran..., P163-164.

وعاد إلى مشهد^(١)؛ للتخلص من أولاد عمه وأقربائه وعشيرته وجميع الأمراء؛ خوفاً من حشد قوة ضده لتدميره والقضاء عليه^(٢).

وهكذا اتضح أن علي قلي خان قد استعمل نهجاً صدامياً مع أولاد عمه للسيطرة على السلطة، حيث أرسل سهراب رئيس خدمه إلى كلات للقضاء على أولاد نادر شاه وأحفاده حيث استطاع إلقاء القبض على ابن نادر خان علي رضا قلي ميرزا وشاهرخ حفيد نادر شاه، بينما استطاع الباقي الهرب إلى مرو، وعلى إثر ذلك خرج كاظم ميرزا شقيق علي نادر شاه خلف الهاربين من أقرباء نادر شاه، لكنه لم يتمكن من اللحاق بهم، فأمر أحد قواده الأقوياء دوست محمد باعتقال جميع أقرباء نادر شاه، فألقي القبض عليهم وتم إرسالهم إلى علي شاه لاتخاذ ما يراه مناسباً في حقهم^(٣).

(١) مشهد: يرجع تسميتها تيمناً بمقام الإمام علي بن موسى الرضا ومشهده، وكانت تسمى طوس في القدم، تقع في الجهة الشمالية الشرقية من بلاد فارس على الحدود الفارسية الأفغانية التركمانستانية، وتبعد عن طهران حوالي الألف كم، من أهم مدن خراسان في المنطقة الشمالية الشرقية من بلاد فارس فيها بساتين، ورياض، ومياها عذبة وفيها صناعة السجاد، والأقمشة الحريرية، والصوفية والقطنية، شامي، موسوعة المدن...، ص ٢٨٣-٢٨٥.

(٢) عهود عباس أحمد، حكم كريم خان الزند والأسرة الزندية ١٧٥٩-١٧٧٩، مجلة دراسات إيرانية، جامعة البصرة، العدد: ٨-٩-٢٠٠٨، ص ١٨١-١٨٢. الجاف، موسوعة تاريخ...، ص ١١٧-١١٨. مينورسكي، مختصر تاريخ...، ص ٦١-٦٢.

William Jones, The History Of The Life Of Nader Shah, King Of Persia. Extracted From An Eastern Manuscript, With An Introduction ... And An Appendix, William Jones, J. Richardson, London, 1773, P112-115.

(٣) أحمد كاظم البياتي، عادل شاه وحكمه لإيران ١٧٤٧-١٧٤٨، مجلة العلوم الإنسانية كلية التربية، جامعة بابل، مجلد ١ العدد ٨، ٢٠١١، ص ٩٥-٩٦.

وعلى ضوء ذلك؛ قام علي خان بقتلهم جميعاً ماعدا شاهرخ^(١) حفيد الشاه حسين الصفوي من أمه فاطمة الذي كان عمره لا يتجاوز الرابعة عشرة؛ ليحكم باسم شاهرخ؛ نتيجة تخوفه من قيام ثورة ضده من قبل الأهالي^(٢).

وانطلاقاً من ذلك تمكن من الاستيلاء على العرش باسم عادل شاه، حيث حاول كسب ود الدولة العثمانية من خلال إرسال مبعوث إلى إسطنبول؛ لمواصلة الجهود في التأكيد على ضرورة التزام الصلح المنعقد بين الدولتين في عهد نادر شاه (١٧٣٦-١٧٤٧) عام ١٧٤٧ من خلال تبادل السفراء وإقامة علاقة حسن الجوار^(٣).

وفي المضممار نفسه؛ قام عادل شاه بعقد اجتماع مع روسيا؛ لتحقيق حلف دفاعي هجومي في تموز عام ١٧٤٧ ، غير أن روسيا لاتزال قلقة إزاء الأوضاع الأمنية غير المستقرة في بلاد فارس، فتعاملت مع ذلك بحذر، وعموماً لم تتعارض المخاوف الروسية مع إقامة معاهدة تجارية تفيد كلاً من البلدين^(٤).

إلا أن حكم عادل شاه لم يدم مدة طويلة؛ بسبب الاضطرابات وضعف السلطة المركزية، مما أدى إلى وقوع خلافات بينه وبين أخيه إبراهيم ميرزا الذي حرّض قادة أصفهان للانقلاب عليه، فأرسل عادل شاه صهره سهراب خان^(٥) إلى شقيقه إبراهيم ميرزا؛ لإقناعه بالعودة إلى مشهد غير أن إبراهيم ميرزا كان متخوفاً من مؤامرة تحاك ضده لذلك بلغ سهراب خان أنه موالياً

(١) شاهرخ: هو ابن رضا قلي ميرزا حفيد نادر شاه، تعرضت أسرته إلى الإبادة على يد عادل شاه ، ولم يبقوا على أحد غيره، كان في الرابعة عشرة من عمره، حاول عادل شاه إخفاءه في مشهد، وكان هدفه من ذلك أن يجلسه على العرش إذا اعترض الشعب عليه وأصروا أن يكون الشاه من الأسرة الصفوية؛ بحجة أن شاهرخ يعود نسبه إلى السلالة الصفوية من جدته لأبيه ابنه شاه سلطان حسين الصفوي التي تزوجها نادر شاه. واتخذ إجراءات مشابهة لسابقيه في القضاء على منافسيه على السلطة، فلم يختلف عنهم في القسوة والاستبداد ، ودام ملكه في خراسان زهاء خمسين عاماً من عام ١٧٤٠-١٧٩٦، في الوقت الذي كانت فيه الدولة الفارسية تعاني الحروب والفتن والاضطرابات من جراء التنافس على السلطة والحكم وتمكن كريم خان الزندي من استغلال الظروف السياسية المشينة والفوضى من تأسيس الدولة الزندية. عبد الله لفته حالف البديري، الصراع السياسي على العرش في بلاد فارس، وتولي آغا محمد شاه السلطة ١٧٧٩-١٧٩٧، أطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية التربية ابن رشد، جامعه بغداد ، ٢٠١١، ص١٢١-١٢٢.

(2) Sykes, History Of..., P370-371. Jones, The History Of..., P116

الجاف، موسوعة تاريخ...، ص١١٨

(٣) البياتي، عادل شاه...، ص٩٧.

Jones, The History Of..., P116

(٤) البياتي، عادل شاه...، ص٩٧.

(٥) سهراب خان: رجل مسيحي شقيق زوجة عادل شاه، وأصبح ذا مكانة عندما تولى عادل شاه الحكم، إذ أوكل إليه وظيفة مسؤول الصندوق، وقائداً للجيش البياتي، عادل شاه...، ص٩٨.

لعادل شاه، ويأتمر بأوامره لكي يطمئن سهراب باشا من ناحيته، فانتهاز إبراهيم ميرزا الفرصة لقتل سهراب خان قائد الجيش في الحمام^(١).

واستناداً إلى موقف إبراهيم ميرزا في الهجوم الذي نفذه ضد عادل شاه خصوصاً بقتل سهراب خان، جعل عادل شاه يدرك خطورة الأمر، فأرسل رسالة إلى أخيه إبراهيم، وأخبره بضرورة التآني حتى لا يتفاقم الوضع إلى حرب أهلية في البلاد، ودعاه إلى التكتاف والتلاحم بدلاً من القتال من أجل الاستعداد لقتال أمير أصلان، ولكن أصر إبراهيم ميرزا على مواقفه المعادية لأخيه، فاشتبكت قوات الطرفين في منطقة كرمنشاه^(٢)، وانتهت بدخول قوات إبراهيم ميرزا للمدينة والاستيلاء على المدافع والأسلحة المخزنة فيها، وعندما رأى حاكم أذربيجان أصلان^(٣) الوضع أصبح سيئاً اتجه إلى إبراهيم ميرزا يعلن ولاءه له، ويدعوه لتنفيذ استراتيجيات تعزز التضامن ضد عادل شاه، وذلك في سبيل إذكاء نار الفتنة بين الشقيقين.

إن تردي الأوضاع بين الشقيقين جعلت جميع الوسائل السلمية غير ممكنة لتسوية الأمور، فأرسل عادل شاه حملة ضد أخيه؛ مستجداً بأمر أصلان، والتقى الطرفان في السلطانية وزنجان^(٤) حيث دارت المعركة، وانتهت بفوز إبراهيم ميرزا، وألقي القبض على عادل شاه الذي سُمِلت عيناه، وبذلك أعلن إبراهيم ميرزا نفسه حاكماً للبلاد في عام ١٧٤٨، واتخذ من تبريز^(٥) عاصمة له^(٦).

(١) أحمد، حكم كريم...، ص ١٨٣.

(٢) كرمنشاه: مدينة فارسية قديمة كان اسمها قرمسين، ومن أهم الثغور الفارسية، وهي مدينة جبلية تقع إلى الشمال من خرم آباد، والغرب من همذان قريبة من الحدود العراقية الفارسية، مناخها بارد، وهواؤها طيب، وماؤها عذب وهي غنية بالحبوب والكروم، والزروع ويمر بها نهر الكرخة أحد أهم روافد نهر دجلة بالعراق، فيها العديد من الصناعات النسيجية القطنية، والكتانية، والسجاد، والسكر. شامي، موسوعة المدن...، ص ٢٨١-٢٨٢.

(٣) أمير أصلان ابن عم نادر شاه واحد من القادة البارزين في جيشه؛ إذ كانت تحت إمرته قوات من أذربيجان. البياتي، عادل شاه...، ص ٩٨.

(٤) زنجان: مدينة بجيلان تشتهر بصناعة الخزف، والسجاد، ومنها انطلقت الدعوة البابية سنة ١٨٥٠...، ص ٢٦٦. شامي، موسوعة المدن...، ص ٢٢٦.

(٥) تبريز: تقع في الشمال الغربي لبلاد فارس إلى الشرق من بحيرة أورمية التي تبعد عن طهران ٥٠٠ كم، مناخها بارد شتاءً، ومعتدل صيفاً. وتشتهر بصناعة السجاد الفاخر، والأقمشة الصوفية، والقطنية، والحريية، والكتانية. وتبريز قديماً كانت مسورة بسور من الآجر والجص...، يحيى شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٦) ج.ج. لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، ترجمة: مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، طباعة على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، قطر، ١٩١٤، ص ١٤٢.

إذاً، نجح عادل شاه في القيام بالثورة ضد نادر شاه من أجل الوصول إلى الحكم، كما عقد اتفاقاً مع العثمانيين والروس؛ لإحلال الأمن والسلام، لكنه دخل في صراعات الحكم مع أخيه إبراهيم انتهت بوصول إبراهيم ميرزا إلى الحكم في فارس من سواحلها الجنوبية حتى أذربيجان.

ولكن في نهاية المطاف نجد أن إبراهيم ميرزا بعد حوالي سنة هُزم على يد أتباع شاهرخ حفيد نادر شاه الذي أمر بسملي عينيه؛ بسبب قتله لأخيه عادل شاه، وانتقاماً لما حلّ بنادر شاه وأقربائه، وعلى الرغم من ذلك لم يدم حكم شاهرخ على العرش؛ بسبب الانقلاب الذي قام به رجل يدعى ميرزا سيد محمد بن مير داوود متولى الروضة الرضوية من أعيان خراسان، وزوج أخت سلطان حسين الصفوي، حيث استطاع أسر شاهرخ، وسملي عينيه بعد أن اغتصب العرش، وتلقب بالشاه سليمان، كما أنه لم يبقَ في الحكم مدة طويلة، فقد تمكن قائد الجيش من أتباع شاهرخ (يوسف علي) و قتل ميرزا سيد محمد مع عائلته، ونصب شاهرخ على العرش مرة أخرى إلا أن قائد القوات العربية مير علم خان، وقائد القوات الكردية جعفر خان تأمرا للاستيلاء على العرش، ولكن دبّ خلاف عميق بينهم انتهى بانتصار مير علم خان الذي نصّب نفسه حاكماً على بلاد فارس.

وحقيقة الأمر أن المنافسات ازدادت بين القادة على بلاد فارس أدت إلى مهاجمة أحد قادة نادر شاه، وحاكم أفغانستان أحمد خان الابدالي للسيطرة على الحكم في بلاد فارس، حيث استطاع قتل مير علم خان، وإقامة دولة في خراسان عيّن عليها شاهرخ حتى عام ١٧٩٦، وخلفه ابنه نادر ميرزا^(١)، ثم قضى عليه فتح علي شاه الذي أنهى حكمه من خراسان، وعلى إثر ذلك زالت الدولة الأفشارية^(٢).

Frederika von Freygang, Wilhelm von Freygang, Letters from the Caucasus and Georgia: To which are Added, the Account of a Journey Into Persia in 1812, and an Abridged History of Persia Since the Time of Nadir Shah, Harvard University, 1823, p337.

(١) نادر ميرزا: ابن شاهرخ بن رضا قلي بن نادر الأفشاري المقتول ١٢١٨هـ، وهو آخر سلاطين الدولة الأفشارية هرب إلى أفغانستان ١٢١٠هـ بعد اعتقال والده وتعذيبه، وقتله من قبل آغا محمد خان القاجاري في عهد فتح علي شاه القاجاري، عاد إلى مشهد مقر الدولة الأفشارية، وقاد الجيوش، واستقل في خراسان، وفي شهر رمضان ١٢١٨ استعاد القاجاريون مشهد، واعتقلوه وسبق إلى طهران مخفوراً وأعدم في نهاية شهر ذي القعدة من السنة نفسها. محمد صادق الكرياسي، معجم المشاريع الحسينية - دائرة المعارف الحسينية، ج٣، المركز الحسيني للدراسات، لندن، ٢٠١٩، ج٣، ص٢٢٨.

(٢) عباس إقبال آشتياني، تاريخ إيران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥ / ٨٢٠ - ١٣٣٤هـ/ ١٩٢٥)، ترجمة: محمد علاء الدين منصور، راجعه: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص٧٢٤.

وأخيراً يمكن القول: إن هذه الفوضى في بلاد فارس أدت إلى تردي الأوضاع نتيجة الحرب الأهلية، كما ترتب على هذا خروج كريم خان منتصراً من الصراع، وتأسيس الأسرة الزندية التي احتفظت بسلطانها حتى ١٧٩٤، واختياره شيراز^(١) عاصمة لملكه.

٢- موقف الدولة العثمانية من الاضطرابات في بلاد فارس عقب اغتيال نادر شاه:

كانت الدولة الفارسية حافلة بالفوضى خلال أعوام الصراع بين القوى المتنافسة على السلطة عقب وفاة نادر شاه التي أدت إلى خسائر في الأرواح، وأضرار جسيمة في البلاد، غير أن الدولة العثمانية لم تُعِر اهتماماً كبيراً للكوارث التي مسّت الدولة الفارسية، حيث عدتها شأنًا داخلياً؛ لكون حدّة المنافسة فيما بينهما قد خفّت خصوصاً بعد تنفيذ معاهدة الصلح التي عقدت بين الدولتين عام ١٧٤٧؛ فضلاً عن ذلك شكّلت الأخطار التي هدّدت أمن الدولة العثمانية واستقرارها واحداً من أكبر الهواجس التي شغلتها داخلياً وخارجياً، ولاسيما حروبها مع روسيا القيصرية، ومطامع الدول الأوروبية في منطقة المشرق العربي^(٢).

وفي الوقت نفسه؛ الاقتصاد والسياسة توّعمان لايفصلان هذه هي الحقيقة التي قد أنهكت الدولتين اقتصادياً وعسكرياً نتيجة حربهما ضد بعضهما؛ لذا ترقبت الدولة العثمانية ماستؤول إليه الأمور، ولم تندفع للتدخل أو إرسال أي حملة عسكرية ضد الدولة الفارسية على الرغم من طلب السفير الفارسي مصطفى خان مساعدة الدولة العثمانية للوصول إلى السلطة، حيث عرض مايريده السفير الفارسي مصطفى خان في رسالة كتب مضمونها الباحث رسول الكركوكلي في كتاب دوحة الوزراء في تأريخ وقائع بغداد الزوراء: "جئت إلى هذه الديار كما تعلمون ممثلاً ومندوباً من قبل نادر شاه وسفيراً للمملكة الفارسية"^(٣)، ولكن الظروف حالت دون قيامي بالواجبات الملقاة على عاتقي، ولقد غمرتموني بالطفكم كل هذه المدة التي أقمت خلالها بين

Freygang, Freygang, Letters from the Caucasus and..., p378-379.

(١) شيراز: مدينة قديمة كانت قصبة من بلاد فارس، وسميت بشيراز بن طهمورث، وهي من المدن التي استجذت عمارتها واختطاطها في الإسلام، تقع جنوبي غربي جبال زاغروس، وتبعد عن طهران باتجاه الجنوب حوالي ١٥٠٠ كم، وهي من ألطف مدن الدولة الفارسية مناخاً، واعتدالاً، وطيب الهواء، وتتميز بكثرة الغلال، والفواكه، والخضار، والورد، والعيون، كما تشتهر بصناعاتها التقليدية في السجاد الفاخر، وصناعة الأواني الخزفية، والنحاسية، وأقمشتها، الصوفية، والقطنية، والكتانية، وغيرها من الصناعات...، شامي، موسوعة المدن...، ١٩٩٣، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) مجموعة باحثين، العرب وإيران مراجعة في التاريخ والسياسة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٠، ص ٤١-٤٤.

(٣) يجدر بالذكر القول إن الكاتب كركوكلي كتب الإيرانية ولكن أبدلتها الباحثة بالفارسية ليصبح هناك توحيد في المصطلح.

ظهرانكم، فلعل الدولة العثمانية تتخذ مني سداً حائلاً دون تقدم المسقوف، مع العلم أن أتباعي لا يقتلون عن عشرة آلاف مقاتل كلهم من عشيرتي الخاصة، فإذا ما نلت مساعدتكم، فسأتقدم لاحتلال كرمنشاه، وهمدان، وأصفهان، وقزوین^(١) ثم سائر البلاد الفارسية وأجعلها تحت قبضتي بدون مزاحم، وكل ما أتمناه أن تمدوني بمقدار من رجالكم العسكريين، وأن توعدوا بأن تكون القوات الموجودة في كردستان تحت إمرتي، وسأجعل البلاد الفارسية من أطوع البلاد لكم ولي الأمل بأن أنال ثقتكم وعطفكم ..."^(٢).

ناشد السفير الفارسي الدولة العثمانية بهذه الطريقة؛ لتحقيق مزيد من الفرص في الوصول إلى عرش الدولة الفارسية، وبدلاً من قيام الدولة العثمانية بتنفيذ طلباته جرى تدبر الأمر بعناية كبيرة منها، عن طريق الرد على السفير بسلسلة مع مطالبتها له بالامتناع عن أي عمل يُخلُّ الأمن والسلام في البلاد، وبهذا الصدد تحدث الباحث الكركوكلي في كتابه دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء عن الجواب الذي أرسلته الدولة العثمانية إلى مصطفى خان بقوله: "نرجو أن تعلموا بأن الدولة العلية لا تريد أن تفكر في الإقدام على أي عمل يخالف ماأبرمته من العهود والمواثيق مع أن الوضع في البلاد الفارسية أصبح في غاية الخطورة والحرجة، وأصبحت الفوضى ضاربة أطنابها هناك بحيث يستطيع أي طامع اجتياحها بسهولة، فإننا قد أصدرنا تعليماتنا إلى ضباط الحدود أن لا يتقدموا خطوة واحدة داخل الفارسية، وأكثرنا من الوعيد لكل من تسول له نفسه الإقدام على أي عمل طائش يسيء إلى سمعتنا، وإلى مواثيقنا، والتزاماتنا مع العلم أننا لم نشاهد أية حركة معادية من البلاد التي ذكرتموها، ولا من العشائر المجاورة لحدودنا تبرر التدخل في شؤونها"^(٣).

وفي الواقع يمكن القول: إن الدولة العثمانية لم تجد في توسعاتها ضد الدولة الفارسية فرصة مؤاتية لها، ولا سيما أنها تخشى من صعود قوى تسيطر على السلطة، وتكبد خسائر جسيمة في ظل أوضاعها الراهنة؛ لذا عملت على مواجهة مشروع السفير الفارسي، وحاولت منع أي خطر يهدد حدودها مع الدولة الفارسية، وإجهاض أي محاولة للتدخل في الشؤون الداخلية. حفاظاً على بنود المعاهدة التي قامت بين الدولتين سنة ١٧٤٧، وبدأت تفكر بالإبقاء على

(١) قزوین: مدينة فارسية مشهورة غرب مدينة طهران، وعلى الطريق المؤدية من طهران إلى تبريز، وتقع على السفوح الغربية الجنوبية من جبال البرز، وهي باردة شتاءً ومعتدلة المناخ صيفاً. ومن أهم صناعاتها اليدوية السجاد والنسيج والمفروشات وإليها ينسب بحر قزوین الواقع إلى الشمال منها مع أنه يبعد عنها حوالي ١٠٠ كم. شامي، موسوعة المدن...، ص ٢٧٥.

(٢) دوحة الوزراء...، ص ١١٠-١١١. نورس، العراق في...، ص ٢١٢-٢١٣.

(٣) ص ١١١-١١٢.

السفير الفارسي في مدينة بغداد إلى أن تستقر الأمور؛ خوفاً من القيام بأي خطوة لا يحمد عقابها^(١).

وهكذا فإن الأزمة الداخلية التي تعرضت لها الدولة الفارسية، انعكست آثارها إيجاباً على ولاية العراق؛ لكونها بقيت بمنأى عن مطامعها بين عامي (١٧٤٧-١٧٧٣)^(٢).
إذاً، إن اتباع الدولة العثمانية طريقة السلم والامتناع عن التدخل العسكري في سياستها تجاه الدولة الفارسية عقب وفاة نادر شاه، لم يكن ذلك سوى لحماية نفسها من التحديات والمشكلات التي واجهتها في ظل المتغيرات الدولية والإقليمية.

٣- الأوضاع السياسية في العراق عقب اغتيال نادر شاه (١٧٤٧-١٧٥٠):

عند دراسة الأوضاع السياسية في العراق من المهم معرفة أن ظهور فئة من المماليك^(٣) في السلطة يعود إلى حسن باشا^(٤) وابنه أحمد باشا (١٧٠٤-١٧٤٧)، حيث أراد أن يتمتع العراق بحكم ذاتي بعيد عن السلطة المركزية، ولأسيما أن العامل الجغرافي في العراق له أهمية كبيرة في التأثير على تاريخه.

(١) النجار، العلاقات العثمانية....، ص ١١٠-١١٢.

(٢) نورس، العراق في...، ص ٢١٤.

(٣) المماليك: عرف المماليك بالكوله أو الكولمند، وهو مصطلح عثماني يشار به إلى الأرقاء، ولأسيما البيض منهم، وتعود أصولهم إلى منطقة تفلين التابعة لبلاد الكرج، وقد جيئ بهم إلى أراضي الدولة العثمانية، وأسسوا سلالات حاكمة منها في مصر حيث قضى عليها سليم الأول وسلالة في العراق تولت حكم بغداد ويعود الفضل في ذلك إلى حسن باشا إلى أن قام الوالي علي رضا باشا بال القضاء، وإنهاء حكمهم في العراق ١٨٣١. عماد عبد السلام رؤوف العطار، الحياة الاجتماعية في العراق إبان عهد المماليك ١٧٤٩-١٨٣١، المشرف: أ.د. السيد رجب حراز، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في قسم التاريخ، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٧٦، ص ٨٥-٨٧.

(٤) حسن باشا: مؤسس حكم المماليك في القرن الثامن عشر، ولد في عام ١٦٥٧ في منطقة الروميلي من أبوين مصطفى بك وفاطمة خاتون، حيث يرجع بأصوله إلى شعوب أوروبا الشرقية، تدرج في المناصب في القصر العثماني حتى عام ١٦٩٧ منها منصب الجيفرشي باشي أي جندي من الجنود المختصين في الأسلحة، ومخازن الأسلحة، وأسندت إليه ولاية قونية، ثم أسندت إليه حلب ١٦٩٨ ثم تولى ولاية الرها، ثم أسندت إليه ولاية ديار بكر سنة ١٧٠٢، ثم نقل إلى ولاية بغداد، واستمر فيها إلى نهاية حياته عام ١٧٢٣ حيث توفي في أثناء استعداده للقيام بحملة على مدينة همدان، ولم يخلف حسن باشا سوى ولد واحد أحمد باشا وابنتين هما فاطمة خاتون وصفية خانم وقد دفن بجوار الإمام حنيفة النعمان بن ثابت. عبد الواحد ذنون طه، مؤسس نظام المماليك في العراق، حسن باشا مؤسس نظام المماليك في العراق، مجلة المورد، مجلد ٣ عدد ٣، منارة الثقافية والإعلام دائرة الشؤون الثقافية، العراق، ١٩٧٤، ص ٤٥-٤٩.

في الوقت نفسه؛ بدأ الضعف والانحدار يسري في جسد الدولة العثمانية والفارسية لصالح صعود المماليك إلى الحكم في العراق، ومن أهم الأسباب التي ساعدت المماليك في الصعود إلى الحكم:

- ١- إنهاك الدولة العثمانية، والفارسية عسكرياً ومالياً؛ بسبب الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية من جهة، ومع بعضهما من جهة أخرى مما أدى إلى إخفاقهما.
- ٢- الهيمنة الأوروبية على الاقتصاد في كلا الدولتين (العثمانية- الفارسية)؛ لمنحهم الامتيازات^(١) التي استغلوها في التوسع والتدخل؛ للسيطرة على منطقة المشرق العربي^(٢).
- ٣- إن الدولة العثمانية لم تقم بإصلاح شامل في البلاد حيث تركت العصبية العربية والكردية على ماكانت عليه، وظلت أداة الحكم على ماكانت عليه؛ بل استمر تدهور القوى العسكرية العثمانية سواء الانكشارية أو الاقطاعية، وهذا التدهور في تلك القوة العسكرية في العراق ليس سوى امتدادٍ للانحلال العام الذي دبَّ في الفرقة الانكشارية، وفي نظام الإقطاعيات العسكرية في مختلف ولايات الدولة، فكان طبيعياً أن يزداد الولاة اعتماداً على القوة المحلية وهذه القوات المحلية كانت أضعف من أن تبسط سيطرة الولاة كاملة على مختلف أجزاء العراق، ولذلك نمت قوة العصبية الكردية والعربية، وظل العراق يعاني الفتن الداخلية والثورات الانكشارية والتمردات العشائرية والتهديدات الفارسية، والأزمات الاقتصادية، ومن الأوبئة والفيضانات^(٣).
- ٤- قيام عدد من الحكومات المحلية في مدن العراق الرئيسية منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وحتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي شأن معظم ولايات الدولة العثمانية بعمامة والولايات العربية بخاصة، فقد أدى ضعف السلطة المركزية في إستانبول، وتراجع الوجود العثماني المباشر عن ولاياتها إلى قيام الحكم المحلي، استطاع أن يملأ فراغ القوة الناجم عن ذلك التراجع، فظهر أقاليم عربية مختلفة وحكم محلي نسق بين استقلالها الإداري والعسكري، وبين وجودها ضمن السيادة العثمانية مثل آل العظم في دمشق، وآل القرمانلي في طرابلس الغرب، وحكومة علي بك الكبير في مصر.

(١) الامتيازات: هي مجموعة من الحقوق التي تمنح للدولة الأجنبية من قبل دولة أخرى بناء على اتفاق، أو معاهدة مبرمة بينهما. حليلة بغزو، الامتيازات الأوروبية في المنطقة العربية سكة حديد بغداد أنموذجاً ١٨٧١-١٩١٤، إشراف: بلقاسم ميسوم، مذكرة ماستر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ المعاصر جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠١٨-٢٠١٩، ص٧.

(٢) مجموعة باحثين، العرب وإيران مراجعة في التاريخ والسياسة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٠، ص٤١-٤٤.

(٣) نوار، تاريخ العراق...، ص١٢. طقوش، تاريخ العراق...، ص٤٥.

منذ مطلع القرن السابع شهدت الولايات العراقية عشر محاولات متعددة لقوى محلية استهدفت تأسيس حكومات وراثية، اعتمد بعضها على المماليك المجلوبين من القوقاز، وساهمت في تغيير خصائص الحكم العثماني للبلاد على نحو ميز عهدهم عن سائر عهود السيطرة العثمانية المباشرة^(١).

إذاً، ظهر المماليك في العراق منذ ١٧٤٧ كقوة احتكرت الحكم، وبذلك يرجع الفضل إلى ظهور هذه الفئة إلى حسن باشا، وابنه أحمد باشا (١٧٠٤-١٧٤٧) كما أسلفنا بالقول حيث أراد أن يتمتع العراق بحكم ذاتي بعيد عن السلطة المركزية، وهذا يتطلب وجود جيش قوي قادر على التصدي للاعتداءات الخارجية والتحديات المختلفة والقضاء على انتفاضات العشائر والتمردات الانكشارية التي لم يعد بالإمكان الاعتماد عليها في مثل هذه المهمات، ولم يكن الجيش الذي أراد حسن باشا تكوينه ينتمي إلى عصبية عنصرية، أو دينية، أو مذهبية؛ بل كان ولاؤه إلى شخص الوالي. وبالتالي نجد أن الوالي حسن باشا بدأ بتجنيد الغلمان من الرقيق الأبيض حيث اشترى أعداداً منهم من تقليس في جورجيا، وأودعهم في مدارس لتعلم القراءة، والكتابة، والتدريب العسكري وفق الأسلوب المتبع في إستانبول آنذاك؛ ليكونوا بديلاً من تلك القوات الانكشارية، وسار ابنه أحمد باشا الذي تولّى الحكم ١٧٢٤-١٧٤٧ من بعده على النهج نفسه؛ معتمداً اعتماداً كبيراً على المماليك في إدارة شؤون الحكم بعد أن صاهر مملوكه سليمان آغا الملقب بأبي ليلة^(٢)؛ بهدف الاحتفاظ بحكم بغداد، لعدم وجود ولد يرثه حتى قضى العثمانيون على ممالك العراق في عام ١٨٣٠^(٣).

كشفت وفاة والي بغداد أحمد باشا عام ١٧٤٧ عن أسرار الصراع الخفي بين عساكر الكرج الكولمند (المماليك) ببغداد والسلطة العثمانية في إستانبول، حيث إن السلطان العثماني محمود الأول (١٧٣٠-١٧٥٤) انتظر الفرصة المناسبة لإعادة العراق إلى السلطنة العثمانية؛

(١) نوار، تاريخ العراق...، ص ١٣-١٤. طقوش، تاريخ العراق...، ص ٤٥-٤٦.

(٢) سليمان باشا أبوليلة كان أول حاكم من ممالك تولّى حكم العراق عام ١٧٤٩، ولقب بذلك؛ لأنه كان يخرج في الليل لتفقد الرعية، ويراقب عمل الدوائر في ضرب العابثين، والقضاء على العابثين بالأمن والخارجين عن القانون، وقد كان حازماً قوياً إلا أنه ضعيفاً مسلوب الإرادة أمام زوجته عادلة خاتون. باقر ياسين، تاريخ العنف الدموي في العراق الوقائع - الدوافع - الحلول خمسة آلاف سنة من العنف المتواصل، دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٩، ص ٢١٧.

(٣) إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٦، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ٢٠٠٥، ص ٩١-٩٢.

وذلك بتقسيمها إدارياً بفصل البصرة^(١) عن بغداد، وربطهما بشكل مباشر باستانبول^(٢)، كما أصدرت الحكومة العثمانية أوامرها بتعيين الحاج أحمد باشا والياً على بغداد، وتعيين سليمان باشا والياً على أضنة؛ لمنعه من منافسة الوالي الجديد على منصبه، وتعيين كسريه لي أحمد والياً على البصرة^(٣).

من الواضح للوقائع أن عدم تمكن الحاج أحمد باشا من إحكام القبضة على زمام الأمور في المنطقة؛ أدى إلى فقدان فرصته في إعادة الأمن، والاستقرار إلى الولاية، ولاسيما أن جهود المماليك متكاثفة مع جماهير الشعب المؤيدة لهم بتعيين سليمان باشا في الوقت نفسه، صارت العشائر تمارس أعمال العصيان، والتمرد ضد الوالي في الآونة الأخيرة؛ لأنه فرض ضرائب جديدة للاستحواذ على واردات للخرينة^(٤).

كما أثارت الفرق الانكشارية قضية المطالبة بأجورهم من الوالي، وتحول هذا الأمر إلى تمرد، وقد بدأت الفرق الانكشارية بالهجوم على الوالي، وإطلاق النار في كافة الأزقة؛ مما اضطره إلى الخضوع لمطالبهم؛ مقابل إعطائه مهلة ستين يوماً لتدبير المال اللازم، فلم ينجح بذلك، فحدثت الفتنة بتحريض الفرق الانكشارية بالرغم من محاولات عدة من قبل الوالي للتفاوض بشأن إيجاد صيغة مشتركة مع الفرق الانكشارية، ولكنها فشلت ولم تجد نفعاً فهوجم السراي، ونهب بسبب الفوضى التي افتعلتها الفرق الانكشارية، ولكن تمكن الوالي من الفرار، فقاموا بخلع من الحكم؛ بحجة أنه ليس أهلاً للسلطة^(٥).

وفي تلك الفترة اتجهت سياسة السلطنة العثمانية نحو تعيين رجب باشا والياً على بغداد، لكن تلك الجهود من قبل السلطنة العثمانية لقيت معارضة شديدة داخل ولاية بغداد أجبرتها على

(١) البصرة: ميناء العراق الرئيس على الطرف الشمالي من شط العرب، ملتقى دجلة والفرات، والمؤدي إلى مياه الخليج العربي، وهي من أهم المراكز الزراعية، والتجارية، وحولها بساتين النخيل. شامي، موسوعة المدن...، ص ٧٠.

(٢) يذكر الكاتب عبد العزيز سليمان نوار في كتابه داوود باشا عن أسباب جعل البصرة ولاية مستقلة عن بغداد بقوله: "كانت البصرة لها وضعها الذي كان يختلف كل الاختلاف عن أوضاع الولايات الأخرى فمشكلاتها بحرية - عشائرية، واتصالها بالصراع الأوروبي في الخليج العربي مباشرة، وتعوق الأهوار والبحيرات الموسمية والقبائل المعادية الاتصالات السريعة مع بغداد. وكان في الوقت نفسه نقطة رقابة حساسة على نشاط كعب المهدي للبصرة ومن ثم كانت فعلاً جديرة بأن تصبح وحدة إدارة واحدة مستقلة عن بغداد". عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٦.

(٣) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٠٠. الرفيعي، العراق بين سقوط...، ج ٣، ص ٤٣. طقوش، تاريخ العراق...، ص ٤٨.

(٤) فائق بك، تاريخ المماليك الكولة منذ...، ص ١٦-١٨.

(٥) عبد الله، تاريخ العراق...، ص ٣٠٥.

عزل الوالي من منصبه وتعيين الكسريه لي أحمد باشا والياً على بغداد، كما حاولت السلطنة العثمانية التخفيف من حدة المعارضة بإرسال الأموال لدفع رواتب الانكشاريين في بغداد بعد أن تم جمعه من إستانبول، ومن أملاك أحمد باشا لتهدأ العاصفة في بغداد ولكن بدأت الأمور تتصاعد خارج نطاق السيطرة بسرعة كبيرة فأخفق الوالي الجديد من التوصل إلى اتفاق عام بشأن المسائل الخلافية بطريقة فعالة مع المتمردين؛ مما أدى بدوره إلى خيارات مؤسفة، وفي عام ١٧٤٩ أمرت السلطنة العثمانية بتعيين محمد باشا التريايي والياً على بغداد^(١) إلا أنه بكل بساطة لم يكن قادر على تهدئة الأوضاع العامة في الولاية^(٢).

لذلك أدركت السلطنة العثمانية أنه من الملائم تكليف فرد من بغداد بمنصب الولاية فوق الاختيار على سليمان باشا أبو ليلة الذي التزم بدفع ديونه إلى السلطنة العثمانية من ماله الخاص، وبتهدة عشائر المنتفق^(٣)، وكعب المتمردين إن عهدت إليه ولاية البصرة، قبلت معروضاته ورفع إلى درجة وزير، ثم ترك أضنة فوصل إلى بغداد في الحال، وتمكن سليمان قبل أن يترك بغداد، ويتوجه إلى بصرة من أن يلم شتات أتباعه، وأنصاره القداماء في بغداد بصورة علنية، فتبين في الحال لدى الباب العالي مزاياه الممتازة إذ أخضع القبائل بحملات سريعة عرف بها وقادها إلى الطاعة التي لم تعرف منذ أن ترك العراق إلى أضنة، فدانت له قبائل المنتفق، وقبائل بني لام^(٤)، وعشائر الحويزة، وعريستان^(٥)، وقضى على جماعات بني

(١) محمد باشا التريايي: هو من كبار ضباط الانكشارية في بغداد، وقد تم تكليفه بإدارة ولاية بغداد من قبل الدولة العثمانية لسنة واحدة فقط ١٧٤٧-١٧٤٨ نورس، حكم المماليك...، ص ٢٨.

(٢) عبد الله، تاريخ العراق...، ص ٣٠٥-٣٠٦.

(٣) عشائر المنتفق: المنتفق لفظة عربية موهلة القدم وترجع تلك التسمية إلى أبيهم المنتفق بن معاوية بن عامر ابن عقيل حيث نزلوا في ريف البصرة، وانتقلت الزعامة من آل شبيب إلى آل سعدون...، سليمان فائق بك، عشائر المنتفق، تقديم: عبد الرزاق الحسني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١١-١٥.

(٤) من أهم عشائر العراق وبني لام بطن من طي القحطانية، وهم بنو لام بن عمرو بن علي بن مالك بن جدعان بن زهل بن سرحان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة بن طيء بن أد بن زيد بن لثجب بن عريب بن زيد بن كهلان القحطاني، وكانت منازلهم في الجزيرة العربية ثم اتجهوا إلى العراق. الحيدري، عنوان المجد...، ص ٩١.

(٥) عريستان: تطلق الدولة الفارسية على الإمارات العربية في جنوب العراق اسم عريستان، ومعناها بلاد العرب وهي تطل على رأس الخليج العربي، وتقع إلى الجنوب الشرقي من العراق، وتطل على شط العرب بحدودها الجنوبية وهي محصورة بين خطي العرض ٣٠-٣٣ درجة شمالاً، وبين خطي الطول ٤٨-٥١ درجة شرقاً، وهي ذات تربة خصبة وفيرة المياه تخترقها أنهار عدة، وروافد أهمها: الكارون، والجراص، والكرخة، وروافد شط العرب. سعد شاكر، العصيمي شلبي، الأشكال القانونية في حق تقرير مصير إقليم عريستان، زهران للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤، ص ٣٢-٣٤.

كعب في منطقة الشط، ثم أوفد الرسل المسرعة بالظفر من البصرة إلى البوسفور، إلا أن بشائر الظفر هذه سرعان ما أرسل في مقابلها من بغداد بأخبار مفادها: أن سليمان إنما توقف لذلك تواطؤاً مع القبائل العاصية هناك، غير أن سليمان لم يقنط بل أكد براءته، وألح على الباب العالي بذلك، فأوقف سير الجيش، ثم أرسل رسولاً ملكياً؛ لتدقيق النظر في الأمر، فما وصل الرسول حتى برأ ساحته وأثبت وجوده فصمم التريافي على مقاومة دخول عدوه سليمان إلى بغداد بكل ما أوتي من قوة، فتحرك سليمان من البصرة نحو الشمال حتى وصل إلى الحسكة حيث وجد معاضدة من علي آغا^(١) بالمال والرجال، وسار تريافي إلى الحلة مع أربعة عشر ألف رجل، فدهمه سليمان بثمان مائة مقاتل، ولم تسفك في هذا الهجوم الدماء إلا قليلاً؛ لأن انكشاريي بغداد انقلبوا بالجملة مع سليمان، ففر تريافي وحده إلى بغداد التي وجد أبوابها موصدة في وجهه، وبذلك دخل الكرجي المعتق المدينة التي بالغت بالترحيب به، وأصبحت بغداد والبصرة مع ماردين وجميع ممتلكات أحمد باشا تحت إمرته لوحده^(٢).

يؤكد ذلك نيبور في قوله: "إن سليمان استضاف بذلك جميع الأصقاع والمقاطعات التي اجتازها حسن باشا إلى ولايتهما؛ فضلاً عن ثبوته في منصب باشوية بغداد"^(٣).

ولقد تعاقب على الحكم في بغداد بعد سليمان عشرة ولاة من المماليك مغتهم كان قد ولد في بغداد أو نشأ فيها وكان حكمهم للبلاد من خلال جهاز حكومة غالبيته العظمى من زملائهم المماليك أيضاً، وقوات مملوكية منظمة تمثل القوة الفعالة في جيش الولاية، وتوضعت قيادات المماليك في المدن الرئيسية التابعة لبغداد وخاصة البصرة حيث شكلوا هناك حكومات شبيهة بما كان لهم ببغداد نفسها، وكان متسلم البصرة يعد نائباً عن والي بغداد، ومنه يستمد سلطته رأساً ومثله كان حكام المدن العراقية الأخرى^(٤).

ويمكن القول: إن القبضة المملوكية المُحكمة قد أفشلت محاولات الدولة العثمانية في فرض ولاة أغراب على الحكم سواء في بغداد أو توابعها، وباعت جميع جهودها في القضاء على نظام المماليك بالفشل، وكانت مضطرة إلى الإقرار بالوالي المملوكي الذي رشحه زملاؤه دون أن

(١) علي آغا: قائممقام الحسكة بلدة تقع في كورة بغداد عند حدود البصرة، وكان علي آغا من مماليك أحمد باشا الذين حررهم، وتولى بغداد وأعقب سليمان باشا. سليمان فائق بك، تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد، ترجمة: محمد نجيب أرمنازي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦١، ص ٢٣.

(٢) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٠٢. كارستن نيبور، رحلة نيبور كاملة إلى العراق، ترجمة: سعاد هادي العمري، مصطفى جواد، محمود حسين الأمين، مراجعة وتقديم: سالم الألوسي، الوراق للنشر والتوزيع، بغداد - بيروت، ٢٠١٢، ص ١٨٧-١٨٨.

(٣) رحلة نيبور...، ص ١٨٨.

(٤) العطار، الحياة الاجتماعية في...، ص ٤.

يكون لها دور واضح في الترشيح، ولكن في الحقيقة أن المماليك ظلوا يستمدون الحكم من الباب العالي بفروقات سلطانية رسمية، وأنهم كانوا يؤدون ما عليهم من مال إلى الخزينة، حيث إن حالة الضعف التي كانت الدولة العثمانية تعيشها في تلك الفترة لم تمكنها من اتخاذ خطوات حاسمة في تشذيب قوة المماليك الصاعدة، وخاصة أن الأخطار التي كانت تحيق بالعراق في الحقبة نفسها كانت تفرض على الدولة العثمانية الاعتماد على المماليك في تأسيس حكومة تولت مهاماً سياسية وإدارية واسعة^(١).

وعلى إثر ذلك الإجراء، بدأ عهد جديد في تاريخ العراق في العهد المملوكي في الوقت كانت الدولة الفارسية مشغولة بمشاكلها الداخلية؛ مما جعل العراق كما لاحظنا بعيداً عن المشروع الفارسي إلى أن قام كريم خان الزند بالسيطرة على البصرة.

ثانياً-العوامل المباشرة لمهاجمة إمارة كعب من قبل القوات العثمانية -الفارسية - الإنكليزية(١٧٥٧-١٧٦٦):

قبل البدء في دراسة التنافس العثماني - الفارسي على إمارة كعب ومحاولات الإنكليز مدّ نفوذهم، وكسر طموحات هذه الإمارة العربية في جنوب العراق، لابدّ من التحدث عن التطورات التاريخية لدى كل من الدول السابقة ووضع الخليج العربي في تلك الفترة. ظهرت عشيرة بني كعب^(٢) في إقليم عربستان من العراق، واستوطنت ضفاف شط العرب شرقاً وغرباً وشيدت مدينة قبان^(٣) مقراً لها ثم اتخذتها عاصمة لها، وكان أول أمرائها علي بن ناصر الذي تولى الحكم عام^(٤) ١٦٩٠، ويُعدّ عام تأسيس الإمارة، وفي عام ١٧٤٧ انتقل مقر

(١) عماد عبد السلام رؤوف، الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في العهود المتأخرة ٦٥٦ - ١٣٣٧/ ١٢٥٨ - ١٩١٨، جامعة بغداد- كلية التربية الأولى، بغداد، ١٩٩٢، ص ٧٠-٧١.

(٢) تنتسب قبيلة كعب العربية إلى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، واستطاعوا تأسيس دويلات عدة في أنحاء مختلفة من العراق وبلاد فارس والشام والبحرين، وتتألف من بطون عدة. عبد الهادي الربيعي، سلسلة القبائل العربية قبيلة كعب،

(٣) قبان: هي مدينة وجدت على أحد فروع خور موسى، وكانت تحت حكم ولاية البصرة عام ١٥٩٦ - ١٧٣٣، ولقد اندثرت معالمها اليوم. مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ١٨٩٧- ١٩٢٥، تقديم أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، مصر، ١٩٧١، ص ٤١.

(٤) علي بن ناصر: هو علي بن ناصر بن محمد، ترأس إمارة كعب في سنة ١٦٩٠، وقتل بأيدي قبيلة كعب نفسها، ولم تُعرّف مدة حكمه أو السنة التي قتل فيها. علي نعمة الحلو، الأحواز عربستان في أدوارها التاريخية، ج٣، دار البصري، بغداد، ط١، ١٩٦٩، ج٢، ص ٢٤٢.

الإمارة إلى الدورق^(١)، وأبدل اسمها بالفلاحية^(٢) وذلك بقيادة الشيخ سليمان بن سلطان (١٧٣٧-١٧٦٧)^(٣) الذي تميز بقوته، وازدهار الإمارة في عهده؛ لذكائه، وقدرته على التوسع باتجاه المناطق الفارسية؛ مستغلاً الصراعات العنيفة التي شملت بلاد فارس عقب وفاة نادر شاه عام ١٧٤٧ والتوسع باتجاه المناطق العثمانية، ولاسيما على الموانئ الممتدة من جزيرة عبادان^(٤) إلى قرب مدينة بوشهر وعلى سواحل عمان^(٥) في الخليج العربي^(٦).

وعلى ضوء هذه المعطيات، نلاحظ أن سياسة التنافس التي طالت إمارة كعب من قبل الدول الكبرى؛ العثمانيين، الفرس، الإنكليز المتمثلين بشركة الهند الشرقية^(٧)، شكلت عقبة رئيسية

(١) الدورق: هي من أهم المناطق في عربستان التي اتخذتها قبيلة كعب مقراً لها، وأبدلت اسمها إلى الفلاحية بعد توسعها شرقاً وشمالاً إثر مقتل نادر شاه، وكانت في السابق مقراً للإمارة المشعشعية ...، الحلو، الأحواز عربستان في...، ج٢، ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) تقع جنوب عربستان عند نهر الجراحي، واسمها الآن شادكان. شلبي، الأشكال القانونية في...، ص ٣٤
John R. Perry. *Makers Of The Muslim World* Karim Khan Zand Exford, England, 2006, p73-74

(٣) سليمان بن سلطان: تولى حكم إمارة كعب ما بين (١٧٣٧-١٧٦٨) أصبح سليمان رئيساً لإمارة كعب مع أخيه عثمان، ولم يشهد تأريخ هذه الإمارة أيام حكمه؛ إلا أماناً واطمئناناً وتقدماً ورقياً، وقام ببناء الأساطيل في الخليج العربي، وشق الترع، ويقال: إنه العصر الذهبي حيث كانت بينه، وبين والي بغداد، وأمراء العرب مراسلات. الحلو، الأحواز عربستان في...، ج٢، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٤) عبادان: نسبة إلى القائد العربي عباد بن الحصين، بينما الألف والنون يستعملها أهل البصرة لنسب مكان إلى رجل، أو صفة، ولها تسميات أخرى جزيرة خضر، وجزيرة المحرزي، جزيرة تقع على دلتا شط العرب، وغير اسمها في الوقت الحاضر إلى آبادان. عباس عساكرة، القضية الأحوازية، إشراف: عباس شفيق سعيد، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في العلوم السياسية، جامعة تونس المنار، كلية الحقوق والعلوم السياسية، تونس، ٢٠٠٣-٢٠٠٤، ص ١٤. شامي، موسوعة المدن...، ص ٢٧٤.

(٥) عُمان: تقع في أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وتمتد بين خطي عرض 16,40 و 20,26 وبين خطي طول 51,50 و 59,40 شرقاً، وتمتد سواحلها مسافة ٣,٢٠٠ كيلومتراً تقريباً من مضيق هرمز وحتى الحدود المتاخمة لليمن، وتطل بذلك على ثلاثة بحار، هي: الخليج العربي وخليج عمان وبحر العرب ويحدها من ناحية الغرب الإمارات وشبه الجزيرة العربية، ومن الجنوب اليمن ومن الشمال مضيق هرمز ومن الشرق بحر العرب. شيرين إسماعيل أحمد، الموجز في تاريخ سلطنة عمان القديم والحديث، دار الخليج، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠١٧، ص ١٦-١٧.

(٦) جهاد عودة، علاء جمعة، الصراع الدولي حول إقليم الأحواز، كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠١٧، ص ١٩-٢١.
مصطفى النجار، فؤاد الراوي، عربستان، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الإعلام الداخلي العامة، العراق، ١٩٨١، ص ٣٥-٣٦.

(٧) شركة الهند الشرقية: بنهاية عام ١٦٠٠ أسست شركة الهند الشرقية؛ بموجب مرسوم ملكي أصدرته الملكة اليزابيث بوصفها المؤسسة لتجارة لندن مع الهند الشرقية أنولد ت ويلسون، تاريخ الخليج، تقديم: الرايت

أمام الهدوء في منطقة الخليج العربي بشكل عام، وحنوب العراق بشكل خاص، ويرجع ذلك التنافس لأسباب عدة، منها:

١- إن وقوع إمارة كعب في منطقة الخليج العربي أكسبها تميزاً وأهمية استراتيجية، فهي واقعة على الطريق الذي يربط البحر المتوسط بالمحيط الهندي مكنتها من التحكم في المنافذ البحرية ومجاورتها للجزء الجنوبي من الدولة الفارسية، والعراق جعل منها طريقاً تجارياً، ومطلّة على الطريق المؤدية إلى العراق من فارس؛ فضلاً عن ذلك الملاحة في شط العرب حيث لم تسمح لسفينة أن تمر من منطقة شط العرب إلا بعد أن تدفع الضريبة، وعرقلة أساطيل القوى المعادية لها، وهذا الأمر ليس من السهل على كل من الدولة العثمانية والفارسية التغاضي عنه^(١).

٢- ادّعاء كل من الدولة العثمانية والفارسية حقّ السيادة على إمارة كعب؛ لأن حاكم إمارة كعب سيطر على الأماكن التي تزعم كلا من الدولتين أنها ملك لها في وقت واحد؛ مما جعل كلا من الدولتين تطالب بدفع إتاوة سنوية، كاعتراف منه على سيادتهما، ولكن الشيخ سليمان حاكم إمارة كعب استطاع أن يحافظ على استقلال كعب وعدم دفع الجزية لأي منهما. وفي هذا الصدد قال نيبور: "فإذا طلب كريم خان رسوماً منه اعتذر عن ذلك شاكياً عدم قابليته على الدفع معللاً ذلك بتقاضّي الأتراك الأموال الطائلة منه بالتضييق، أما إذا طلب باشا بغداد الرسوم منه، فإن كان حينذاك يشكو له أمر الفرس معه، وكان يعرف جيداً كيف يجتذب إلى صفّه بالأموال أنبل أعيان البصرة، وبذلك سمحوا للشيخ أن يضم القرى إليه واحدة تلو الأخرى"^(٢). ولكن أضاف نيبور أن الشيخ سليمان اهتم بأن تكون علاقاته طيبة مع بعض الشيوخ العرب حيث كان يدفع لهم لافتعال تمردات ضد الباشا العثماني عنه؛ لإشغاله عن توسعته، فيقول: "كان يرجح في بعض الأحوال أن يدفع إلى الشيوخ العرب الآخرين؛ ليحدثوا شغباً يشغلون الباشا به من ناحية أخرى"^(٣).

أوتوربول آي إس أميري، ترجمة: محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والعمارة، سلطنة عمان، ط ٤، ٢٠١٦، ص ١٠١-١٠٢.

(١) علاء موسى كاظم نورس، بنو كعب ودورهم في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، مجلة آفاق عربية، عدد ٢، أفريل، العراق، ١٩٧٩، ص ١٧، النجار، التاريخ السياسي لإمارة عريستان العربية ١٨٩٧-١٩٢٥، ص ٥١.

(٢) رحلة نيبور ...، ص ٧٣-٧٤.

(٣) رحلة نيبور ...، ص ٧٤.

٣- تنامي قوة كعب جعل الإنكليز طرفاً في التصدي لهذه الإمارة؛ لتأمين مصالحها، وكبح أطماع أمرائها، واجتثاثها من جذورها؛ لكونها شكلت تهديداً فعلياً لها في الطرق المؤدية إلى الهند، ولاسيما أن البصرة كانت قاعدة تجارية للإنكليز في الخليج العربي^(١).

وفقاً لذلك فإن استعمال القوة العسكرية، وكسر شوكة قبيلة كعب بات الهاجس الوحيد لتلك الدول من أجل القضاء عليها، والحفاظ على مصالحهم الحيوية في المنطقة.

ففي عام ١٧٥٧ قاد الشاه كريم خان الزند حملة تأديبية مفاجئة ضد قبيلة كعب بقيادته، إلا أنه اضطر للانسحاب تحت وطأة الأنباء التي وصلت إليه بوجود اضطرابات وتمردات في بلاد فارس، وبذلك انتهت الحملة بفرض إتاوة من المال على الشيخ سليمان.

وفي عام ١٧٦١ تقدمت قوات الدولة العثمانية بالاشتراك مع شركة الهند الشرقية الانكليزية بأمر من الوكيل الإنكليزي في بندر عباس إكسندر دوكلاس (Alexander Douglas) نحو خور موسى؛ لمهاجمة السفن الكعبية، والقضاء عليها، وانتهت الاشتباكات بإحراز القوات المشتركة انتصارات عديدة على السفن الكعبية مما حدى بالشيخ سليمان التآني في إكمال الحرب والقيام بصلح مع الدولة العثمانية عن طريق إرسال الهدايا إلى الوالي بغداد، وعلى إثر ذلك، انسحبت الدولة العثمانية من عريستان واتجهت إلى البصرة.

وفي عام ١٧٦٣ وجدت الإمارة الكعبية الظروف مؤاتية لشن الغارات، والقيام بإغلاق شط العرب أمام السفن على أساس أنه خاضع لسيادتها؛ الأمر الذي أثار غضب الدولة العثمانية حيث طلبت من والي بغداد أن يقوم بحملة على إمارة كعب، كما أن شركة الهند الشرقية لم تسمح للشيخ سليمان بالتقدم والتوسع؛ لكون لها مصالح في شراء تمر المنطقة^(٢) فأمرت بإرسال سفن حربية لمساعدة والي بغداد هما سولو، وتارتار بناءً على طلبه بعد أن أرسل إلى المسؤول

(١) عبد التواب أحمد السعيد، عبد الرحيم ذو النون، صفحات من تاريخ عريستان الحديث، مجلة آداب الرفادين، العدد ١٤، ١ أبريل، ١٩٨١، ص ١٤٦-١٤٧.

(٢) تجدر الإشارة إلى أن شركة الهند الشرقية الإنكليزية قامت بمحاربة الشيخ سليمان بعد أن شعرت بتهديده لمصالحها التجارية ولاسيما أن الشركة نقلت الوكالة الإنكليزية من بندر عباس إلى البصرة في عام ١٧٦٣ لأهداف اقتصادية فضلاً عن ذلك تفادي الخسائر الفادحة التي تعرضت لها في بندر عباس بسبب ظهور سفينة فرنسية في مياه الخليج العربي في عام ١٧٥٨ تحمل أربعة وعشرين مدفعاً -نتيجة حرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣) حيث هاجمت السفينة الفرنسية بندر عباس وكبدت الإنكليز خسائر كبيرة دفعت الوكيل الإنكليزي ألكسندر دوجلاس إلى التفكير في تسليم الوكالة إلى الفرنسيين، لكن الإنكليز قاموا بإحراق جزء من الوكالة بعد أن انسحبوا منها على إثر مصادرة الفرنسيين كل مافي تلك الوكالة؛ فضلاً عن الثورات التي قامت ضدهم من قبل الأهالي...، للمزيد ينظر: علي عبد الله فارس، شركة الهند الشرقية البريطانية ودورها في تاريخ الخليج العربي (١٦٠٠-١٨٥٨)، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ط ٢، ٢٠٠١، ص ١٣٠-١٣٣. ويلسون، تاريخ الخليج، ص ١٥٩-١٦٠.

عن الوكالة الإنكليزية في البصرة وليم اندروبريس، يقول فيها: "إنني علمت مما رواه لي متسلمي بدقة أنه يبدو الشيخ سليمان يتصرف تجاه الأمور جميعها بكل ما يملك من وقاحة، وأعتقد أنه من الواجب أن نرده إلى صوابه،... لقد رسمت بطريقتك في العمل حدود الصداقة التي تقوم بين السلطات والأمة الإنكليزية، والتي على أساس منها لن أترك فرصة مؤاتية تمضي من جانبي دون أن انتهزها لتأكيد صداقتي لك. وإنني آمل بناء على التقارير التي أرسلها لي متسلمي عن الأعمال العدائية للشيخ سليمان أن تستمر أنت في المساعدة بسفنك دون أي عذر لن يلقي بالتأكيد رضاء مني، كما أنه بالتالي لن يلقي قبولاً من السلطان الذي يفوتني أن أخبره بالأمر... ورغبتي، وفي نفس الوقت هي رغبة حكومتي، أن أسير بجيش عن طريق البر، وترسل أنت سفنك لمحاصرة مصب النهر ولك الحرية المطلقة في أن تأخذ وتحرق وتحطم ما قد يقابلك مما يخص الكعبيين... إن تفويض صرح كعب لا يعد مفخرة لي بقدر ما يُعدُّ مفخرة لأمتك، وأرجو أن تثق بأن مساعدتكم الفعالة هذه ستلقى من السلطان كل اعتراف وتعويض، وعليك الآن بمجرد أن تصلك رسالتي أن تبعث بالسفن، وتتأكد أن نجاح هذا الأمر كله يعتمد على مهارتك وصداقتك وإخلاصك"^(١).

إزاء تلك الرسالة نلاحظ أن السفن الحربية الإنكليزية شنت هجوماً على الأسطول الكعبي مشتركة مع القوات العثمانية بتلك الحملة، كما أرسل وليم بريس رسالة إلى والي بغداد علي باشا^(٢)، يؤكد فيها تلبية مطلبه في إرسال السفن، وجاء فيها: "ما إن فهمت رغبة فخامتكم في الحاجة إلى مساعدة سفن الشركة حتى وجدت أن هذا يتواءم وهدوء هذه الحكومة، وبالتالي سيكون مفيداً للتجارة. ونظراً للصداقة الوطيدة المعقودة بين الأمة الإنكليزية والباب العالي فقد بعثت بالسفن إلى المكان المعين، ولم يقف الأمر عند هذا فحسب، بل إنني، حرصاً على بيان مدى رغبتني في تنفيذ أوامركم أفرغت حمولة إحدى السفن التي كانت قد شحنت واستعدت للإبحار إلى الهند وذلك لأجل أن أرسلها في هذه الحملة"^(٣).

(١) علاء موسى كاظم نورس، عماد عبد السلام رؤوف، إمارة كعب العربية في القرن الثامن عشر على ضوء الوثائق البريطانية، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢، ص ٣٢-٣٤.

(٢) علي باشا: تولى ولاية بغداد بعد وفاة سليمان باشا الكبير، وهو صهر سليمان، وكتخذه حاول إنهاء الاضطرابات العشائرية، ولكنه فشل في ذلك؛ بسبب المؤامرات التي حيكت ضده، وأدت لمقتله. ومن أهم من حاك المؤامرات عادلة خاتون زوجة سليمان باشا أبو ليلة، وزوج أختها عمر باشا؛ فضلاً عن الهجمات الوهابية التي صارت في عهده. للمزيد انظر: سليمان فائق بك، تاريخ بغداد، ترجمة: موسى كاظم نورس، دار الرافدين، بيروت، د.م، ص ٣٦-٣٧. نورس، حكم المماليك...، ص ٣٣-٣٥. كريم مطر حمزة، الحلة في عهد داود باشا ١٧١٨ - ١٨٣١ دراسة تاريخية، مجلة العلوم الإنسانية - كلية التربية صفي الدين الحلي، ٢٠٠٩، ص ٢١.

(٣) نورس، رؤوف، إمارة كعب العربية في...، ص ٣٤.

إلا أن الهجوم العثماني بمساعدة الأسطول الإنكليزي على إمارة كعب فشل في الوصول إلى نتائج حاسمة، ولم يكن بوسع الدولة العثمانية فرض الشروط على الشيخ سليمان الذي تميز بذكائه، وتنامي قوة أسطوله؛ ونتيجة ذلك استطاع البقاء في المناطق الاستراتيجية المطلّة على شط العرب^(١).

وهكذا نلاحظ أن قوة الأسطول الكعبي ازدادت مع الوقت؛ نتيجة الانتصارات المتعاقبة التي مكنته من مدّ نفوذ تلك القبيلة على جميع أنحاء عربستان، وبهذا الصدد علق الكاتب نيبور بقوله: "وفي عام ١٧٦٥ كان في حوزته عشر سفن حربية وسبعون (DAUNEK) دانقاً أو سفينة صغيرة يمارس بواسطتها التجارة وإزاء ذلك كانت قوة المتسلم في البصرة تتناقص سنة بعد سنة، وقد بلغ خلال مكوثي حداً من الضعف جعله لا يقوى على الوقوف حتى أمام الشيخ الصغير"^(٢).

وفي عام ١٧٦٥ شنّ كريم خان هجوماً على قبيلة كعب؛ لإحكام قبضته عليها، ولكن المناورة التي قام بها الشيخ سليمان من خلال الانتقال من جزيرة إلى أخرى حتى وصل إلى الجانب الغربي من منطقة شط العرب قد أفشلت مخطط كريم خان الزند الذي وجد المدن خالية من سكانها، لهذا سارع كريم خان بعد أقام معسكره في الفلاحية بطلب العون من والي بغداد علي باشا لمساعدته في حربه، ولكنه ماطل في تلبية المساعدة^(٣).
والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: ما الأسباب التي دعت والي العثماني والممثل عنه متسلم البصرة من التأخر في تلبية الشاه كريم خان في حملته ضد كعب؟
يمكن أن نجمل الأسباب بالآتي:

- تشتيت الحملة من قبل الشيخ سليمان بدهائه عن طريق دفع ما عليه من رسوم وضرائب إلى الدولة العثمانية على أمل ألا تقدم المساعدة للدولة الفارسية في حملتها، وهكذا تعامل مع الوضع كالسابق، ففي عام ١٧٦٢ عندما شعر شيخ إمارة كعب باقتراب الخطر من والي العثماني علي باشا سارع إلى تلبية أوامره بطلب العفو ودفع ما عليه من رسوم؛ مما أسفر عن ذلك رجوع الحملة إلى بغداد^(٤)، ويؤكد نيبور ذكاء الشيخ سليمان بقوله: "وكان يعرف كيف يجتذب إلى صفه بالأموال أنبل أعيان مدينة

(١) عبد الأمير محمد أمين، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، دار الوراق للنشر المحدودة، بغداد، ٢٠٠٧، ص ٥٨-٥٩. عبد المجيد إسماعيل حقي، الوضع القانوني لإقليم عربستان في ظل القواعد الدولية، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٣٨-٣٩.

(٢) رحلة نيبور...، ص ٧٤.

(٣) أمين، القوى البحرية...، ص ٦٠-٦١.

(٤) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٣٣-١٣٥.

البصرة... وحتى باشوات بغداد خرجوا بأنفسهم إلى الحرب مع سليمان في بعض الأحيان. فوجد آنذاك أن من الحكمة أن يؤدي لهم مبلغاً مهماً^(١).

- حرص متسلم البصرة على إيجاد الفرصة المؤاتية للقضاء على شيخ إمارة كعب، فأراد انتهازها في هذه الحملة، ولكنه عانى من ضعف في القوى البحرية، فلم يكن على استعداد لإرسال قوى بحرية لمساعدة الشاه كريم خان الزند في حملته^(٢).
- تردى الأوضاع في العراق؛ بسبب ثورات العشائر، وانشغال والي بغداد عمر باشا^(٣) في حملاته ضد عشيرة خزاعل؛ مما حدا به إلى التوقف عن إمداد متسلم البصرة بالقوات العسكرية^(٤).

نتيجة الانتظار الطويل والمماطلة في تنفيذ الأوامر من قبل متسلم البصرة؛ بحجة عدم وصول السفن المطلوبة من قبل والي بغداد الذي أرسل باخرتين من التمر ويختاً صغيراً لركوبه، واعتذر عن باقي السفن؛ لذلك اضطر كريم خان الزند الانسحاب من المنطقة بعد أن هدم مشاريع الري وخرب سد السابلة على نهر الكارون^(٥) لإغراق محاصيلهم^(٦). ولابد من القول: إن عدم اشتراك الدولة العثمانية ممثلة بوالي بغداد ومتسلم البصرة في حملة كريم خان الزند ضد إمارة كعب، كان بداية تأزم العلاقات بين الدولة الفارسية والدولة العثمانية التي بلغت ذروتها عام ١٧٧٤ كما سنلاحظ في الفقرة القادمة عندما شن كريم خان زند هجوماً على العراق بحجج كبيرة.

(١) رحلة نيبور...، ص ٧٣-٧٤.

(٢) أمين، القوى البحرية...، ص ٥٩.

(٣) والي عمر باشا (١٧٦٢-١٧٧٥): من الذين تأمروا على علي باشا، وقاموا بقتله ثم تولّى والي ولاية بغداد وفي عهده اجتاحت الطاعون ولاية بغداد في عام ١٧٧٢ وقضى على نخبة من قادة الرأي، وفي عهده تم حصار البصرة وتدخل كريم خان الزند في العراق. للمزيد انظر: علاء كاظم نورس، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١م، منشورات وزارة الإعلام، العراق، ص ٣٦-٣٧.

(٤) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٣٩-١٤٠.

(٥) نهر الكارون: ينبع من الجبال البختيارية، ويجري بسرعة لانحدار مجراه، ويقسم قرب شوشتر إلى فرع غربي، ويسمى الشط الكبير، وفرع شرقي، ويعرف بنهر جرجر ثم يلتقي الفرعان مرة أخرى قرب الأهواز، ويكون مجراه في أراضي الأهواز الرسوبية متعرجاً وتتصب معظم مياه هذا النهر في شط العرب قرب خرم شهر (المحمرة) أما ما يتبقى منه، فيجري في ترعة بهمشير وهو صالح للملاحة حتى الأهواز... أحمد عبد الباقي، عوني بكر صدقي، عبد المطلب الهاشمي، جغرافية العراق والبلاد العربية، مطبعة النجاح بغداد، ١٩٤٧، ص ٣٦. الحلو، الأحواز عريستان...، ج ٢، ص ٢٥٦-٢٥٧. نورس، بنو كعب ودورهم...، ص ١٨-١٩. أمين، القوى البحرية...، ص ٦٠-٦١.

(٥) Perry. Makers Of The Muslim World Karim..., p73-75.

وفي عام ١٧٦٥ أرسلت الدولة العثمانية حملة بقيادة متسلم البصرة إلى كعب، وكانت قواته البرية تقدر بحوالي خمسة آلاف رجل على الجانب الغربي من شط العرب وقوة بحرية تضم ١١ تكتة^(١)، وغلافة واحدة وعدد من السفن الصغيرة المحملة بالذخيرة والرجال واستاجرت سفينة إنكليزية تابعة لشركة الهند الشرقية الإنكليزية، وكان عدد المحاربين مع الشيخ سليمان قائد قبيلة كعب حوالي ١٤٠٠-١٨٠٠ مقاتل^(٢).

فما لبثت أن وقعت الحرب بين الطرفين على أوسع نطاق، فقد واجهت قوات الدولة العثمانية خلال حربها مع الكعبيين الكثير من المشاكل، حيث نجح الكعبيون في مباغته الأسطول العثماني في منتصف الليل والاستيلاء على ثلاثة سفن من أسطوله، كما نجح الكعبيون في اليوم التالي من مهاجمة قرى عدة قريبة من البصرة، والسيطرة على بعض القوارب، وهذا إشارة لوجود خلل عسكري ذريع لدى قوات الدولة العثمانية، وميزة التفوق الاستراتيجي لدى الكعبيين؛ لإدراكهم ماهية المنطقة؛ فضلاً عن ذلك عدم قدرة الأسطول الإنكليزي توفير الحماية له^(٣).

شعرت الدولة العثمانية بخطورة الموقف على إثر الهزائم العسكرية أمام الكعبيين، فكان لابد من المضي قدماً في إيقاف العمليات العسكرية، وعقد صلح مع الشيخ سليمان الذي وجد أن مصلحته تقتضي ذلك أيضاً^(٤).

ونرى من كل ما تقدم إدراك سليمان أهمية الصلح مع الدولة العثمانية، ولكن مشاركة الإنكليز في تلك الحرب ليس هناك ما يسوّغه من وجهة نظر سليمان خصوصاً أنهم لم يدخلوا بالصلح؛ لذا قرر ضربهم ضربة موجعة بأن أسر ثلاث سفن تابعة لشركة الهند الشرقية الإنكليزية. وبهذا الصدد علّق وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة بيتر ألوين رينج (١٧٦٤-١٧٦٧) بقوله: "في ١٨ و ١٩ من شهر تموز هاجمت كعب بست من غلافاتها السفينة سالي

(١) التكتة: نوع من السفن المسلحة مسطحة القعر، ومطلية بالقار. نورس، العراق في...، ص ٢٢٦.

(٢) نيبور، رحلة نيبور...، ص ٧٧-٧٨.

(٣) الحلو، الأحواز عريستان في...، ج ٢، ص ٢٥٧. أمين، القوى البحرية...، ص ٦٠-٦١. نيبور، رحلة نيبور...، ص ٧٨-٧٩.

(٤) يجدر الذكر أن موافقة سليمان لإيقاف الحرب يعود إلى أن مير مهنا حاكم بندريق تعرض لهجوم فارسي إنكليزي، فكان يريد الإسراع في إنهاء الحرب لمساندته في حربه ضد هذا الهجوم المعادي، وبندريق ميناء على ساحل الخليج الشمالي، وسكانه يعودون إلى قبيلة زعاب، وهي من أصل عماني، وكانت الشركات الأوروبية تقوم بالتجارة في القرن السابع عشر. ج سلوت، عرب الخليج ١٦٠٢-١٧٨٤، ترجمة: عايدة خوري، مراجعة: محمد مرسي عبد الله، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط ١، ١٩٩٣، ص ٣٣. نورس، العراق في...، ص ٢٢٧.

واستولت عليها، كما استولت على يخت الشركة، بينما كانت السفينتان في طريقهما من بوشهر، وما إن شاهدت السفينة فورت ولیم حادثة استيلاء كعب حتى تراجعت على الفور، وقام المرشد بقطرها إلى الشاطئ بيد أن كعب تعقبها وأخذتها كأختها^(١).

ثم تابع وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة بيتر ألوين رينج (١٧٦٧-١٧٦٤) تأنيبه لمتسلّم البصرة، وحثه على إعادة السفن إلى الوكالة، فقال: "إننا لما كنّا نتاجر هنا تحت حمايته، ولما كانت كعب من رعايا السلطان، فإننا لا نستطيع أن نتقدم بطلب إلى كعب إلا عن طريقه، وقد أكد المتسلّم أنه سيبدّل كل مابوسعه في هذا الخصوص، وأنه أرسل على الفور جوقدار يحمل خطاباً إلى كعب برفقة أحد موظفي الوكالة، وعلى الرغم من إرسال المتسلّم رسائل عديدة بهذا الشأن، فإن جهوده لم تسفر عن استرجاع السفن"^(٢).

يبدو أن الشيخ سليمان حقق تفوقاً واضحاً حيث أثارت قضية الاستيلاء على السفن مخاوف شركة الهند الشرقية الإنكليزية، وخصوصاً أن مصير تجارتهم، ومصدر ثروتهم ستصبح بيد الشيخ سليمان، ومن هنا لن تسمح بوجود قوات لها تأثير في المنطقة، وعلى خلفية تلك الحادثة قامت شركة الهند الشرقية الإنكليزية بإجراء مفاوضات مع متسلّم البصرة؛ من أجل تضيق الخناق على الشيخ سليمان عن طريق عقد اتفاقية بينهما على ألا تكون ملزمة لشركة الهند الشرقية حتى يوافق أصحاب القرار على ما تم الاتفاق عليه^(٣).

ومن أهم ما جاء فيها: التعاون بين الفريقين لمحاربة الشيخ سليمان، وتجهيز قوات برية من قبل والي بغداد، ومن ناحية أخرى ترسل شركة الهند الشرقية الإنكليزية أسطولها من الهند؛ للقضاء على الوجود الكعبي في المنطقة بعد تحرير السفن الإنكليزية من قبضته^(٤).

ولهذا سارعت حكومة بومباي في الهند إلى تجهيز أكبر حملة لها وإرسالها إلى مياه شط العرب^(٥) وعند وصول الحملة إلى شط العرب نرى أن الوكالة الإنكليزية كانت لا تريد أن تستنفذ قواتها في مناقشات مع سليمان والاصطدام معه من البداية في حين أن الجهد يدّخر عن طريق

(١) نورس، رؤوف، إمارة كعب العربية في...، ص ٦١.

(٢) نورس، رؤوف، إمارة كعب العربية في...، ص ٦١-٦٢.

(٣) نورس، العراق في...، ص ٢٢٨.

(٤) أمين، القوى البحرية...، ص ٦٤.

(٥) وقد كشفت الوثائق الإنكليزية عن حجم الأسطول الذي أرسلته حكومة بومباي إلى وكالة البصرة من خلال الرسائل المتبادلة بين حكومة بومباي ووكالة البصرة بأنه مؤلف من ست سفن حربية ومزودة بخمسين جندي من المشاة وخمسة عشر رجلاً من رجال المدفعية ومائة وخمسين جندياً (سيبوي) أي هندياً وخمسة وعشرين (لاسكر) أي بحاراً. نورس، رؤوف، إمارة كعب العربية في...، ص ٦٩.

الصلح مع قبيلة كعب، وهذا ما حاول الوكيل الإنكليزي القيام به عن طريق اعتماد سياسة الدبلوماسية حيث عرض اتفاقية على الشيخ سليمان مطالباً بالالتزام بها وأهم ما جاء فيها: إعادة السفن التي استولى عليها الشيخ سليمان مع كافة حمولاتها، والتعويض عن كافة الخسائر، والمفقودات لتلك السفن، وأن يتحمل الشيخ سليمان كافة نفقات الأسطول الراسي على شط العرب مع التزامه بعدم التعرض لأي سفينة تابعة لشركة الهند الشرقية الإنكليزية في المستقبل^(١).

والسؤال الذي يطرح نفسه: ماموقف الشيخ سليمان من تطبيق هذه المعاهدة؟ أدرك سليمان خطورة هذه الاتفاقية، وما يترتب عليها من آثار سلبية؛ كونه أراد أن يحافظ على نفوذه في تلك المنطقة، لذا أعلن رفضه التام لتلك المعاهدة وسخر منها قائلاً: "إن تلك المطالب أظهرت له أن الإنكليز أقل فطنة وذكاء مما كان يتصورهم، وأكد الشيخ للوكيل قائلاً: إن الشيخ سليمان ليس من أولئك الذين يخيفهم التهديد والوعيد هذا وأن ثقته بالله وبقوته ستضمنان له النصر في النهاية على جميع أعدائه"^(٢).

وفي واقع الأمر جاء ردّ إنكلترا على موقف الشيخ سليمان عنيفاً بأن أعلنت الحرب عليه بمساندة والي بغداد؛ لإجباره على الرضوخ، وتقويض نفوذه في المنطقة، كما حاول الوكيل الإنكليزي الاتصال مع الشاه الفارسي كريم خان الزند؛ لضمان موقفه بعدم إيواء أي لاجئ من كعب وتطويق تلك الإمارة من جهته، وهكذا بدأت الحرب بين الطرفين في أثناء صيف عام ١٧٦٦، ونجح شيخ سليمان بالسيطرة على الوضع من خلال حرق تسع سفن عثمانية من أصل ١٢ سفينة، ومن ضمنها سفينة القيادة بعد أن قضى على طاقمها كاملاً، كما أحرق سفينتين إنكليزيتين بعد فشل الإنكليز في استرجاعها من أمراء كعب، ولم تنتهِ العمليات الحربية، وتتسحب إلا بعد أن أرسل الشاه كريم خان الزند رسالة إلى القوات الحلفاء الإنكليزية والعثمانية بضرورة الخروج من أراض كعب؛ لكونها أراضي فارسية^(٣).

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ما طبيعة الأسباب التي دفعت كريم خان الزند للوقوف إلى جانب إمارة كعب ضد الحلفاء الإنكليز، العثمانيين؟

وعلى ضوء الأحداث يمكن القول: إن التنافس العثماني - الفارسي على منطقة كعب بدا واضحاً في تلك الحادثة، وذلك أعطى مؤشراً إلى أن سليمان بذكائه وفطنته استطاع أن يستغل التنافس بين الطرفين، ويستميل كريم خان الزند إلى صفه عن طريق الهدايا والأموال؛ فضلاً عن

(١) أمين، القوى البحرية...، ص ٦٤.

(٢) الحلو، الأحواز عريستان في.....، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٣) نورس، العراق في...، ص ٢٣٠. لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢١٠.

ذلك أن الشاه كريم خان الزند كان منزعجاً من والي بغداد؛ لعدم تلبية مطالبه في مساعدته عندما أراد كريم خان الزند الهجوم على إمارة كعب في السابق، ومن ناحية أخرى انزعج من الإنكليز؛ لأنهم لم يساندوه في حربه ضد مير مهنا ومن هنا كان الموقف الفارسي بمثابة ضربة موجعة ضد إنكلترا والعثمانيين^(١).

فقد أصدر الوكيل التابع لشركة الهند الشرقية تعليماته بأن تتسحب القوات العثمانية من إمارة كعب خوفاً من إشعال حرب مع الدولة الفارسية، واكتفى الأسطول الإنكليزي بفرض حصارٍ بحريٍّ على إمارة كعب بين عامي (١٧٦٦-١٧٦٨) بينون مواقع حربية على جانبي شط العرب، ولم يستطع العثمانيون منعهم من ذلك، وهكذا نجد أن محاولات شركة الهند الشرقية الإنكليزية في الضغط على إمارة كعب؛ لتدفع أثمان سياسية لم تنجح، وإنما وضع شركة الهند الشرقية الإنكليزية في موضع حرج؛ مما اضطرها إلى رفع الحصار عن إمارة كعب دون تحقيق أي مكسب^(٢).

وعلى إثر ذلك، طلبت شركة الهند الشرقية الإنكليزية من الدولة العثمانية أن تعوّضها عن خسائرها في الحرب، وهددت الشركة بأنها سوف تسحب أسطولها، وتترك والي بغداد وحده في صراعه مع إمارة كعب إن لم تنفذ لها مطالبها بدفع الأموال، وقد قبل باشا بغداد تحمل كافة نفقات الأسطول الإنكليزي الموجود على شط العرب حيث دفع مبلغاً يقدر بحوالي الألف تومان^(٣)؛ لكون الباشا عاجزاً عن تأمين أسطول قادر على حماية البصرة من إمارة كعب، وبهذا الصدد قال وكيل شركة الهند الشرقية في إحدى رسائله: "إن بقاء نفوذ الباشا وسلطانه في البصرة لا يعود فيه إلا إلى أن وجود السفن الإنكليزية في شط العرب، وإن ترك الأسطول الإنكليزي لمياه شط العرب سيؤدي حتماً بحكومتها إلى الانسحاب منها، والذهاب إلى بغداد، وعندئذ ستسقط المدينة بيد عرب كعب، فتتدهور، وتضمحل، ويؤدي بها الأمر في النهاية إلى أن تصبح مدينة صغيرة تعيش على صيد الأسماك"^(٤).

(١) أمين، القوى البحرية...، ص ٦٩-٧٠.

(٢) نورس، العراق في...، ص ٢٣١.

(٣) تومان: اسم استعمل للدلالة على العشرة آلاف، وقد استعمل لدى المغول بمعنى قائد العشرة آلاف، أما كعملة فإن التومان عملة فضية استعملت في العراق في هذه الفترة، ويبدو أطلقت على عملة تعادل ١٠,٠٠٠ كسراً، والجدير بالذكر أن مليون جعل نقود البصرة في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر كالآتي: ١٠ فلوس = دانم، Danim، أي ١٠٠ فلس = محمودي، ١٠٠ محمودي؛ أي ١٠,٠٠٠ = تومان. للمزيد. خليل علي مراد، العراق في العهد العثماني الثاني دراسة في الإدارة العثمانية والحياة الاقتصادية ١٦٣٨-١٧٥٠، دار الرافدين، بيروت، ط ١، ص ٣١٧.

(٤) الحلو، الأحواز عريستان في...، ج ٢، ص ٢٦٤. نورس، العراق في...، ص ٢٣٣.

ومن الجدير بالذكر أن المعارك والمناوشات مع إمارة كعب قد انعكست بشكل سلبي على تجارة البصرة، ولاسيما مع محاولات الشيخ سليمان منع السفن من الوصول إلى الميناء، وعرقلة الملاحة، ثم أن الحصار الذي أصابها أيضاً أدى إلى تدهور أوضاعها الاقتصادية، وضعف الحركة التجارية، وكانت تلك الحوادث لها تأثير على أحوال السكان^(١).
أخيراً يمكن القول: استطاعت إمارة كعب أن تفرض وجودها بالتصدي لما تعتقد أنه يهدد كيانه، وتبقى صامدة أمام التنافس العثماني - الفارسي على منطقة عريستان، والتواجد الإنكليزي في الخليج العربي الذي سعى إلى ضمان مصالحه الاستعمارية.

ثالثاً - التحديات التي واجهت العلاقات العثمانية - الفارسية وأثرها على العراق:

كانت الدولة العثمانية تعاني من تردّد في الأوضاع الاقتصادية، وضعف قبضة السلطة المركزية تجاه الأقاليم والمديونية الضخمة لصالح الدول الأوروبية؛ مما أدى لفرض تلك الدول مجموعة من الامتيازات على الدولة العثمانية أدت إلى زيادة ضعفها وتشتتها.
وبالرغم من أن حدود السلطنة لم تمس تقريباً حتى أواخر القرن ١٨ إلا أن عوامل الوهن في قوتها بدأت قبل ذلك بكثير؛ أي نهاية القرن السادس عشر؛ أي بعد أن وصلت القوة العثمانية إلى أقصى درجاتها^(٢) حيث أصبحت أشبه بلعبة الدومينو بيد الدول الأوروبية، والتي اشتد الصراع فيما بينهما على النفوذ والاستحواذ على أراضيها بشكل عام.
وأخذ ارتباطك أوضاعها الداخلية إلى إضعاف سطوتها العسكرية، وجاء ذلك في الوقت الذي حدث فيه تدهور العلاقات العثمانية - الفارسية في سبعينيات القرن الثامن عشر نتيجة تضافر عوامل عدة، ومنها:

١- وعي كلٍّ من الدولتين بأهمية شمال العراق الاستراتيجية من خلال قاعدة الموصل التي وصلت الشرق بالغرب، وفيها اجتمعت المسالك البرية التي تمتد بين زاغروس، والبحر المتوسط، والمسالك النهرية التي وصلت بين أناتوليا بالمحيط الهندي من خلال نهر دجلة، وعبر خط ديار بكر الموصل - بغداد - الخليج العربي؛ فضلاً عن سيطرة الموصل على الملاحة النهرية في حوض نهر دجلة، وكانت الموصل مركز اقتصاد المنطقة الشمالية في العراق بشكل عام، فكثيراً ما كانت الظروف السيئة للمحاصيل الزراعية في توابع الموصل ولواحقها تؤثر في مركز المدينة، وحركته التجارية، وأحواله السكانية^(٣).

(١) أمين، القوى البحرية...، ص ٧٢.

(٢) أمجان، سليمان القانوني...، ص ٤٠٨.

(٣) سيار الجميل، زعماء وأفندية الباشوات العثمانيون والنهضويون العرب البنية التاريخية للعراق الحديث (الموصل نموذجاً)، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩، ص ٤١-٤٣.

٢- الاضطراب السياسي الذي أحدثه طمع المماليك في العراق للسيطرة على مقاليد الحكم، ومحاولاتهم فرض إرادتهم عند الباب العالي، حيث كان الوالي عمر باشا سبباً مباشراً في تدهور العلاقات مع الدولة الفارسية^(١).

٣- استغلال كريم خان الزند وضع القبائل الكردية في شمال العراق؛ للتدخل فيها، ولاسيما أنه من أصول كردية، فقد تبنى القادة الأكراد الفارين واللاجئين إليه في تلك الفترة؛ بهدف تقوية نفوذه في كردستان؛ ليضمن وصول الأمراء الموالين له في الحكم؛ مما ساعد في تحقيق أهدافه ومطامعه التوسعية في كردستان^(٢).

شهدت شمال العراق صراعاً مريعاً تمحور هذا الصراع بين قادة الكرد حول السبل للوصول إلى السلطة، وسبب التنافس بين القادة الأكراد مدخلاً لكريم خان الزند للتدخل في شمال العراق.

تولى سليمان باشا (١٧٥٠ - ١٧٦٠). إمارة بابان^(٣)، وكوى، وحرير، ولواء إربل ومقاطعات كوبري، وقره حسن، وزنگباد، وجسّان، ولكنه رفع راية العصيان ضد والي بغداد علي باشا (١٧٦٢ - ١٧٦٤)، الذي بذل جهداً كبيراً في حشد جيش عظيم يتكون من خمسة آلاف أو ستة آلاف من الخيالة، ومن سبعة آلاف، أو ثمانية آلاف من المشاة، وزوده بالمدافع، وسائر العدد والعتاد. وعلى إثر ذلك سَيرَ والي بغداد علي باشا (١٧٦٢ - ١٧٦٤) الجيش لصد قوات سليمان باشا حيث استطاع أن يكبده خسائر فادحة، وذلك بفضل قوة خطوط الهجوم ومناعتها التي أعدها وعمق الخوف الذي انتاب جيش سليمان باشا، فاستغل فرصة حلول الشتاء، وعاد إلى سنة، والتجأ إلى كريم خان الزند، فاستولت قوات والي بغداد علي باشا (١٧٦٢ - ١٧٦٤) على خيامه، ومدافعه، ومهماته، وحينئذ وجهت إيالة (بابان) إلى أخيه أحمد باشا، فألبسه خلعة الإمارة، وأذن له أن يذهب إلى مقر إمارته، ورجع والي بغداد منتصراً على خصمه^(٤).

(١) عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني في فترة الحكم المحلي ١١٣٩ - ١٢٤٩ / ١٢٧٦ - ١٨٣٤، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧٥، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) سعدي عثمان هروتي، كردستان والإمبراطورية العثمانية دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كردستان ١٥١٤ - ١٨٥١، مطبعة خاني، دهوك، ٢٠٠٨، ص ١٥١ - ١٥٢.

(٣) إمارة بابان: أسست إمارة بابان في أوائل عام ١٥٠١ في المنطقة المجاورة لبحيرة أورمية ومؤسس هذه الإمارة بير بوداق بك وضمت إليها ولاية لارجان وشاكرد السورانية وسلبها من عشيرة زرزا أما أصل كلمة بابان تعني الأب أو كبير القوم، وعندما ضم العراق للدولة العثمانية في ١٥٣٤، أعلنت انطواءها رسمياً تحت سيطرة الباب العالي، وقد استطاع البابانيون أن يستفيدوا من قوة عشيرة الجاف في القضاء على منافسيهم من القبائل الأخرى...، عمار عباس محمود، القضية الكردية.. إشكالية بناء الدولة، دار الغربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٦٧.

(٤) عباس العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، الدار العربية للموسوعات، د.ت، ج ٦، ص ٤٣ - ٤٤.

لقد ارتبط تأرجح علاقات بابان بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية بعوامل عسكرية وسياسية، فكلما سمع الأمير الباباني بمحاولة والي بغداد بالهجوم على إمارة بابان، أو تولية إمارة بابان إلى أحد القادة الأكراد، فإن الخصم لهذا القائد يلجأ إلى الدولة الفارسية؛ لكي يفرض إرادته بمساندته على الدولة العثمانية.

وفي عام ١٧٧٣ كان حاكم الإمارة البابانية أحمد باشا بابان على زمن والي علي باشا (١٧٦٢ - ١٧٦٤)، وعند وفاة الأخير تولى الباشوية عمر باشا (١٧٦٤ - ١٧٧٦)، وكانت تربطه مع سليمان باشا بابان علاقة جيدة، وكان يقيم في أردلان من بلاد فارس، فاستدعاه والي ليحل محل أحمد باشا بابان كحاكم على الإمارة البابانية، وقد منحه إضافة إلى ذلك مقاطعات أخرى في شمال العراق كوي، وحريز، وإربل، وقره حسن، وزنكباد، وجسان، وبدره، وأرسل إليه خلعه إلى سنة، فاضطر أحمد باشا الذهاب إلى الموصل دون أي مقاومة منه أمام الأمر، ولكن لم يرق ذلك لوالي بغداد عمر باشا حيث أجبره على البقاء في بغداد تحسباً من أي تمرد يقوم به ولكن لم يهدأ الوضع في الإمارة بل العكس من ذلك أدت إلى حدوث مشاكل بين أفراد الأسرة الحاكمة حتى إن سليمان باشا بابان راح ضحية تلك المشاكل^(١).

فقرر والي عمر باشا وإكراماً لسليمان بابان أن يعين شقيقه الأوسط عمر آغا حاكماً على كردستان، ولكن اتفق كل من محمد باشا، وأحمد باشا على العودة إلى كردستان واقتسامها فيما بينهما، على أن يكون عمر باشا كوي سنجق وقره داغ، فتم لهما ذلك، ولكن تجدد الخلاف بين الأخوين؛ مما اضطر أحمد باشا إلى الذهاب من قره داغ إلى زنكباد، وأما محمد باشا اتجه إلى كويسنجق^(٢).

وعندما علم أحمد باشا بضعف محمد باشا بسبب الطاعون قام بإرسال جيشه نحو كويسنجق وتقاتلا إلى أن اتفقا أن يأخذ أحمد باشا منطقة كويسنجق وقره داغ ويحتفظ هو بجولان، ثم أعلن محمد باشا راية العصيان على الدولة العثمانية، عندما التجأ إلى كريم خان الزند ١٧٧٤ حيث طلب من الدولة الفارسية أن تسانده، و تدعمه للحصول على إمارة بابان، فطلب كريم خان الزند من عمر باشا أن يعيد محمد باشا إلى منصبه، ولكن عمر باشا لم يوافق على مطلبه، فما كان منه إلا أن أرسل قوة عسكرية قوامها عشرة آلاف مقاتل تحت قيادة أحد قواده للإغارة على شهرزور لاستعادة منصب إمارة بابان الضائع عليه^(٣).

(١) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٤٥-١٤٦.

(٢) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٤٦-١٤٨.

(٣) نورس، العراق في...، ص ٢٣٧-٢٣٨.

وإزاء هذه التطورات عين والي بغداد عمر باشا محمود باشا حاكماً على بابان بعد أن طلب مساندته في مواجهة كريم خان الزند، فاتجه محمود باشا مع الجيش الذي أرسله عمر باشا إلى تحرير أحمد باشا من قلعة جولان التي احتجز فيها، ثم تحرك الجيش لملاقاة القوات الفارسية، فاستطاعت القوات العثمانية والكردية أن تدحر القوات الفارسية من قره جولان وأن تأسر القائد الفارسي، وهكذا بدأت الحرب ولكن ليست علنية^(١).

اعتقد عمر باشا أنه من الممكن تحقيق السلام في أزمة العلاقات بين البلدين؛ أي إنه توجد الإمكانية والضرورة؛ لتجنب الخيار العسكري، لحل تلك الأزمة من خلال إطلاق سراح الأسرى مع إرسال رسالة إلى كريم خان الزند يجامله بها متفائلاً أنه من الممكن تجنب الحرب، فقد تظاهر كريم خان الزند بالتجاوب مع والي عمر باشا، وأنه على ملتزم بالمبادئ والأسس، والمرتكزات الأساسية المبنية على مبدأ حسن الجوار بما يكفل الحفاظ على أمن المنطقة واستقرارها، ولكنه خلافاً لما أعلنه أراد شن حربٍ شاملة على طول الحدود الشمالية في العراق^(٢). وهنا يثير التساؤل: ماهي طبيعة السياسات التي نفذتها كل من الدولة العثمانية والفارسية تجاه كردستان في العراق؟

وفي هذا السياق يمكن القول: إن الحروب التي وقعت بين الدولتين الفارسية والعثمانية فترة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كان لها آثار مباشرة على كردستان العراق؛ كونها مسرحاً لأحداث وعمليات جرت على أرضها^(٣)، حيث نفذت الدولة العثمانية سياسة فرق تسد مع الإمارات الكردية التي كانت مرتعاً خصباً في تنفيذ سياسة فرق تسد، والأمر لا يحتاج إلى الجهد والعناء فعندما تهدد تلك الإمارات مصالح الدولة العثمانية ونفوذها في المنطقة تقوم على إيجاد خلاف بين زعماء الإمارات الكردية؛ لتوسيع الهوة والشقاق فيما بينهم؛ مما يؤدي إلى تأجيج الصراع بين تلك الإمارة أو العشائر الكردية، وهذا النزاع يعطي الدولة العثمانية الحق في التدخل فيما بينهما للوقوف إلى جانب الإمارة التي تؤيد مصالحها؛ للحد من طموحات الأمراء في

(١) الوردی، لمحات اجتماعية...، ج ١، ص ١٥٩-١٦٠. هيمسلي، أربعة قرون...، ص ٢١٦-٢١٧. كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٤٨-١٥٠.

(٢) صالح محمد العابد، البصرة في سنوات المحنة ١٧٧٥-١٧٧٩، مجلة المورد، العراق مجلد ١٤ عدد ٣، ١٩٨٥، ص ٣٨.

(٣) سعدي عثمان هروتي، دراسات أكاديمية في كردستان الحديث، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢، ص ١٨٨. كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٣٨-١٥١.

التوسع، والوقف بوجه حركاتهم المضادة ضد الدولة العثمانية، وقد ثبتت نجاعة سياسة فرق تسد ولاسيما مع أمراء بابان^(١).

ومن جهة أخرى كانت سياسة الدولة الفارسية تجاة كردستان تقوم على مبدأ فرق تسد، ولكن بين الإمارات الكردية والدولة العثمانية لتقدر على التدخل في شؤونها، وبسط نفوذها في المنطقة من خلال تعيين الأمراء على بعض الإمارات الكردية، ودعمهم بعدد من القوات الفارسية عند تحييتهم عن منصبهم من قبل السلطات العثمانية، أو في حال عدم نجاحهم في مقاومة الدولة العثمانية، كما لاحظنا سابقاً عندما ساند كريم خان الزند الأمير الكردي محمد باشا بجيش قوامه عشرة آلاف مقاتل من أجل استعادة منصبه بالاعتماد على أن كريم خان زند من أصول كردية، وكانت هذه السياسة ساعدت الدولة الفارسية لأن يكون لها موطئ قدم في المنطقة من خلال تقديم العون للأمراء الأكراد ضد الدولة العثمانية^(٢).

ومهما يكن من أمر فإن الإمارات الكردية اعترفت بالسلطة العليا لكل من الدولة العثمانية والدولة الفارسية، ولكن تبعيتها كانت حسب أهوائها ومصالحها، ولاسيما أن تلك الإمارات الكردية غير متحدة مع بعضها لتشكل كياناً قائماً بحد ذاته، ولكن بمرحلة من المراحل استطاعت تلك الإمارات أن تخضع عدداً من العشائر تحت إمرة زعيم لفترة من الزمن إلى أن تشعر الدولة العثمانية أو الفارسية بخطورته فتقومان بوضع بذور الشقاق والخلاف بين أفراد الأسرة الحاكمة لتصل إلى مبتغاها^(٣).

(١) هروتي، كردستان والإمبراطورية العثمانية دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كردستان ١٥١٤-١٨٥١، ص ٩٤-٩٧.

(٢) هروتي، كردستان والإمبراطورية العثمانية دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كردستان ١٥١٤-١٨٥١، ص ١٥١-١٥٧.

(٣) ب ليرخ، دراسات حول الأكراد وأسلافهم الخالدين الشماليين، ترجمة: عبيد حاجي، مكتبة خاني، حلب، ط ١، ١٩٩٤، ص ١٧-١٨.

رابعاً- أسباب الهجوم الفارسي على العراق ١٧٧٥:

مثل هجوم الدولة الفارسية على العراق واحتلال البصرة حلقة أخرى من حلقات التنافس بينها وبين الدولة العثمانية على المنطقة، وقد اتجهت التفاعلات بين الدولتين بشأن العراق إلى ما يشبه اتجاهين متناقضين حيث نتجت عن الاضطرابات التي اندلعت في شمال العراق إلى قيام الشاه الفارسي كريم خان الزند بالهجوم على العراق، ولاسيما بعد الخسائر التي تكبدها أمام الجيش العثماني والباباني عند نجدة محمد باشا.

لم تقتصر دوافع الشاه كريم خان الزند على ذلك؛ بل أراد التدخل بالمنطقة بشكل مباشر؛ نتيجة أطماعه الاستعمارية؛ مستغلاً حالة الضعف والوهن التي تعيشها بغداد إبان حكم المماليك، وعجز وسائلهم الدفاعية البحرية؛ فضلاً عن سخط الشاه الفارسي من النجاح في كثرة عوائد ميناء البصرة، وتزايد مكانته التجارية أمام تراجع ميناء بندر عباس، والموانئ الفارسية على الخليج، بعد أن نقلت شركة الهند الشرقية وكالتها من بندر عباس إلى البصرة، وعدّ كريم خان الزند إجراء الشركة هذا كفيلاً بالقضاء على التجارة الفارسية، وازدهار تجارة البصرة، فوجد أن احتلاله البصرة كان أفضل وسيلة للقضاء على منافسة البصرة للموانئ الفارسية، وإرجاع التجارة بين الهند وأوروبا إلى الطريق الفارسي القديم^(١).

مما لاشك فيه أن الشاه الفارسي كريم خان الزند أراد أيضاً أن يكون له نفوذ في الخليج من خلال القضاء على أي قوة بحرية عربية نامية في منطقة الخليج، ولاسيما القوى العثمانية التي ازدهرت في عهد السيد أحمد بن سعيد ١٧٤٤-١٧٨٣^(٢) حيث كانت العلاقات الفارسية - العثمانية في حالة عدم استقرار؛ فضلاً عن أن أغلب تجارتها تمارسها مع ميناء البصرة، وكانت محاولات كريم خان الزند للسيطرة على الخليج أقل نجاحاً، ولاسيما في عام ١٧٦٩ عندما طالب إمام عمان بدفع الأتاوة السنوية التي كانت مفروضة عليه من أيام نادر شاه خان الزند، كما

(١) عارف مرضي الفتح، الإيجاز في البصرة ونجد والحجاز ٦٢٢-١٩٦٥، ٢، مج، الدار العربية للموسوعات، د.ت، ص ٣٣. ب. مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة: محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط ٢، ٢٠١٦، ص ١٩٢. نورس، العراق في...، ص ٢٤١. أمين، القوى البحرية في...، ص ٧٩-٨٠.

(٢) ولد أحمد بن سعيد البوسعيدي الأزدي العماني مؤسس الدولة البوسعيدية في سنة ١٧٠٠ في منطقة أدم في عمان مقر العائلة البوسعيد، وبعد انهيار دولة اليعاربة ظهرت قوة أحمد بن سعيد البوسعيدي الذي استطاع تولي الإمامة ١٧٤٤، ونجح في طرد الفرس من بلاده، واتخذ من مدينة الرستاق عاصمة له، فأصبحت عمان في عهده في أوج قوتها وازدهارها، كما تدخل الإمام أحمد بن سعيد في الدفاع عن البصرة ضد الفرس عام ١٧٧٦. عبد القادر حمود القحطاني، سيرة الإمام أحمد بن سعيد البوسعيد مؤسس الدولة البوسعيدية (١٧٠٠-١٧٨٣)، مجلة المؤرخ العربي مجلة فصلية محكمة، تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد ٥٢، ١٩٩٥، ص ٦٧-٧٣.

طالب الشاه كريم خان الزند بإعادة سفينة نادر رحماني التي اشتراها الإمام العماني من الشيخ عبد الله آل معين حاكم جزيرة قشم، وعلى إثر ذلك قام قائد البحرية الفارسية زكي خان بالتوجه إلى وكيل الشركة الإنكليزية لاستعادتها من خلال تأكيده أن السفينة ملكية الدولة الفارسية، وقد نجح في إقناعه بذلك، ولكن رفض الإمام العماني هذه المطالب بأزداره^(١).

وفي عام ١٧٧٣ طلب كريم خان الزند من متسلم البصرة، ووكيل الشركة الهندية الشرقية مساندته في شن حملة على الإمام العماني، وأخبرهما إن لم يقدم أي منهما على تقديم المساعدة له سيقوم بشن حملة على البصرة^(٢).

إزاء المستجدات التي كانت تشهدها منطقة الخليج العربي يمكن القول: لم يكن بوسع باشا بغداد الموافقة على مطالب كريم خان الزند؛ لأنه ليس من مصلحته أن تكون عمان ضعيفة بل يتطلب منها البقاء قوية ومستقلة أمام تعاظم النفوذ الفارسي؛ خوفاً على المصالح التجارية التي تربط عمان بالبصرة؛ فضلاً عن أهمية استمرار عمان كقوة بحرية بوجه البحرية الفارسية، وقد كان ذلك إشارة واضحة على انهيار العلاقات بين الدولتين وقرب الحرب بينهما^(٣).

كما شهد العراق تدهوراً صحياً؛ نتيجة تضافر عوامل عدة أدت إلى انتشار العديد من الأمراض، ومن أهمها: مرض الطاعون^(٤) عام ١٧٧٢ الذي فتك بمعظم سكان العراق حيث قُدرت عدد ضحاياه في أول يوم من انتشاره في بغداد حوالي سبعين ألف، وفي الأيام التالية أصبح الضحايا يفوقون العدد، ويذكر هنري مور أن عدد المصابين حوالي ٢٠٠ ألف نسمة في

(1) John R. Perry. Makers Of The Muslim World Karim Khan Zand Exford, England, 2006, P67.

مصطفى عقيل، التطلعات الإيرانية في البصرة على عهد كريم خان الزند (١٧٧٩-١٧٧٤)، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، قطر، مجلد رقم ١٦، ١٩٩٣، ص ٣٦٧-٣٦٩.

(٢) أمين، القوى البحرية في...، ص ٨٠-٨١. نورس، العراق في...، ص ٢٤١-٢٤٢ عقيل، التطلعات الإيرانية في البصرة على...، ص ٣٦٧-٣٦٩.

(٣) نورس، العراق في...، ص ٢٤٢.

(٤) الطاعون: يسمى أيضاً بالوباء أو الشوطة أو الموت الأسود، ويسمى كذلك بمرض الحمى الوبيلة، وهو ناتج عن بكتريا يرسينيا بستس أو باستريلا بستس (pasteurella pestis)(Yersinia pestis) عضوية أو عنقودية الشكل، وفي الأصل مرض يحدث للقوارض، وبخاصة الفئران المصابة بالبراغيث التي تتغذى عليها، وينتقل المرض إلى الإنسان بواسطة البراغيث، عند توافر الظروف والعوامل البيئية المناسبة. شعبان خلف الله، الأمراض السارية التي تنتقل إلى الإنسان من الحيوانات ومنتجاتها (الأمراض) الأمراض البكتيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤، ص ١٥١-١٥٢.

البصرة ومليونين في باقي المناطق المجاورة^(١)، بينما ذكرت مصادر أخرى أنه نتيجة إصابة العراق بدءاً من بغداد والبصرة بلغ عدد ضحاياه من أهل البصرة الذين توفوا من جزائه حوالي ٣٥٠ ألف نسمة^(٢).

أثارت ممارسات ولاية بغداد تجاه العشائر العربية في العراق ولاسيما والي بغداد عمر باشا مشكلات كبيرة ومعقدة، فبدلاً من كسبهم إلى جانب الحكومة العثمانية، فقد كانت أعمال العصيان و التمرد تقليداً لديهم، فضعت العلاقة بينهم وبين والي بغداد؛ بسبب انتشار الفساد، ومن هذه الثورات ثورة عشيرة خزاعل^(٣) حيث تمرد شيخ خزاعل حمود الحمد في الفرات الأوسط، ولكن تم إخماد هذا التمرد كما تمرد رئيس عشيرة المنتفق عبد الله السعدون في سنة ١٧٦٨ فقد حدثت أزمة كبيرة بين متسلم البصرة سليمان آغا ورئيس عشيرة المنتفق الشيخ عبد الله السعدون بخصوص سيطرته على بعض المناطق في البصرة ونتيجة تدهور العلاقات بين الطرفين أراد متسلم البصرة أن ينهي الخلاف بوساطة عبد الله الشاوي، ولكن فشلت وساطته، فقام عمر باشا بحملة على البصرة لإنهاء تمرد شيخ المنتفق الذي لاذ بالفرار، وولى هارباً كما أمر عمر باشا بقتل عبد الله الشاوي في أم الحنطة، فأعلنت عشيرته التمرد على والي بغداد؛ بسبب إعدامه، ولكن انتهى التمرد بإخماده من قبل والي بغداد عمر باشا^(٤).

إذا كانت الدولة العثمانية عاجزة عن منع الفساد واستئصال الرشوة وإيقاف اضطرابات العشائر التي امتنعت عن أداء الضريبة تجاه الدولة العثمانية؛ فضلاً عن النزاعات التي كانت فيما بينها فهيأت بذلك الفرصة الذهبية لكريم خان الزند في القيام بالهجوم على العراق.

كما تزامن هذا الهجوم الفارسي مع الفترة التي كانت فيها الدولة العثمانية منشغلة في حروبها مع روسيا القيصرية (١٧٦٧-١٧٧٤) حيث خاضت الدولة العثمانية حرباً فاشلة أمام القوى الروسية، فاضطرت الدولة العثمانية في تلك الفترة إلى توقيع معاهدة كوجك قينارجة

(١) العابد، البصرة في سنوات...، ص ٣٨، كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٣٩-١٤٤، نورس، العراق في...، ص ٢٤٣. الوردي، لمحات اجتماعية...، ص ١٥٩.

(٢) الفتح، الإيجاز في البصرة...، ص ٣٠.

(٣) عشيرة خزاعل: عشيرة عظيمة من بني خزاعة حرفت وسميت خزاعل وهم من بني عمرو بن ربيعة بن حارثة ابن مزيقيا من الأزد من القحطانية، وعمرو هذا أبو خزاعة كلها يسكنون غرب السماوة، ومناطق الحلة وذات شرف ورئاسة منذ أقدم الأزمنة. إبراهيم بن صبغة الله بن اسعد الحيدري، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠، ص ٨٩-٩٠.

(٤) الوردي، لمحات اجتماعية...، ص ١٥٧-١٥٩، لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٠٩-٢١٠. كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٣٩-١٤٢.

١٧٧٤ تنازلت فيها عن بعض الأراضي للدولة الروسية، وأعطتها الحق بالإشراف على الرعايا المسيحيين الذين تطلعون فيما بعد إلى الاستقلال عنها^(١).

يبدو للدارس من خلال الأحداث التي كانت الدولة الفارسية تواجهها منذ بدايتها إلى احتلال البصرة أنها كانت تمتلك بنية قوية في الجيش تعتمد فيها على أبناء القبائل الذين يتميزون بولائهم للشاه مقابل دفع الرواتب، والسماح لهم بالسلب والنهب بعد الحرب؛ مما خلق تدمراً وتنافساً في صفوف الجيش، وهكذا أدرك الشاه كريم خان الزند أن عليه المسارعة في إشعال نار الحرب من خلال توجيه حملة إلى العراق، وحصار البصرة؛ لإشغالهم بحروب خارجية؛ خوفاً من الاضطرابات التي سيفتعلونها في بلاد فارس وشق عصا الطاعة عليه^(٢).

ومن الجدير بالذكر أن الصراع السياسي والاقتصادي بين الدولتين الفارسية والعثمانية حمل طابعاً إيديولوجياً تحت مسمى الدين من خلال تبني الدولة الفارسية المذهب الاثني عشري، وتبني الدولة العثمانية للمذهب السني، ومن هنا أراد الشاه الفارسي لهُو الشعب الفارسي بمغامرة جديدة وتحويل أنظاره عن الأزمات التي تمر بها البلاد وعن النزاعات الداخلية، ولاسيما الذين يعتقدون المذهب الجعفري الاثني عشري، ويستميلهم لنصرته وتأييد سياسته وتجمعهم حول فكرة واحدة العمل على استرداد الأماكن المقدسة الشيعية التي كان العثمانيون يسيطرون عليها ولا يتم ذلك إلا بحرب يقودها الشاه ضد الدولة العثمانية في العراق^(٣).

وهكذا نرى أن هذه الأسباب مجتمعة دفعت الشاه الفارسي كريم خان الزند إلى القيام بحرب على العراق، ولكن احتاج إلى حجة لإشعال الحرب والاستيلاء عليه، فقد طالب الشاه كريم خان الزند الدولة العثمانية برأس والي بغداد عمر باشا لأسباب عدة، منها:

- معاناة أبناء الدولة الفارسية الذين يزورون العتبات المقدسة عن طريق كرمنشاه -درنه من اضطهاد والي بغداد عمر باشا، ورفع كريم خان شكاوى إلى الدولة العثمانية التي لم تهتم لشكاوى كريم خان الزند بهذا الشأن^(٤).

- صادر والي بغداد عمر باشا أموال سبعمائة أسرة فارسية في كربلاء والبصرة بعد أن قضى وباء الطاعون عليها دون أن يأبه لوساطة كريم خان الزند بخصوص إعادة الأموال إلى

(١) العابد، البصرة في سنوات...، ص ٣٩. المحامي، تاريخ الدولة العلية، ص ١٦٠. عبد الله، تاريخ العراق...، ص ٣٤٣.

(٢) العابد، البصرة في سنوات...، ص ٤٠، نورس، العراق في...، ص ٢٤٢. لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢١٥.

(٣) الوردي، لمحات اجتماعية...، ج ١، ص ١٢-١٣. الجاف، موسوعة تاريخ إيران...، ج ٣، ص ١٤٢،

(٤) كاتوزيان، الفرس إيران في...، ص ١٨٥.

Perry. Makers Of The Muslim World Karim..., p76-77.

ورثتها الشرعيين، كما أن والي بغداد عمر باشا قبض على بعض أبناء الدولة الفارسية في الكاظمية، ووضعهم تحت العصا إلى وفاة أحدهم.

• الاضطرابات التي أصابت شمال العراق، والعمل على تحريض القبائل الكردية من قبل والي بغداد عمر باشا في إمارة بابان؛ من أجل مقاومة أي حركة تهدف إلى إعادة محمد باشا الباباني إلى الحكم^(١).

خامساً - مقدمات الهجوم الفارسي على العراق بشكل عام والبصرة بشكل خاص وموقف الدولة العثمانية منه:

شكلت الحملة الفارسية بعداً حقيقياً لصراع دائم من أجل الهيمنة على منطقة العراق له جذور قديمة، لذا حاولت الدولة العثمانية الوقوف أمام أطماع وطموحات الشاه الذي اتخذ قراراً بالتوسع بذريعة أن الشاه كريم خان الزند أراد رأس عمر باشا، ولكن رفض السلطان العثماني مطلبه؛ لأنه عدّ ذلك اعتداء على الدولة العثمانية وسيادتها، وعلى إثر ذلك قررت الدولة الفارسية البدء بعملياتها العسكرية من خلال تجهيز ثلاثة جيوش ضد العراق، الأول من شيراز نحو البصرة حيث وصل بالقرب منها وحاصرها، وأما الجيشان الآخران نحو كردستان^(٢) للانتقام من الدولة العثمانية^(٣).

كان وضع البصرة حرجاً لاسيما إذا تذكرنا أن أعداد أفراد الحامية هناك كان لا يتجاوز ١٥٠٠ شخص، وأنه لم يكن يوجد للدفاع عن المدينة من جهة النهر إلا بضعة سفن تابعة للقبودان باشا، مع ذلك فقد أظهر سليمان باشا متسلم البصرة شجاعة فائقة، فلم يضطرب عند رؤيته للخطر وهو يقترب منه فجند ١٥ ألف من المتطوعين من الأهالي، وأصلح أسوار المدينة، واستعد لمجابهة حازمة، وفي هذه الأثناء قام الشيخ سليمان الكعبي بنقل الجيش الفارسي إلى

(١) رؤوف، الموصل في العهد ...، ص ١٣٠. نورس، العراق في ...، ص ٢٤٢. الجاف، موسوعة تاريخ إيران ...، ج ٣، ص ١٤٢.

(٢) ويذكر علاء نورس في كتابه العراق في العهد العثماني عن تعداد الجيوش بقوله: "وعندئذ أرسل كريم خان الزند في أوائل سنة ١٧٧٥ قوات كبيرة لمهاجمة العراق في عدة جبهات، فقد تحرك من شيراز لمهاجمة البصرة قوات يقودها صادق خان -شقيق كريم خان- تعدادها خمسون ألفاً، إضافة إلى أسطول يتكون من حوالي ثلاثين سفينة صغيرة كانت قد أعدت وجهزت في بوشهر وبندريق، وفي الوقت نفسه كانت هناك قوات أخرى يقدر عددها بعشرين ألفاً قد عبرت حدود العراق الشمالية، واحتلت عدة مواقع مهمة وأخذت تتقدم باتجاه كركوك، فاجتاحت بعض قرأها". نورس، العراق في ...، ص ٢٤٤.

(٣) ومن الجدير بالذكر قبل وصول القوات الفارسية إلى البصرة توفي السلطان مصطفى الثالث ابن أحمد خان، وأصبح أخوه السلطان عبد الحميد الأول خليفة له، فقام بقبول طلب كريم خان الزند بقتل عمر باشا؛ سعياً منه لإيقاف الحرب. الجاف، موسوعة تاريخ إيران ...، ج ٣، ص ١٤٢. كركوكلي، دوحة الوزراء ...، ص ١٥٠-١٥١.

الضفة العربية من شط العرب، كما سار الأسطول الفارسي صاعداً في النهر حتى البصرة تقريباً غير أن السفن العثمانية مع فرقاطتين تابعتين لشركة الهند الشرقية الإنكليزية قطعت عليه الطريق هناك، ومنعته من قصف المدينة، وقبل أن يبدأ القائد الفارسي حصار البصرة دخل في مفاوضات مع متسلم البصرة، ومدير المركز التجاري الإنكليزي هناك، واقترح عليهما تسلم المدينة طوعية مقابل ٢٠٠٠٠٠٠ روبية، لكنه لم يحقق ما يصبو إليه، بينما كانت المفاوضات تسري استطاع الأسطول العثماني الإنكليزي أن يلحق بالأسطول الفارسي أضراراً ملموسة، ولكن بعد مغادرة السفن الإنكليزية بوشهر لم يعد قبودان البصرة الذي بقي وحيداً قادراً على التخلص من الفرس إلى للاختباء مع قسم من الأسطول العثماني في الكويت التي كانت تابعة لمتسلم البصرة، ومع ذلك فقد تحمل المتسلم الحصار، ويؤمل نفسه والمدافعين بقدم التعزيزات من بغداد^(١).

إن عمر باشا لم يكن قادراً على مواجهة جيوش الدولة الفارسية، فطلب المساعدة من الدولة العثمانية التي بعثت وفداً برئاسة وهبي أفندي إلى شیراز؛ لدراسة الأوضاع والتباحث في أمور قابلة للنقاش في إنهاء الحرب بينهما، ولكن النقاشات لم تؤد إلى نتيجة مرضية لإصرار كريم خان الزند على الحرب، وعدم الاستجابة لمطالب الدولة العثمانية بسحب قواته من المنطقة العراقية^(٢).

وعلى ضوء هذا الاجتماع عادت البعثة إلى بغداد؛ لإجراء دراسة بالاستعانة بوالي بغداد عمر باشا لمعرفة مدى خطورة الوضع، والقدرة على مواجهة الدولة الفارسية حيث انتهت هذه الدراسة برسائل عدة وتقارير كتبها الوالي عمر باشا إلى السلطان العثماني حيث يؤكد فيها ضرورة إرسال جيش كبير؛ لمساندته؛ لإنقاذ ولاية البصرة، وتخليص الناس من الهلاك والخطر القادم نتيجة الحصار الفارسي^(٣).

حيث جاء في ختام التقرير العبارة الآتية: "بالنظر إلى الوضع الراهن في العراق، وبالنظر إلى الأخطار المحدقة به من جراء الغزو الفارسي، ولعدم تيسر القوات المسلحة الكافية في بغداد لصد هجمات العدو، ولرفع الحصار عن البصرة والمحافظة على بغداد نفسها من الغزو

(١) ألكسندر أداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ج٢، دار ميسلون للنشر، بغداد، ١٩٨٢، ج٢، ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٥١-١٥٢. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق...، ج٦، ص ٦١.

(٣) فائق بك، تاريخ بغداد، ص ٢٠.

الفارسي المنتظر وشيكاً، فإن والي بغداد يسترحم من حضرة صاحب الجلالة السلطان المعظم إصدار إرادته السنوية بتزويد حكومة بغداد بالجيش والمال والعتاد بأسرع وقت ممكن^(١).

ولم يكتف السلطان العثماني بما جاء بالتقرير؛ بل أراد أن يتعمق في الوضع أكثر، وطلب من الوزراء والولاة معرفة الوضع، ومنهم والي شهرزور سليمان باشا الجليلي ومحافظ قارص أحمد عزت باشا.

وقد بعث محافظ قارص أحمد عزت باشا بتقريره إلى السلطان العثماني مسانداً رأي والي الوالي عمر باشا بضرورة إرسال جيش كبير للوقوف في وجه الدولة الفارسية بأقصى سرعة^(٢).

وأما والي شهرزور سليمان باشا كان تقريره ضد والي بغداد عمر باشا؛ بسبب عداؤه معه، فقد أراد التخلص منه عن طريق إشعال نار الفتنة بينه وبين الباب العالي حيث صب كامل المسؤولية على والي بغداد في تلك الحرب؛ لكونه السبب الرئيس في الاضطرابات التي حدثت مع الدولة الفارسية؛ لأن والي عمر باشا حسب زعمه أصدر أمره بإقصاء محمد باشا عن متصرفية لواء بابان فالتجأ هذا إلى سنة، وتوسل إلى الشاه الفارسي للتوسط له عند عمر باشا للصفح عنه، وإعادته إلى الحكم الفارسي، ففعل الشاه الفارسي لكن والي أخلف معه الوعد، ولم يكتف بالإخلاف؛ بل قام بتحريض القبائل الكردية في لواء بابان لمقاومة أي حركة ترمي إلى إعادة محمد باشا، وبتأثير منه أعلن شيوخ تلك القبائل عزمهم على ذلك ثم عين أحمد باشا على ولاية بابان، وهذا ما أغضب الوكيل الفارسي، وأصبح أكثر إصراراً على توجيه جيوشه إلى العراق^(٣).

فضلاً عن ذلك دوره في اضطهاد الزوار في العتبات المقدسة، ومصادرة أموالهم ومقتنياتهم، كما أنه قام بمصادرة أموال سبعمئة أسرة فارسية في بغداد والبصرة على إثر مرض الطاعون، ورفض تسليم الأموال للورثة الشرعيين، وهو السبب المباشر في السماح للدولة الفارسية في التدخل بأمور العراق^(٤).

وينتهي والي الجليلي تقريره بهذه العبارات: "إن وكيل الشاه أصدر أمره بلزوم تراجع الجيش الفارسي إلى ما وراء الحدود بعد اختراقه إيالة شهرزور واحتلاله بعضها، وإن وكيل الشاه مصاب بمرض لا يرجى شفاؤه منه، وإنه لم يلقب نفسه بالشاه حتى الآن معلناً بأن هدفه توحيد كلمة الشعب الفارسي، وتوطيد الأمن فيه، ونشر العدل، وأنه منذ أن قبض على

(١) سهيل قاشا، الموصل في العهد الجليلي ١١٣٩ - ١٢٥٠هـ / ١٧٢٦ - ١٨٣٤، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة السائح، لبنان، ٢٠٠٨، ١٠٧.

(٢) نورس، العراق في...، ص ٢٤٦.

(٣) قاشا، الموصل في...، ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٤) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٥٣.

ناصية الحكم في بلاد فارس لم يقد بحركة عدائية ضد الدولة العثمانية، وأنه مازال يصرح باحترامه نصوص المعاهدة المبرمة بين الجارتين، أما النزاع القائم فهو أكثر ما يكون شخصياً من جراء السياسة الخرقاء التي سار عليها الأخير^(١).

وبطبيعة الحال نلاحظ أن السلطة العثمانية أيدت التقرير، وكان قرارها نابعاً من خشيتها من امتداد نفوذ الدولة الفارسية في العراق، وهي لم تكن على استعداد لمواجهة؛ بسبب مشاكلها في أوروبا، ووجدت هذا التقرير مسوفاً لإعادة الحكم العثماني المباشر إلى العراق حيث إن السلطنة العثمانية لديها حساسية من احتكار الممالك للسلطة في العراق، وقد سلكت سياسة واحدة لا تتغير في جوهرها مركزية الحكم تحت سيادتها^(٢).

ويؤكد نيبور ذلك بقوله: "كما فعل كريم خان فقد حاصر البصرة سنة ١٧٧٥ - ١١٨٩ بجيوشه وظن أرباب الدولة بإستنبول أن عمر باشا هو الذي مهد له ذلك، ومن الناس من كان يتصور أن العجم لم يكن لهم عزم على حرب السلطان، ولكنهم أرادوا بهذه الوسيلة أن يحطوا من قوة باشا بغداد فلم تكن ترضيهم سيرته، وآخرون يقولون: إن عمر باشا نفسه توسل إلى كريم خان الزند أن يرسل جيشاً إلى البصرة والسلطان لما دعا أحمد باشا وأزاله من منصبه؛ لأنه لا يريد أن يفقد البصرة"^(٣).

إذاً، لقي تقرير الوالي آذاناً مصيغة في إستانبول؛ نظراً لتغير الظروف الراهنة؛ إذ تمكنت جيوش الدولة الفارسية من اختراق الحدود العراقية، وأصبحت على مشارف البصرة، وهكذا فقدت الدولة العثمانية حماسها في مساعدة الوالي عمر باشا الذي كان يمثل حجر عثرة في طريق المصالحة مع الدولة الفارسية؛ إذ عدت أن إقصاءه عن الحكم ضرورة؛ لإعادة التوازن في العراق، وهو الانطباع التي خرجت به السلطنة العثمانية من التقارير التي وصلتها من الولاة والوزراء لديها، فأخذت السلطنة العثمانية تتعامل مع الوضع بحذر خوفاً من الصدام مع الممالك.

وعلى أية حال أرسلت الدولة العثمانية قوات عسكرية لعزل عمر باشا بقيادة مصطفى الأسبيناقي^(٤) والي الرقة لقيادتها بمشاركة كل من والي ديار بكر والموصل وشهرزور، وهكذا

(١) قاشا، الموصل في العهد...، ص ١٠٩.

(٢) نورس، العراق في العهد...، ص ٢٤٧. لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢١٨.

(٣) نيبور، رحلة نيبور...، ص ١٩٨.

(٤) مصطفى الأسبيناقي: أو الأسبيناخي أي بائع السبانج تولى أرضروم، ودمشق، وقونية، ثم تولى بغداد سنة ١١١٠-١٧٧٦، ووصفه معاصروه بأنه حاكم عادل صاحب أموال وفيرة وماظم أحداً الجاف: موسوعة تاريخ إيران...، ص ١٦٧. في بعض المصادر نقول: إنه قد تعاون مع الدولة الفارسية للسيطرة على البصرة، فقد خان الدولة العثمانية، وكذب على لسانها عندما قال: إن السلطان العثماني أصدر فرماناً بعزل الوالي عمر

ربط هدف الحملة بين إنقاذ باشا بغداد من حصار البصرة، وعزل عمر باشا وإنهاء حكم المماليك.

ويقول العزاوي: "أما الدولة فإنها في الظاهر أعانت عمر باشا، ولكن تضرر له نوايا، فأرسلت والي ديار بكر أوزون عبد الله باشا^(١) أتبعته بالحاج مصطفى الأسبيناجي جاء عبد الله باشا، ومعه نحو ثلاثة آلاف جندي، فوصل إلى كركوك، ثم بعد استراحة بضعة أيام رافقه القائد الحاج سليمان آغا إلى بغداد، ونزل في ميدان السلق.. ثم جاء بعد أيام قلائل الحاج مصطفى، وميران كيكي عهدي باشا^(٢)، ومعهما نحو ألفين وخمسمائة جندي، ونزلوا خارج الباب الأبيض، ثم ورد والي كركوك سليمان باشا الجليلي، ومعه ألف، فكان جيشاً معاوناً خارج البلدة"^(٣).

سافر مصطفى الأسبيناجي على رأس الجيش إلى والي عمر باشا، بينما الحصار مازال مستحكماً حول البصرة طلب من القادة العودة مع قواتهم؛ لأن السلطان العثماني تصالح مع الفرس وسينفك الحصار عن البصرة، وأن السلطان العثماني أصدر فرماناً بذلك، وتوليته على بغداد غير أن ذلك يجافي الحقيقة؛ لكون السلطان العثماني لم يصدر فرماناً، ولم يتصالح مع الفرس.

وبهذا الصدد يقول صاحب كتاب مطالع السعود: "أمدت الدولة العلية والي بغداد بجيش جسيم، ولكن الضبط والربط كان أكثر الوزراء خونة، وكان رؤساء ذلك الجيش ثلاثة: عبد الله باشا، وعهدي باشا، ومصطفى باشا (فلعلهم إما ارتشوا أو جبنوا؛ لأنهم أشاعوا أن السلطان عبد الحميد اصطلح مع ملك العجم كريم خان، وأنه عن قريب تنفك المحاصرة عن البصرة وذلك ليثبطوا همة العسكر عن القتال والهجوم على العدو ... وصوروا فرماناً عن السلطان بالكذب مضمونه هذا الصلح، وعزل عمر باشا، وتولية مصطفى باشا، وكل هذا افتراء على

باشا وقتله، وأصدر فرماناً بتسليم البصرة، ثم بعث للسلطنة العثمانية برسالة بأن البصرة تم تحريرها في الوقت الذي تعاني من ضنك الحصار. كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٥٤-١٥٧.

(١) عبد الله باشا الملقب بأوزون أي الطويل، وكان والياً على ديار بكر، وقدم على رأس ثلاثة آلاف جندي كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٥٢.

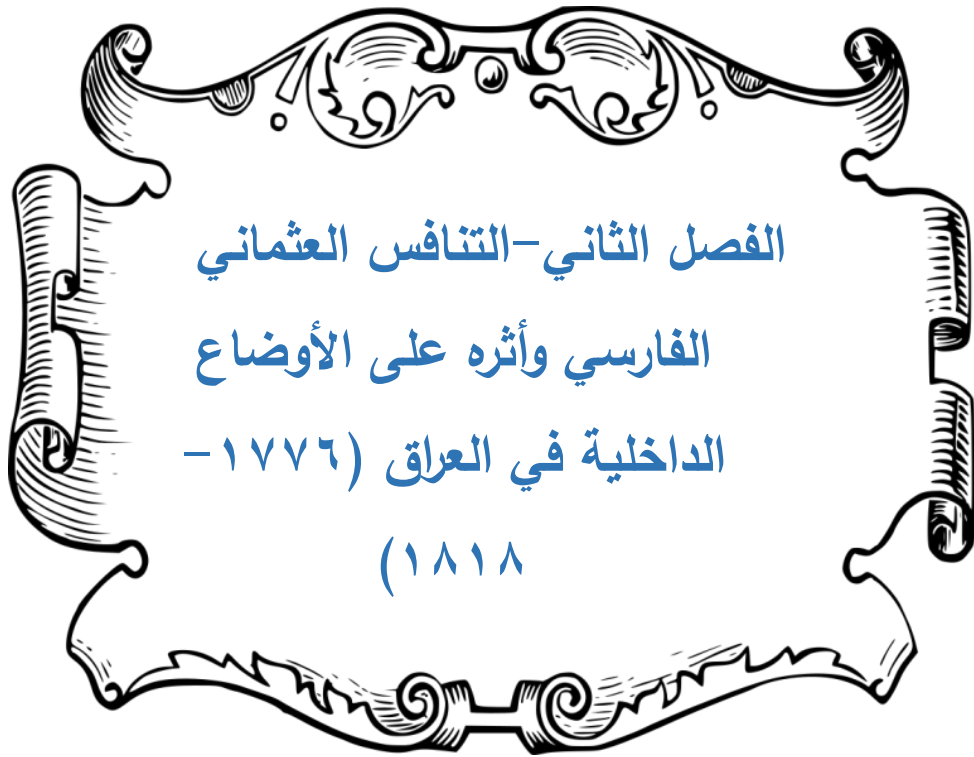
(٢) عهدي باشا: هو عبد الله بن سرخوس علي باشا من ولاية الدولة العثمانية تولّى ولايات عديدة، ونال رتبة الوزارة، وعيّن محافظاً وهو منصب عسكري لا إداري لعدد من المدن، وتولّى قيادة الجيش من عمليات مهمة، وورد بغداد. أمين بن حسن الحلواني المدني، خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق ١١٨٨هـ - ١٢٤٢م مختصر كتاب مطالع السعود بطبيب أخبار والي داود باشا للكاظم عثمان بن سندن البصري الوائلي، تحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٠هـ، ص ٩-١٠.

(٣) موسوعة تاريخ العراق...، ج ٦، ص ٦٢.

السلطان، ولبعد المسافة ما بين بغداد، وإسلامبول، وعدم ارتباط البوسطات بينهما كان يتعذر وصول الخبر الحقيقي إلى محله^(١).

ومما سبق يتضح أن أسباب اندلاع الأزمة ترجع إلى جوانب عدة، ومن أهمها: ما يتعلق بعجز السلطنة العثمانية عن معالجة ما ظهر من مشكلات على الحدود من ناحية، ومنها ما يرجع إلى قصور الولاة، متمثلاً في فشل والي بغداد من السيطرة على الموقف، ووضوح المصالح الفارسية في السيطرة على العراق من ناحية أخرى؛ فضلاً عن الخلافات الشخصية بين القادة وأطماعهم للسيطرة على الحكم، وفي الفصل القادم سوف نعالج موقف والي بغداد عمر باشا من الفرمانات التي تحدث عنها القائد مصطفى الأسبيناقي، وكيف تم فك الحصار عن البصرة ومعالجة المواقف الدولية والمحلية من تلك الأزمة، ومانتج عنها من أحداث أثرت على العلاقات العثمانية - الفارسية.

(١) المدني ، خمسة وخمسون عاماً ...، ص ٩-١٠.



أولاً- الاحتلال الفارسي للبصرة وانعكاساته على العلاقات العثمانية- الفارسية
(١٧٧٦ - ١٧٧٩).

ثانياً- الأوضاع السياسية في العثمانية والدولة الفارسية (١٧٧٩ - ١٨١٨).

١-الأوضاع السياسية في الدولة العثمانية(١٧٧٩ - ١٨١٨).

٢-الأوضاع السياسية في الدولة الفارسية (١٧٧٩ - ١٨١٨).

ثالثاً- الخلافات السياسية بين الدولتين العثمانية و الفارسية على كردستان العراق

أولاً- الاحتلال الفارسي للبصرة وانعكاساته على العلاقات العثمانية- الفارسية (١٧٧٦ - ١٧٧٩):

إن محاولة الدولة الفارسية السيطرة على البصرة من الطبيعي أن تترك آثاراً سلبية على المنطقة؛ لذا يجب إلقاء الضوء على موقف والي بغداد عمر باشا من الفرمانات العثمانية بعد وصول الأسبيناقي، ومعالجة المواقف الدولية والمحلية بعد وقوع البصرة بيد الدولة الفارسية وحصارها لها، وما ترتب ذلك من آثار حتى تكتمل الخيوط التي بدأت في الفصل الأول فتتضح الصورة، وتبين أسباب التنافس العثماني الفارسي على العراق.

أرادت الدولة الفارسية أن يكون لها موطئ قدم في البصرة، لذا حاولت التخلص من الوجود العثماني فيها، فسعت إلى حصارها؛ لتحقيق مآربها التوسعية، وعلى أثر ذلك وصل إلى بغداد -كما ذكرنا سابقاً- قوة عسكرية كبيرة وهم: أوزون عبد الله باشا والي ديار بكر، ومصطفى باشا الأسبيناقي والي الرقة، وسليمان باشا الجليلي والي الموصل، وكان القصد منه عزل عمر باشا، ولكنهم تظاهروا بأنهم جاؤوا لنجدة في حربه مع الدولة الفارسية، ولكن مصطفى باشا غدر بالوالي عمر باشا، فقد أبرز كتاباً عن لسان السلطان عبد المجيد خان الأول (١٨٣٩-١٨٩١) يقضي بعزل عمر باشا، وتوجيه الإيالة إلى مصطفى باشا، فما كان من والي بغداد عمر باشا إلا أن تنازل عن حكم الولاية بطواعية، ولم يقاوم مصطفى الأسبيناقي، فقد خرج من بغداد وخيم بالجانب الغربي قاصداً الذهاب إلى العاصمة، ولكن هجم عليه ليلاً مجموعة من جنود مصطفى الأسبيناقي، وقتلوه في خيمته، وفي اليوم التالي أظهر مصطفى باشا كتاباً على لسان السلطان يأمر فيه بقتل عمر باشا لإهماله أوضاع البصرة، وهكذا قتل عمر باشا بعد أن قطع رأسه وسلمه إلى إستانبول. لقد شكل مقتل عمر باشا إصراراً كبيراً لدى كريم خان الزند بمتابعة حصار جيشه للبصرة حيث تفانى أهلها بالدفاع عنها^(١).

ومن هنا يأتي التساؤل إذًا، هل شعر سكان العراق باستياء كبير من ممارسات مصطفى الأسبيناقي، أم أنهم رضخوا له على أمل أن يخلصهم من الوجود الفارسي على مشارف البصرة؟

إن الإجابة عن هذا السؤال: يتطلب الاطلاع على أعمال مصطفى الأسبيناقي والي بغداد التي زادت عن حدها من خلال التدخل في الشؤون الشخصية للمماليك، فقد أمر بمصادرة

(١) سليمان فاق بك، تاريخ بغداد، ترجمة: موسى كاظم نورس، دار الرافدين، بغداد، ١٩٦٢، ص ٣٠٢. فائق بك، تاريخ المماليك الكوله...، ص ٢٦-٢٧، الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٥٢-١٥٣. محمد أمين زكي، تاريخ السليمانية ونواحيها، ترجمة: الملا جميل أحمد الملا أحمد الروزياني، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، بغداد، ١٩٥١، ص ٨٤. السويدي، ورود حديقة الوزراء...، ص ١١٧-١١٩.

أموال الوالي عمر باشا بعد قتله، وكذلك جباية الأموال من الأغنياء زاعماً أنها من أجل إنقاذ البصرة غير أنها كانت تتسرب إلى جيبه، فضج الناس بالشكوى منه، وكتبوا إلى السلطان فيه، أضف إلى ذلك أنه كان يضيق على الممالك، ويعلن أنه يريد القضاء عليهم، مما جعلهم يتسللون من بغداد تدريجياً حيث تجمعوا في منطقة بعيدة إلى الشرق منها برئاسة زعيم لهم هو عبدالله الكهية، واخذوا يهددون بغداد، ويشنون الغارات على أطرافها مرة بعد أخرى، وتمكنوا من احتلال بعض المواقع، وانتهزت العشائر هذه الفرصة، وعادت إلى أسلوبها المعتاد من الغزو، والنهب، وقطع الطريق، ونتيجة سوء الأوضاع في بغداد والبصرة نفد مخزون المدينة من جميع الذخائر، والأسلحة، وقلّ الطعام حتى اضطر أهلها إلى أكل لحوم الحيوانات المحرمة، وحتى اتاهم خبر أن الدولة العثمانية لن تمّد يدها للدفاع عن المدينة؛ فضلاً عن ورود كتاب من قبل مصطفى الأسبيناجي بذلك، والسماح لهم بتسليم المدينة إلى الدولة الفارسية، فاستسلمت البصرة بعد دفاع كبير من قبل أهلها، ومن كان معهم من بحرية مسقط، وبعد انسحاب مر للمقيم الإنكليزي ١٧٧٦^(١).

أدت تلك التصرفات جميعها للشكوى إلى الباب العالي الذي بدوره قام بإصدار أمر يعلن فيه عن عزل مصطفى باشا عن ولاية بغداد، وتعيين عبدي باشا بن سرخوش علي باشا والياً على بغداد خصوصاً بعد سقوط البصرة بيد الجيش الفارسي الذي دخل المدينة، ولم يحترم تعهدهم، فأذوا السكان واستباحوا الحرمات، وأسروا متسلّم البصرة سليمان باشا، وعدداً من موظفيه، وأعيان المدينة، وأرسلوهم إلى شيراز، ونهبوا بيوت التجار والخانات، وبعد أن تم الاحتلال غادر صادق خان البصرة عائداً إلى شيراز؛ تاركاً مكانه لأحد جنوده، وهو محمد خان على رأس قوة تبلغ حوالي العشرة آلاف جندي لحكم المدينة^(٢).

قامت الدولة العثمانية بإصدار فتوى بمحاربة الدولة الفارسية بعد أن جمع السلطان في إسطنبول المجلس العام للدولة العثمانية^(٣)، وقرر ضرورة إعلان الحرب عليها؛ لكونها سيطرت على البصرة؛ ونتيجة ذلك أعطي شيخ الاسلام الفتوى، فقبل فيه: "إن زيدا الجائر من سكان بلاد العجم والذي يزعم بأنه وكيل الشاه، قد كوّن له عصابة باغية من اللصوص والمجرمين. وقد

(١) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٥٤-١٥٥. نورس، حكم الممالك...، ص ٢٠٧-٢١٠. لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٢٨. رسول فرهود هاني الحسنوي، إمارات شمال الخليج العربي (البصرة- الأحواز - الكويت)، دار الرافدين، بيروت، دار الفرات، الحلة، opus للنشر، كندا، ط ١، ص ٢٠١٦، ص ٤٥.

(٢) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٥٤-١٥٥. المدني، خمسة وخمسون عاماً...، ص ١٥-١٦.

(٣) يتألف المجلس العام من الصدر الأعظم وشيخ الإسلام والوزراء وقواد الجيوش البرية والبحرية والقضاء والعلماء والأعيان، ويعقد المجلس جلساته برئاسة السلطان، وبأمره عندما يكون هناك أمر طارئ وخطير يهدد أمن الدولة العثمانية. نورس، حكم الممالك...، ص ٢١٠.

شرعت هذه الفئة الباغية تهاجم بلاد المسلمين، واستولت على إحدى القلاع الإسلامية وفتكت بأوراح المسلمين، فهل يُعدّ (زيد) ومن ناصره من الباغين؟ (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) وحسب منطوق الآية الكريمة، هل وجب قتال هذه الفئة الباغية واسترجاع القلعة التي اغتصبها من المسلمين؟"، فكان جواب شيخ الإسلام على الاستفتاء هو: "نعم، وجب القتال والله أعلم".^(١)

ولما حضر عهدي باشا إلى بغداد وجد الحالة سيئة جداً، فقد تعاضم أمر عبد الله آغا، وأصبح مسيطراً على أواسط العراق جميعاً، وإزاء هذا الوضع المتدهور وجد الباب العالي نفسه أمام الأمر الواقع مرة أخرى، فقد عجز ولاية الذين أرسلتهم الدولة العثمانية عن حكم العراق وإنقاذه لهذا تخلى عن فكرة القضاء على الحكم المملوكي في العراق، وصدر فرمان بإسناد باشوية بغداد إلى عبد الله آغا، وأمره بتجهيز جيش كبير لإنقاذ البصرة من الدولة الفارسية، ووعده بأنه سيمده بالعساكر، والأموال، وتعيين حسن آغا حاكم ماردين وكتخدا أبي ليلة السابق والياً على كركوك مع توجية رتبة الباشا إليه^(٢).

وفي خضم الأحداث طالبت الدولة العثمانية والي كركوك حسن باشا أن يقوم بفتح جبهة جديدة على حدود العراق الشمالية؛ لكونها رأت أن المعركة طريقة لتلافي الخسائر، وضغط الحدود، وإمكانية العودة للحلول العسكرية؛ والغرض من ذلك زيادة تعزيز الضغط على الدولة الفارسية لإرسال قواتها إليها، وتخفيف العبء الواقع على البصرة، وبصورة جدية لإنقاذها من السيطرة الفارسية، بينما اتجه والي كركوك لتنفيذ أوامر السلطنة العثمانية، وبدأت المناوشات مع القوات الفارسية الموجودة على الحدود، فقد عمل والي كركوك على إبعادها وهزيمتها أكثر من مرة^(٣)، إلا أن والي بغداد عبد الله باشا انشغل في ملذاته وشهواته، وكان شرهاً على اتباع شهواته وأهمل أمور الحكومة، وفوض الأمر إلى وكيله عجم محمد^(٤) الذي أثناه عن مهمته^(٥).

(١) علي الوردي، لمحات اجتماعية...، ج ١، ص ١٦٣.

(٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية...، ج ١، ص ٢١٩.

(٣) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٥٦-١٥٩. زكي، تاريخ السليمانية...، ص ٨٤-٨٧.

(٤) عجم محمد: أصله من بلاد فارس جاء مع أمه وأختاه وهو أمرد جميل الصورة، فصار وإخوته يرقصون في المحافل، وهو أيضاً يرقص، وبزمر ويطلب إلى أن صار من صدور بغداد، وازداد نفوذه، وترقى على أيام الوالي عمر باشا، وفي أيام مصطفى الأسبيناقي تولى محمد عجم الخزنة دار، وفي عهد عبد الله باشا قرينه منه، وجمع ثروة كبيرة؛ مستغلاً منصبه أميناً للصندوق، ثم بدأ يطمح للوصول إلى الباشوية نفسها. المدني، خمسة وخمسون عاماً...، ص ١٧-١٩.

(٥) الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٥٩.

ومن ناحية أخرى كانت الدولة العثمانية تنتظر من الوالي في بغداد تحقيق هدف محدد هو إخراج القوات الفارسية من البصرة، وفي الوقت نفسه أدرك والي بغداد طبيعة المرحلة الجديدة، وشعر بخطورة الموقف أن بغداد ستكون عرضة للاعتداء من الدولة الفارسية، كما البصرة؛ لذا عمل والي بغداد على تشكيل مجلس يضم جميع الأعيان للتشاور فيما بينهم بخصوص إنقاذها، وأفضى ذلك المجلس إلى أن الأمر يتطلب دبلوماسية لحل المشكلة، فنقرر إرسال محمد بن عبد الله الشاوي^(١) إلى كريم خان لحثه على إخلاء البصرة من جنوده^(٢).

كان من المفترض أن تؤدي المفاوضات مع كريم خان الزند إلى نتائج مهمة غير أن وفاة والي بغداد لم يتح لمبعوث كريم خان الزند حيدر خان الذي أتى مع محمد الشاوي إيصال رسالته إلى باشا بغداد؛ الأمر الذي ترتب عليه نتائج خطيرة حيث فشلت البعثة في المهمة؛ لخلو الباشوية من واليها، ودخول البلاد في حرب أهلية لمدة خمسة أشهر، فكان من الطبيعي بقاء البصرة بيد الدولة الفارسية^(٣).

لم يستطع والي كركوك إغفال التحديات التي واجهتها العراق؛ بسبب الحرب الأهلية التي أثرت بشكل سلبي على الأوضاع المتردية، ولاسيما أن البلاد معرضة لخطر الدولة الفارسية، فسارع والي كركوك إلى إرسال تقارير للباب العالي تتعلق بحالة الفوضى التي أصابت العراق، وضرورة إيجاد حلول سريعة بتوليته الباشوية؛ لإدارة دفة الحكم لصالح القضاء على تلك الفتن والاضرابات، وإعادة الأمور إلى نصابها؛ فضلاً عن تحرير البصرة من السيطرة الفارسية، فما كان من الدولة العثمانية إلا إصدار أمر بتولية حسن باشا باشوية بغداد عام ١٧٧٨^(٤).

مما لا شك فيه أن الدولة العثمانية انتظرت الظروف المؤاتية لإضعاف الدولة الفارسية والقضاء على وجودها في البصرة، ولكن الوضع المتردي في العراق أدى إلى الضغط على البصرة من قبل الدولة الفارسية، ولاسيما أنها عدت وجودها في البصرة ضماناً لتوسعها على حساب الدولة العثمانية في العراق، والسؤال الذي يطرح نفسه: هل استطاع والي كركوك إنهاء حالة الفوضى بعد تعيينه والياً على بغداد؟ وما أثر ذلك على الوضع في البصرة؟

يمكن القول: لم يحرز الوالي في بغداد إلا نجاحاً ضئيلاً، فقد تغير الوضع نسبياً في البداية، عندما تمكن من تهدئة الأوضاع في بغداد إلا أن الفتن والاضطرابات عادت من جديد؛

(١) محمد بك الشاوي: شغل منصب رئيس باب العرب؛ أي الموظف العربي في ديوان الوالي الذي تراجعته العشائر في شؤونها مع الحكومة، وكثيراً ما كان يشغل هذا المنصب أفراداً من أسرة الشاوي.، نورس، العراق في العهد العثماني، ص ٢٨٠.

(٢) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٥٩. المدني، خمسة وخمسون...، ص ٢١.

(٣) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٢١. المدني، خمسة وخمسون...، ص ٢٢.

(٤) الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٥٩-١٦٤.

بسبب الصراع بين الأمراء والأعيان على الحكم سواء في بغداد أو في شمال العراق؛ وبالتالي حالت الأوضاع دون إجلاء الفرس عن البصرة.

وقد أخذت الأوضاع تسوء في البصرة ، فبدأت حالة الوعي لدى العشائر العراقية، ومنها عشيرة المنتفق التي شنت غارات عديدة على الفرس في البصرة؛ مما اضطرهم إلى شن هجوم عليها سنة ١٧٧٧، فتصدت لهم تلك العشيرة في معركة عند موقع الفضيلة غربي نهر الفرات قريبة بعدة أميال من قرية العرجة، وانتهت بهزيمة الجيش الفارسي^(١).

إن الحكم على نتائج المعركة عسكرياً وسياسياً يرتبط إلى حدٍ بعيد بتحديد أهداف الأطراف المعنية بالمعركة، وماذا تحقق منها، حيث يلاحظ أن الطرفين المباشرين للحرب عشيرة المنتفق وجنود الدولة الفارسية كل منهما حاول تحقيق الانتصار من أجل إخضاع الطرف الآخر، وسنلاحظ أن مصير الوجود الفارسي في البصرة سيعتمد على مجموعة من القضايا التي ستقرر مصيرهم في البصرة بشكل خاص، والمنطقة بشكل عام، وأهمها:

أنه بعد الخسارة التي مُني بها جنود الدولة الفارسية شنوا هجوماً كبيراً على مدينة الزبير^(٢) في أوائل سنة ١٧٧٨ ، واستطاعوا احتلال المدينة وتدميرها بشكل كبير، وبما أن الدولة الفارسية لم تستطع القضاء على نفوذ عشيرة المنتفق بشكل كامل، فقد اتجه التفكير نحو التهديد والوعيد لشيخ المنتفق، وإنذاره بضرورة إعلان الطاعة للدولة الفارسية، وتنفيذ أوامر قائد الجيش الفارسي، ولكن موقفه شكل صفة كبيرة للقوات الفارسية؛ لكونه رفض تلك الأوامر، وأعلن بشكل علني استعداداته للحرب ضد الدولة الفارسية، ويبدو أن نتائج التشنج السياسي فرضت مزيداً من الضغط على الدولة الفارسية؛ لإرسال جيش كبير، وثمانية عشر زورقاً نهرياً تحمل المدافع برئاسة محمد علي خان^(٣).

(١) العابد، البصرة في سنوات المحنة...، ص ٤٩. نورس، العراق في العهد...، ص ٢٨٢. لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٣٢. المدني، خمسة وخمسون...، ص ١٢-١٣.

(٢) الزبير: واقعة غربي البصرة على مسافة ٧ أميال توجد في واد كان يقال له وادي النساء؛ لأن النساء كن يظهرن إليه، ويلتقطن الكمأة ثم سمي وادي السباع، ولما دفن فيها الزبير بن العوام في واقعة الجمل صار يسمى الزبير. للمزيد محمد بن الشيخ خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، دار إحياء العلوم، بيروت، المكتبة الوطنية، البحرين، ط ٢، ١٩٩٩، ص ٢١٨.

(٣) أشار الكركوكلي إلى أن تعداد قوات الجيش الفارسي حوالي ١٠ آلاف مقاتل كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٦٧، أما لونكريك يقول: إن تعداد القوات الفارسية تبلغ حوالي ستة آلاف مقاتل. لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٣٢.

سارعت القوى برئاسة محمد علي خان إلى التوجه نحو المنتفق، وترك محمد حسين خان السيستاني مع حوالي ألفي جندي في البصرة؛ خوفاً من الاضطرابات في حال غياب قائد الحملة عن البصرة لمواجهة المنتفق.

وما إن علمت هذه العشيرة بتحريك محمد خان نحوهم حتى تحصَّنوا في موقع أبي حلانة، فعبرت القوات الفارسية نحوهم، والتقى الفريقان في معركة انتهت بكسر شوكة الفرس بعد هزيمتهم من قبل عشيرة المنتفق، وقتل قائد الحملة الفارسية، واثنين من أخوته^(١).

إن تحليل النجاح والفشل والأرباح في هذه المعركة يُظهر أن القوات الفارسية خسرت الكثير على المدى القريب والبعيد، فقد جعلها نقطة تحول مهمة بالنسبة للعراق، وبداية نهاية الوجود الفارسي في البصرة، حيث وصلت أنباء الهزيمة الفارسية للشاه كريم خان الزند وصادق خان في شیراز.

وفي الوقت الذي كان فيه صادق خان يقود حملته إلى البصرة لتثبيت دعائم الوجود الفارسي، وإخماد الثورات كان الحكم في بلاد فارس قد دخل في مرحلة الضعف؛ بسبب وفاة الشاه كريم خان الزند حيث الفوضى والاضطرابات نتيجة التنافس على الحكم^(٢).

وبناء على المستجدات الخطيرة قرر صادق خان الانسحاب من البصرة والجلء عن المنطقة مع ما تبقى من جنوده^(٣)، وهكذا رحل عن البصرة إلى شیراز في ١٩ آذار عام ١٧٧٩، لوجود طموحات شخصية لديه في الوصول إلى كرسي الحكم دون أي منازع^(٤).

وإزاء الانسحاب الفارسي من البصرة تم تسليم الأسرى إلى الدولة العثمانية، فبعث والي بغداد حسن باشا إليها قوة عسكرية بقيادة نعمان أفندي، وعين متسلماً على البصرة، وبعد أن أطلق سراح متسلّم البصرة السابق سليمان آغا من قبل الدولة الفارسية قام زكي خان بتعيينه متسلماً للبصرة^(٥)، ولكن عدّ شيخ عشيرة المنتفق ثامر السعدون أن تعيين سليمان باشا على مدينة البصرة بعد الانسحاب الفارسي أمرٌ خطيرٌ؛ بسبب الخلافات التي بينهما، فقد رفض ذلك التعيين، وعلى ضوء ذلك أرسل سليمان باشا رسالة إلى باشا بغداد يخبره أن الدولة الفارسية

(١) عابد، البصرة في سنوات المحنة...، ص ٤٩. الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٦٧.

(٢) الحسنوي، إمارات شمال الخليج...، ص ٤٥-٤٦. النبهاني الطائي، التحفة النبهانية...، ص ٣٢٢-٣٢٣.

(٣) يذكر لونكريك أن صادق خان لكي يغطي انسحابه من البصرة قام ببناء قلعة منيعة على الضفة اليسرى من الشط مقابل عشار خصوصاً بعد أن سمع عن مرض أخيه، فكان مثلهفاً للعودة من أجل الحصول على العرش. لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٣٣.

(٤) أداموف، ولاية البصرة...، ج ٢، ص ١٦٧-١٦٨. عابد، البصرة في سنوات المحنة، ص ٤٩-٥٠. لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٥) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٦٨.

قامت بإطلاق سراحه من الأسر؛ وبالتالي باستطاعته إعادته إلى البصرة ليحكمها كمتسلم عليها؛ فضلاً عن ذلك أرسل تقريراً إلى الباب العالي يتحدث فيه عن الممارسات التي استعملتها الدولة الفارسية ضده من قسوة، وطلب منه إعادته كمتسلم على البصرة لما تعرض له من ظروف قاسية في أثناء الأسر، إلا أن باشا بغداد رفض تعيينه بتأثير من شيخ عشيرة المنتفق لما له من دور رئيس في الأحداث التي حصلت في المنطقة^(١).

ومن ناحية أخرى أدت الصراعات بين قبيلتي المنتفق وخزاعل إلى تدهور العلاقات بينهما ومقتل الشيخ ثامر، وتولّى المشيخة بعده ثويني العبد الله الذي كان من المناصرين لسليمان آغا فسانده لدى الباب العالي لإعادته إلى منصبه، فأصدر الباب العالي فرمان بتعيين سليمان آغا، متسلماً على البصرة بعد أن تمكّن من إقصاء المتسلم نعمان أفندي، كما أن القنصل الإنكليزي في شيراز توسّط لدى الباب العالي من أجل إعادة سليمان آغا لمنصبه^(٢).

وانطلاقاً من الأوضاع التي كانت سائدة في البصرة يجب الوقوف قليلاً عند نتائج آثار الوجود الفارسي على البصرة، وما موقف الدول من معاناة أهل البصرة؟ نلاحظ أن مدينة البصرة في حالة يرثى لها، وقد أثر ذلك بشكل سلبي على التجارة، وتدهورت الأوضاع المعيشية والحياتية؛ لأن الدولة الفارسية استحوذت على جميع الأموال، وضغطت على التجار الذين فروا إلى الخارج، وكان بقاؤها لمدة من الزمن قد عرض حياة الأهالي إلى الخطر، وجعل مساحات كبيرة من البصرة خالية من البشر، وغير نافعة اقتصادياً على الرغم من أنها تتمتع بموقع تجاري مميز؛ لوجود ميناء فيها^(٣). كما أثر ذلك الوضع على تجارة بغداد؛ لكونها تعتمد على البصرة في تجارتها، وفي واقع الأمر إن البصرة عصب حياة مدينة بغداد لموقعها الحيوي في المنطقة، ومع الاحتلال توقف سير القوافل التجارية الكبيرة التي كانت تخرج منها إلى سورية وبغداد.

وبهذا الصدد يقول علاء نوري في كتابه حكم المماليك في العراق: "أصبحت البصرة في السنوات ١٧٧٩ و ١٧٨٠ وكأنها مدينة خربة مهملة، وقد أفقرت من سكانها بعدما كانت تعزّز بكونها مدينة ثرية مكتظة بالسكان وبكونها ميناء بحرياً مزدهراً بسبب ما تتمتع به من موقع جغرافي ممتاز له أهميته التجارية. وكان لتدهور تجارة البصرة الأثر السيء على تجارة بغداد أيضاً؛ لأن بغداد كانت تعتمد بصورة خاصة على تجارة البصرة نفسها، ومع كل ذلك فإن موقع

(١) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٣٤-٢٣٥. النبهاني الطائي، التحفة النبهانية...، ص ٣٢٣-٣٢٤.

(٢) النبهاني الطائي، التحفة النبهانية...، ص ٣٢٣-٣٢٤.

(٣) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٣٣. العابد، البصرة في سنوات المحنة...، ص ٥٠.

البصرة العظيم جعلها تسترد مكانتها مرة أخرى خلال بضعة سنوات، وعادت إلى ما كانت عليه من ازدهار اقتصادي واحتلت مكانتها شيئاً فشيئاً^(١).

وأخذت الكويت والزبارة محل البصرة في هذا الشأن، فأصبحت الكويت محطة رئيسة للقوافل الناقلة للبضائع المشحونة لحساب شركة الهند الشرقية من الهند إلى حلب. وقد تحدث عن هذا الوضع القنصل الإنكليزي في حلب بخطاب وجهه إلى المستر لاتوش بالبصرة، وقد ضمنه الأخير خطاباً وجهه إلى مجلس المديرين بلندن بتاريخ يوليو ١٧٧٦ يقول لاتوش في خطابه:

"إن القنصل بحلب، في خطاب وجهه إلينا بتاريخ ١١ يونية قد دون الفقرة الآتية: إن بضائع الهند وسورت لا تزال تلقى رواجاً في هذه المدينة، علمت أن سفينتين قادمتين من تلك الجهات قد وصلتا إلى بوشهر - إذا كان بالإمكان بقاء القرنين (الكويت) محايدة، فإنه يمكن للقوافل أن تسافر إليها، وأن تحمل البضائع منها إلى هذا المكان (حلب)، ذلك أنه ما دامت الحرب في البصرة ستطول، فإنه لا بد للتجار أن يهجروها، إلا إذا استطاعوا أن يجدوا مكاناً قريباً منها يستطيعون أن يمارسوا نشاطهم فيه. يبدو أن القرنين ذات موقع جيد يمكنها أن تكون خلفاً، غير أن هذا سوف لن يتأتى من دون بقائها مستقلة".

وأضاف المستر لاتوش إلى خطاب القنصل الآتي:

"إننا ندرك تماماً أن بدء اتصال بري مع حلب وبغداد على هذه الشاكلة من القرنين إن كان ذلك عملياً، لهُو حدث نتطلع إليه بكل شوق ذلك سيمدنا بمخرج لبضائع البنغال وسورت المكدسة حالياً في بومباي التي تنتظر الشحن إلى البصرة، وإن القرنين مازالت بعيدة عن عبث الفرس نحن لا نعتقد بأن التجار سيرسلون بضائع عبر الصحراء ما دامت الأحوال غير مستقرة في المنطقة في الوقت الحاضر"^(٢).

وفي واقع الأمر أدرك باشوات بغداد مدى فعالية نشاط الأسطول البحري، ولاسيما بعد حربهم مع الدولة الفارسية في البصرة، فاهتموا ببناء قوة بحرية، وتوجهوا بأنظارهم إلى حماية تجارتها عن طريق أسطوله، لا سيما بعد تخلي الإنكليز عنهم في مساعدتهم الحربية^(٣).

(١) ص ٢١٤.

(٢) خطاب موجّه من لاتوش بالبصرة إلى مجلس المديرين بلندن في الرسالة رقم ١١٢٧ مجلد ١٧ بتاريخ ٢٤ يوليو ١٧٧٦ في سجل الوكالات أبو حاكمه، تاريخ الكويت ...، ص ٨٢-٨٤.

(٣) قام سليمان الكبير الذي تولى باشوية بغداد (١٧٨٠ - ١٨٠٠) بتشكيل قوى بحرية له، وأرسل إلى حكومة بومباي طلباً للحصول على بعض السلاح والعتاد، وقد تسلم خلال ١٧٨٢-١٧٨٣ (١٢٠٠) قطعة من السلاح، وكمية كبيرة من البارود والذخيرة وقنابل المدافع، كما سلّمت إليه في البصرة ست سفن حربية صغيرة صممت في بومباي كما أمده حكومة بومباي في سنتي ١٧٩٨-١٧٩٩ بكثير من الذخيرة والأسلحة، وأجيب طلبه=

إذاً، بالرغم من الكوارث والنكبات التي أصابت البصرة بسبب الحصار الفارسي لها إلا أنها مع الوقت ستعاود نشاطها الاقتصادي، وتعود إلى ما كانت عليه من ازدهار وتثبت وجودها التجاري.

ثانياً-الأوضاع السياسية في الدولة العثمانية والدولة الفارسية(١٧٧٩ - ١٨١٨):

١- الأوضاع السياسية في الدولة العثمانية (١٧٧٩ - ١٨١٨):

مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بدأت الدولة العثمانية تظهر عليها بوادر الانحلال حيث لم يعد لديها زمام المبادرة في الهجوم؛ وإنما تحولت سياستها إلى سياسة الامتنال والوقاية من الحرب؛ من خلال الدفاع عن نفسها، والتنازل عن ممتلكاتها الأوروبية شرط الحفاظ عليها، ومنع حدوث أي حرب؛ مؤكداً لها في الوقت عينه أن وضع التنافس الدولي لاقتسام أملاكها لم يجعلها ملكاً لدولة واحدة .

استغلت روسيا الأوضاع المضطربة التي عانت منها الدولة العثمانية، فأعلنت حربها عليها بعد أن تحالفت مع النمسا ضدها، وقد حققت انتصارات عليها، وتوفي السلطان عبد الحميد على إثر استيلاء الروس على قلعة أوتشاكوف على نهر دنيستر، وهذا ما سبب له الشلل عام ١٧٨٩^(١).

على الرغم من أن السلطان سليم الثالث أرسل جيوشه للتصدي لهم، فاستولى الأعداء على قلعة بلغراد وبندر، وولايتي الأفلاق، والصرب والمدن التي على سواحل نهر الطونة، وتوغلت القوات الروسية، وحاصرت قلعة اسماعيل الشهيرة، وثم تدخلت كل من إنكلترا وبروسيا وهولندا بين الدولتين لعقد صلح بينهما، وقد تم ذلك بمعاهدة ياش عام ١٧٩٢، ولكن اشترطت روسيا لإقامة الصلح تسليمهم بلاد القرم كاملة ومقاطعة بسارابيا والأراضي الواقعة بين نهر البوغ والدنيستر^(٢).

وعلى أعتاب الثورة الفرنسية ١٧٨٩ وإقامتها الجمهورية حاولت فرنسا كسب صداقة الدولة العثمانية بعد اعترافها بها، وتم تبادل السفراء فيما بينهما وتوقيعها معاهدة دفاع مشترك عام ١٧٩٦، وبدأت تظهر نوايا فرنسا من خلال حملتها على مصر بالرغم من التحذيرات التي

بإرسال بعض رجال المدفعية حيث أرسل له مدرين اثنين وصلا إلى البصرة في آب ١٧٩٩م. نورس، العراق في العهد...، ص ٢٨٩.

(١) كولن، سلاطين الدولة العثمانية، ص ٢٥٣. يوسف حسن عمر، سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية ١٨٣٩ - ١٩٠٩، دار نور للنشر، ساربروكن ألمانيا، ط ٢، ٢٠١٦، ص ١٥-١٦.

(٢) يوسف بك آصف، تاريخ سلاطين بني عثمان، تقديم، محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٥، ص ١١٢-١١٣.

أرسلتها إليها كل من إنكلترا وروسيا، ولكن الدولة العثمانية في البداية لم تصدقهم؛ بسبب إبداع كلٍّ من نابليون وتاليران في المراوغة والكذب بشأن مشروعه في السيطرة على مصر^(١).

في أعقاب فشل الحملة الفرنسية علي مصر من تحقيق أهدافها طالبت فرنسا الدولة العثمانية عن طريق الدبلوماسيين لديها من بعقد اتفاقيات من أجل حدوث تقارب بين الدولتين إلا أن إنكلترا شعرت بخطر الدولة الفرنسية؛ لذا قامت بتوقيع معاهدة إميان ١٨٠٢^(٢) التي تقرر بموجبها سحب جميع القوات الفرنسية والإنكليزية من مصر، ووقوع مصر تحت السيادة العثمانية^(٣)، ولكن فرنسا لم تتوان عن مشروعها الاستعماري في منطقة المشرق العربي حيث أرسلت مبعوثها الكولونيل سباستياني إلى الولايات العثمانية لتهيئة الأمور في القيام بحملة فرنسية جديدة.

وعلى إثر ذلك شرع نابليون عام ١٨٠٥ بإنزال قواته في مصب نهر العاصي حيث تتجه عن طريقها إلى العراق ومن أجل تأمين قواتها عبر العراق عقد الدبلوماسيون الفرنسيون مع الوالي حافظ علي باشا في العراق اتفاقية، ومن بنودها تشكيل وحدة عسكرية على النمط الأوروبي ولكنه توفي ١٨٠٧ على أيدي من المتآمرين^(٤).

وإزاء هذه التطورات أصبح الوالي سليمان باشا الصغير والياً على العراق، وهنا تدخلت الدولة الفرنسية من قبل مبعوثيها في تعيينه على العراق؛ لكونه مرتبطاً بمصالحها كما عقدت

(١) عزت أفندي الدارندلي، في ضوء مخطوط عثماني ضياعاً للدارندلي، ترجمة: جمال سعيد عبد الغني، سلسلة تاريخ المصريين ١٣٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٨-٢٠.

(٢) وقعت إنكلترا على الصلح في مدينة أميان ١٨٠٢ من الجانب الإنكليزي لورد كورنواليس ومن الجانب الفرنسي جوزيف بوناپرت وبمقتضى هذه المعاهدة تنازلت إنكلترا عن كل فتوحاتها في أثناء الحرب ماعدا ترينداد وسيلان اللتين بقيتا في حوزتهما كما وعد الإنكليز بإعادة مالطة إلى فرسان القديس يوحنا ونصت المعاهدة على أن تضمن استقلال هذه الجزيرة كلٍّ من إنكلترا والنمسا وإسبانيا وروسيا وروسيا ثم حصل الاتفاق على إرجاع مصر إلى الدولة العثمانية وتعهدت فرنسا بإخلاء نابولي وإعادة أملاك البرتغال محمد فؤاد شكري، الصراع بين البرجوازية الاقطاعية ١٧٨٩-١٨٤٨، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٢٣-٣٣.

(٣) إدوار جوان، مصر في القرن التاسع عشر سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم باشا والمغفور سليمان باشا الفرنسي من الوجوه الحربية والقصصية والسياسية، ترجمة محمد مسعود، وزارة الداخلية، القاهرة، ط ١، ١٩٢١، ص ٢٤٥. ريمون فلور، مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر، ترجمة: سيد أحمد علي الناصري، تقديم ومراجعة: يونان لبيب رزق، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠، ص ٨٧.

(٤) أشارت الوثيقة إلى أن جونز المقيم الإنكليزي في البصرة وبغداد بعث برسالة إلى رئيس مجلس إدارة شركة الهند الشرقية تتعلق بحالة البريد من إنكلترا إلى الهند I/p+s 9\6 الوحدة الوثائقية سجلات المكتبة دائرة الهند التسلسل ١٠١٦: بتاريخ ١٧٩٩\١٧\١٣ سلوى المانع شنته طاهر جاسم، الوثائق العثمانية والبريطانية ووثائق الشيخ خزعل، منشورات مركز الدراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٢، ص ٣٦.

الدولة الفرنسية كما -أسلفنا بالذكر- معاهدة مع الدولة الفارسية؛ لإعادة تنظيم الجيش الفارسي على النمط الأوروبي في فترة حروبها مع الدولة الروسية، وتجهيز الوضع لمرور قوات الدولة الفرنسية عبر أراضيها.

ومن البديهي التساؤل: هل ستبتعد إنكلترا عن مسار الأحداث في الوقت الذي تحاول فيه فرنسا استعادة مكانتها في كل من مصر والعراق عن طريق دبلوماسية، أم أنها ستعيد نفوذها على المنطقة من خلال ضرب مصالح فرنسا في المنطقة؟

وفي هذا السياق يمكن القول: إن إنكلترا سوف تمنع المخططات الفرنسية في المنطقة، ولاسيما أن العراق بحكم موقعه على طريق الهند أكسبه مميزات استراتيجية خصوصاً بعد أن أقامت إنكلترا ممثلة بشركة الهند الشرقية خطوطاً بريدية منظمة عبر العراق، وكان يحمل البريد عن طريق السفن من بومباي إلى البصرة، ومن ثم إلى بغداد وحلب حتى إستانبول عن طريق البر؛ فضلاً عن كونه محطاً اهتمام إنكلترا في التجارة^(١).

كما وضعت إنكلترا نصب عينيها سياسة مفادها: أن الاهتمام التجاري مع أي دولة مع مرور الوقت سيصبح اهتماماً سياسياً، ومن ثم اهتماماً أمنياً من شأنه أن يتحول إلى احتلال فيما بعد، وهذه هي الركيزة الأساسية التي اعتمدت عليها في سياستها الخارجية، وحددت شكل علاقاتها مع الدول^(٢)، فقد تنافست إنكلترا مع فرنسا ليكون لكل واحدة منها اليد الطولى في المنطقة، وتوطيد العلاقات مع الدولة العثمانية من أجل السيطرة على البلاد، ومنها العراق، وعندما تمكّن الفرنسيون من احتلال مصر عام ١٧٩٨؛ مما أثار حفيظة إنكلترا وعدت ذلك تهديداً مباشراً لها، فقد أرادت فرنسا من ذلك تحويل طريق التجارة من رأس الرجاء الصالح إلى خليج السويس؛ لضرب التجارة الإنكليزية ومستعمراتها في الهند^(٣).

فما كان منها سوى تعزيز مكانتها الدبلوماسية من خلال فتح مركز لها في بغداد، وجعله مقراً دائماً للمقيم الإنكليزي، وعلى إثر ذلك عينت هارفورد جونز مقيماً لإنكلترا حتى ينفذ تعليمات دولته في إثارة والي بغداد سليمان باشا لإفشال المخططات الفرنسية وطرد قناصلها منها، وكتابة تقارير عن أحوال العراق السكانية والاقتصادية والعسكرية وإرسالها إلى إنكلترا حيث كانت الدولة العثمانية وإنكلترا يجمعهما تحالف غير رسمي ضد فرنسا، وفي سنة ١٧٩٩ عقد دفاع مشترك بينهما لطرد الفرنسيين من مصر، وصدرت الأوامر من الباب العالي بإيداع القنصل ورعاياه في السجن، وإرسالهم أسرى إلى القسطنطينية، وقد استطاعت إنكلترا الحصول على فرمان من

(١) كيلي، بريطانيا والخليج...، ج ١، ص ٨٢.

(٢) إبراهيم عبد الطالب، انهيار عرب المشرق، دار الزهران للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٢٠٧.

(٣) كيلي، بريطانيا والخليج...، ج ١، ص ٩٥.

السلطان العثماني يقضي بقبول جونز قنصلاً لإنكلترا في بغداد مع تمتعه بالحصانة الدبلوماسية؛ بذلك أعطي جميع السلطات القنصلية في عام ١٨٠٢^(١) وأصبحت بغداد منذ ذلك الحين فصاعداً أهم مركز للنفوذ الإنكليزي استعداداً للدسائس النابليونية في منطقة المشرق العربي^(٢). وبهذا الصدد أكد المقيم الإنكليزي ذلك بقوله: "سواء قدم الفرنسيون من سورية نحو الشرق والروس من جورجيا نحو الجنوب الشرقي، فإن القتال من أجل الهند سيجري على ضفاف دجلة والفرات"^(٣).

وفي عام ١٨٠٥ توترت العلاقات بين الدولة العثمانية والإنكليزية؛ مما أفضى ذلك إلى قيام والي بغداد بإصدار أوامره بإلقاء القبض على موظفي المكتب الإنكليزي، وبقاء جونز في بيته لحين رحليه من بغداد بأمر من السفير الإنكليزي؛ خصوصاً أنه قد شكل قلقاً كبيراً لإنكلترا، وفي الوقت نفسه كانت فرنسا ترقب عن كثب تطورات الخلاف بين والي بغداد والممثل الإنكليزي، فحاولت إقامة تحالف دولي مع (الدولة العثمانية، والفارسية، والقيصرية الروسية) موجه ضد إنكلترا إلا أنها فشلت؛ بسبب الخلاف القائم بين الدولتين العثمانية والفارسية^(٤) ولكن بمساعيها الحثيثة استطاعت تعيين والي بغداد سليمان باشا؛ لذلك وقفت إنكلترا ضد الجهود الفرنسية وجمدتها. وفي عام ١٨٠٨ عينت إنكلترا قنصلاً لها في بغداد بدلاً عن جونز يدعى كلاوديوس جيمس ريج (Claudius James Reg)^(٥)، وكانت التعليمات التي حملها تقتضي

(١) لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ١، ص ٢٧٦. لونكريك، أربعة قرون...، ص ٣٠٦.

(٢) وقد أشارت الوثيقة إلى تقرير أرسله جونز إلى جاكوب بوسانكوب رئيس مجلس إدارة شركة تجارة الهند الشرقية يشرح فيه العلاقة بين إنكلترا والدولة العثمانية في منطقة المشرق العربي. للإطلاع على نص الوثيقة الرجوع إلى L\p+s\9\6f بتاريخ ١٧٩٨\٤\١٨ سلوى المانع شنته طاهر جاسم، الوثائق العثمانية والبريطانية ووثائق الشيخ خزعل، منشورات مركز الدراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٢، ص ٣٢ صالح خضر محمد، الدبلوماسيون البريطانيون في العراق ١٨٣١-١٩١٤، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، د.ت، ص ٦٨-٦٩.

(٣) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٣٠٦.

(٤) صالح خضر محمد، الدبلوماسيون البريطانيون...، ص ٢٨.

(٥) صالح، بريطانيا والعراق، ص ٨٨-٩٠.

(٥) كلاوديوس جيمس ريج (Claudius James Reg): ولد عام ١٧٨٧ على مقربة من ديجون من أعمال بورغوندي في فرنسا ثم نقل وهو طفل إلى بريستول في إنكلترا حيث قضى السنوات الأولى من حياته برعاية والديه، حيث أخذ يتعلم لغات عدة ومن بينها اللغة العثمانية، وفي ١٨٠٣ تمكن أحد أصدقائه من التوسط لدى شركة الهند الشرقية لتعيينه طالباً حربياً في الخدمة العسكرية، ثم تدرج في المناصب إلى أن أصبح مقيماً في بغداد. للمزيد ينظر: كلاوديوس جيمس ريج، رحلة ريج المقيم البريطاني في العراق عام ١٨٢٠ إلى بغداد- كردستان-إيران، ترجمة: اللواء بهاء الدين النوري، دار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٥-١٩.

برفع مكانة إنكلترا السياسية، وتقليص حجم المشاريع الفرنسية، ونفوذهم وخطتهم في بلاط والي بغداد والاهتمام بالخطوط البريدية^(١).

وكما تحدث لونكريك في كتابه أربعة قرون كيف أن ريج (Reg) المقيم الإنكليزي حوّل مكان المقيمة إلى مركز اجتماعي؛ لمعرفة ما يدور من أمور بين أوساط أصحاب النفوذ، ورجالات الدولة، ورصد تحركات الفرنسيين بقوله: "كما كان تعيين ريج مقيماً إنكليزياً في عام ١٨٠٨ من أهم الأحجار الأساسية السياسية فقد استطاع في مدة ثلاث عشرة سنة ... أن يضيف الشيء الكثير إلى مقيمته. تلك المقيمة التي أصبحت أحسن مجلس اجتماعي، وملتقى أكبر الموظفين والأشراف، وبيتاً مفتوحاً للضيوف وداراً للبحث التنقيبي الأثري"^(٢).

فشعر والي بارتياح تجاه تحركات القنصل الجديد عندما وصلت أخباره؛ مما حدا به إلى منع المقيم الإنكليزي من دخول بغداد، وطلب منه المغادرة إذا لم يخضع لتعليمات والي، كما أخضع البريد الدبلوماسي إلى التفتيش، ونتج عن ذلك تأزم في العلاقات، وهذا ما أجبر ريج (Reg) على الاتصال بالسفير الإنكليزي لدى الباب العالي ليعلمه أن والي سليمان باشا الصغير لديه علاقات، وأواصر ميتنة مع الفرنسيين، فردّ السفير إذا لم يستطع الباب العالي أن يتدخل بشكل جاد، فإن السفير سيتصل مع سلطات بلاده ليعملوا على إزاحة والي بغداد، فاضطر والي إلى الخضوع لإرادة المقيم الإنكليزي عندما تدخل الباب العالي، عندما أصدر فرماناً يتضمن توبيخاً شديداً لوالي بغداد في الوقت الذي كان يتعرض فيه لضغوطات خارجية من قبل الفرس، ولمشاكل داخلية حيث إن السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) غضب منه لعدم الدفع للباب العالي دخلاً وتمتعه بالاستقلال بشكل كبير في ولايته^(٣)؛ فضلاً عن الوضع الداخلي وما سيترتب على الاقتصاد العراقي لو توقفت التجارة العراقية مع الشركة الهندية^(٤).

وانتهت تلك الأزمة بعزل والي بغداد سليمان باشا الصغير تم طرده من بغداد على يد القوات العثمانية، وإرسال مبعوث خالد أفندي حالت^(٥) لتنفيذ الأمر، وتعيين من يقع عليه اختياره على ولاية بغداد، واستعان المبعوث السلطاني بالكتخدا عبد الله بك وعبد الرحمن باشا الباباني

(١) صالح، بريطانيا والعراق، ص ١٢٨-١٢٩.

(٢) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٣٠٧.

(٣) طالب، انهيار عرب...، ص ٢٠٩ - ٢١٠. فائق بك، تاريخ بغداد...، ص ٤٦-٤٧.

(٤) نورس، حكومة المماليك...، ص ٧٦.

(٥) خالد أفندي -حالت أفندي: سياسي عثماني عاش في زمن السلطان محمود الثاني، وهو ابن أحد القضاة، أصله من القرم، تولّى مناصب عدة في سراي السلطان، منها: سفير في باريس (١٨٠٢-١٨٠٧)، ثم أسند إليه منصب رئيس التشرifications السلطانية، وفي عام ١٨٠٩ أصبح مسؤول شؤون العراق. متعب خلف جابر، العراق في عهد سعيد باشا ١٨١٣-١٨١٦، مجلة الباحث، جامعة كربلاء، مجلد ٣ العدد ١، ٢٠١٣، ص ٦٥٧.

لخلع سليمان باشا الصغير، وحاول الباشا المقاومة، ولكنه فشل بذلك، فهرب عام ١٨١٠ وعبر نهر الديالى، وانتهى الأمر بمقتله على يد رجال عشيرة شمر^(١).

وعلى إثر ذلك قامت السلطنة العثمانية بتعيين عبد الله باشا (١٨١٠-١٨١٣) والياً على بغداد؛ بموجب تراضٍ حصل بين مندوب السلطان، وأحد الزعماء المحليين^(٢)، وكانت علاقته بإنكلترا جيدة لدرجة أنه قام في عام ١٨١٢ باستبدال كلمة المقيم الإنكليزي إلى الممثل الدبلوماسي في تركية العربية للدلالة على الهيبة والنفوذ، وفي تلك السنة نفسها حصل الإنكليز على مرسومين من الباشا يقضي أحدهما بمنع فرار المشتغلين في الملاحة عن إنكلترا في مياه البصرة، ويقضي الثاني باسترجاع الهنود المجلوبين عبيداً إلى هذه المدينة^(٣).

ولكنه مالبث بعد مدة من الزمن أن جرت الرياح بعكس ما كان يريدها الوالي العثماني رغم أن تعيينه كان من قبل السلطان العثماني؛ ويعود ذلك إلى تمرد عشائر المنتفق برئاسة حمود الثامر الذي أراد عزله من منصبه، وتعيين سعيد محله، وسعيد هذا هو ابن سليمان الكبير، وحصل بينهم معارك عدة، وانتهت بأسر عبد الله وقتله، ووفاة ابن حمود الثامر؛ بسبب جراح أصابته في أثناء المعارك، وما إن تسلم المنصب سعيد باشا ١٨١٣-١٨١٧ حتى أخذت الأمور تنهار أكثر رغم جهوده المضنية؛ لأنه لم يكن يتمتع بأي واحدة من خصائص الحاكم القوي؛ لضعف شخصيته، وتكتل الأعداء ضده، وقلة المشورة الناصحة له؛ فضلاً عن ذلك اضطراب الأوضاع الاقتصادية قد وصلت إلى ذروتها لشحّ الخزينة المالية، فلم يستطع أن يقوم بأي إجراء حيال استلام الحكم أحد الساعين للسلطة داود أفندي الذي شغل المنصب بجدارة ممتازة حتى انتهى حكمه.

وهكذا ساد النفوذ الإنكليزي في العراق والخليج العربي، من خلال إعادة إنشاء المراكز والمؤسسات التجارية لدى شركة الهند الشرقية في البصرة وبغداد إلا أن فرنسا استطاعت أن توجد لها نفوذاً في مصر من خلال محمد علي باشا.

وكانت الدولة العثمانية ألعوبة بيد الدول الأوروبية حتى أنها سميت الرجل المريض حيث أكملت روسيا حربها مع الدولة العثمانية ما بين عامي ١٨٠٩ - ١٨١٢ بعد أن عقدت صلحاً

(١) سهيل قاشا، الموصل في القرن التاسع عشر دراسة سياسية ١٨٣٤-١٩٠٩، مكتبة التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٠، ص ٢٤-٢٨. صالح، بريطانيا والعراق...، ص ١٢٨-١٣٠. فائق بك، تاريخ بغداد...، ص ٤٧.

(٢) فائق بك، تاريخ بغداد...، ص ٤٩-٥٠.

(٣) صالح بريطانيا والعراق، ص ١٢٨-١٢٩.

مع إنكلترا، وتقرر الاشتباك مع روسيا التي حرّضت الصرب على التمرد والعصيان عليها^(١) إلا أن تلك الحرب انتهت عام ١٨١٢ بسبب سوء العلاقات الروسية الفرنسية؛ لذا جرت مفاوضات عثمانية روسية وانتهت بمعاهدة بوخارست ١٨١٢^(٢).

ومن القضايا التي عانت منها الدولة العثمانية نشوء الحركة الوهابية وتشكيل الدولة السعودية الأولى^(٣) في شبه الجزيرة العربية التي وصلت في نفوذها إلى ساحل الخليج العربي وشنت غاراتها على بلاد الشام والعراق حيث إن الدعوة الوهابية لم تعترف بسلطة الدولة العثمانية، فقد أرادت توحيد البلاد على تعاليمهم الدينية، وكانت سياستها تعتمد على السلب والنهب، والاغارة على قافلة الحج والتجار، وفرض الإتاوات.

وفي عام ١٧٩٠ بدأت الحركة الوهابية تهدد العراق من خلال شنّ غاراتها على مراعي الظفير، والمنتفق، والشامية، والتغلغل في المدن عن طريق الدعاية؛ لتحقيق أهدافها التوسعية في المنطقة^(٤).

وفي عام ١٧٩٦ شنّ الأمير عبد العزيز بن سعود غارة على الإحساء، واحتلها بعد أن قتل مائتي شخص، ثم ألحق بالقطيف والعقير^(٥)، كما أخذ يهدّد طريق الحج، فاضطر شريف مكة إلى طلب الإغاثة من الباب العالي، فما كان من الباب العالي إلا طلب من الوالي في

(١) إبراهيم حليم بك، تاريخ الدولة العثمانية التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص ٢٩٠.

(٢) علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق، ط٣، ١٩٩٤، ص ١٦٣.

(٣) سميت الحركة الوهابية نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد ولد في العيينة من قرى نجد ١٧٠٣، وكان أبوه قاضي القرية، فنشأ ببيئة دينية، وأتم دراسته الدينية في مكة، والمدينة، والبصرة، ولكنه عاد إلى بلاده حيث بدأ عام ١٧٦٢ يدعو إلى مبادئه، ومنها أنه اعتقد مبدأ الشفاعة والتوسل بالقبور من الأمور =المنافية لعقيدة التوحيد الإسلامية، وكما اعتقد أن الأضرحة التي اعتاد الناس على زيارتها وتقديسها كالأوثان، ثم تحالف فيما بعد مع أمير العيينة محمد بن سعود، واتخذ من الدرعية عاصمة له. هاشم ناجي، الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد (١٨٠٦ / ١٢٢١ هـ - ١٨٠٩ / ١٢٢٤ هـ)، ترجمة: هدى معوض، خالد عبد اللطيف حسن، الوراق للنشر، بغداد، ٢٠١٥، ص ١٣-١٤. ج.ج. لوريمر، تاريخ المملكة العربية السعودية في دليل الخليج، صنفه وعلق عليه: سعيد بن عمر آل عمر، مكتبة الفهد الوطنية للنشر، الرياض، ط١، ١٩٩٦، ص ١١-١٢.

(٤) الوردى، لمحات اجتماعية...، ص ١٨٣.

(٥) الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٠٤.

العراق سليمان باشا أن يقوم بصدّ هجمات الوهابيين^(١)، ولكنه اتخذ في أواخر حياته موقفاً دفاعياً، وطلب من الثويني شيخ المنتفق أن يتحرك لمحاربة الوهابيين^(٢).

وفي مطلع عام ١٧٩٧ بدأ شيخ المنتفق ثويني بشنّ غارة على الحركة الوهابية في معاقليها إلا أنه فشل في الحملة بسبب التنازع بين أفراد القبيلة على الحكم، ومقتل شيخ المنتفق الثويني بن عبد الله على يد أحد المقربين إليه والذي عُرف عنه بمحabbاته للحركة الوهابية^(٣).

وفي العام التالي هاجمت الحركة الوهابية منطقة السماوة، والظفير، وقبال شمر وغيرها من المناطق الجنوبية للعراق؛ فضلاً عن غاراتهم في بادية الشام.

وفي عام ١٧٩٨ أعد سليمان الكبير حملة كبيرة بقيادة الكتخدا علي باشا، وكانت تتألف من خمسة آلاف انكشاري، وعدد من الجنود الأجيّة غير النظامية ومدفعية، لكن غير مؤثرة، وقطعات من قبائل عقيل، والعبيد، وشمر^(٤) وغيرهم ورافقه محمد بك الشاوي لمعرفته بأمور البادية، فوصلت الحملة إلى البصرة ثم اتجهت نحو الزبير، وأضيف لها عدة آلاف من المقاتلين، وانضم إلى تلك الحملة مجموعة من عشائر الظفير والمنتفق وبني خالد، ويذكر أن الحملة تضم ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل وثمانية عشر ألف فرس وعشرة آلاف بعير، ثم اتجه علي باشا نحو الإحساء، والتقى بسعود بن عبد العزيز، وانتهت المعركة بصلح بين الطرفين^(٥).

ولكن نقض الصلح بعد فترة قصيرة؛ بسبب قيام الوهابيين بالهجوم على مدينة النجف، فتصدت لهم عشيرة الخزاعل، وقتلت منهم حوالي ٣٠٠ شخص^(٦).

وفي نيسان ١٨٠٢^(٧) هاجمت القوات الوهابية مدينة كربلاء برئاسة عبد العزيز بن سعود، ومعه حوالي ١٢ ألف مقاتل؛ مستغلين سفر معظم أهالي كربلاء إلى النجف لإحياء ذكرى

(١) زكريا قورشون، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني (١٧٤٥-١٩١٤)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٥٤-٦٥.

(٢) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٥٧.

(٣) اليكسي فاسيليف، تاريخ العربية السعودية من القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط ٤، ٢٠١٣، ص ١٣٠. الوردي، لمحات اجتماعية...، ص ١٨٤-١٨٥.

(٤) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٥٨. الوردي، لمحات اجتماعية...، ص ١٨٦.

(٥) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٥٨-٢٥٩. الوردي، لمحات اجتماعية...، ص ١٨٦-١٨٧.

(٦) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢١٢.

(٧) اعتاد بعض المستشرقين الروس وبعض المستشرقين الأوروبيين عدّ مارس ١٨٠١ تاريخاً لتدمير كربلاء، وذلك استناداً إلى تاريخ الذي يذكره روسو، كورانسيز، بوركهارت، ومانجان. لكن يرى المؤرخون العرب، ومعهم من الأوروبيين فيلبي، تأريخ سقوط كربلاء في مارس وأبريل ١٨٠٢، بناء على مصنف ابن بشر. وعدّ ابن سند وريمون أيضاً عام ١٨٠٢ هو تاريخ تدمير كربلاء. وجميع هذه المصادر قريبة زمنياً من الأحداث. يؤيد إلكسي

مناسبة عيد الغدير، وانتهت الغارة بوفاة حوالي ٥٠٠٠ شخص من سكان مدينة كربلاء، كما هُدمت القباب، والأضرحة، والمزارات وهُدمت قبة قبر الحسين عليه السلام، ونهبوا المدينة^(١). هذا ما جعل الوالي سليمان في موقف محرج لاريب فيه من قبل الدولة العثمانية، لاسيما أن أكبر عدد موجود من الرعايا التابعين للدولة الفارسية في منطقة كربلاء، والنجف، ومناطق العتبات المقدسة، وهذا سيؤثر سلباً على طبيعة العلاقات بين الدولتين العثمانية والفارسية؛ فضلاً عن أن الدولة الفارسية التي سوف تطالب بتعويضات عن الذين قتلوا في الهجمة الوهابية، وما نهب من الهدايا الثمينة التي قد أرسلت من قبل الشاهات في بلاد فارس^(٢)، وعلى إثر ذلك استعمل جميع الوسائل الممكنة لتخفيف أثر الحادثة وغضب كلا الدولتين، فقام بإرسال الهدايا إلى كل من الجانبين، وبدأ بالاستعداد للإغارة على الحركة الوهابية، وقد انتهم حاكم مدينة كربلاء عمر آغا بترأخيه، ولهروبه إلى قرية مجاورة من دون الدفاع عنها، ومقاومتهم فدُعي إلى المحاكمة وأصدر سليمان باشا عليه حكماً بالإعدام فأعدم^(٣).

لقد تأثر فتح علي شاه، وأعلن الحداد في أرجاء الدولة الفارسية، وبعد ذلك أرسل الشاه احتجاجاً شديد اللهجة إلى والي بغداد متهماً إياها بالتقصير في أمر الدفاع عن كربلاء، وعزمه عن تأليف جيش من أجل الهجوم على الوهابيين، وأنه سوف يحتل مدينة بغداد في طريقه، وقد

فاسيليف تاريخ ١٨٠٢ بأنه هو الأصح، لافتاً إلى أن التقارير التي وصلت من كربلاء إلى السفارة الروسية في إستانبول، كتبت قبل صيف عام ١٨٠٣. فالشخص الذي عاش آنذاك في العراق كتب التقارير عن تدمير كربلاء من المستبعد أن يخطئ لعام كامل بخصوص تاريخ هذا الحادث المهم. فلعلّ تغيير تاريخ احتلال الوهابيين لكربلاء في كتاب روسو ناتج عن تهاون المؤلف أو سهو المطبعة. ويبدو أن روسو وكورانسيز هما المصدر الأول للمعلومات بهذا الخصوص فاسيليف، تاريخ العربية...، ص ١٣٢.

(١) للمزيد انظر ناجي، الوهابية بتقارير...، ص ١١٨-١١٩. كذلك قاي، كربلاء في الأرشيف العثماني دراسة وثائقية (١٨٤٠-١٨٧٦م)، إشراف وتقديم: زكريا قورشون، ترجمة: حازم سعيد منتصر، مصطفى زهران، الدار العربية للموسوعات، بيروت، د.ت، ص ٣٥-٣٧.

(٢) يذكر أبو طالب خان في كتابه رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبا أن من الهدايا التي أرسلت في عهد محمد خان القاجاري فيقول: "وقد رمم ملك بلاد الفرس محمد خان القاجاري قبل عدة سنين بنفقاته صحن مشهد كربلاء، وترتبته، والقبّة كلها مغطاة بصفائح من الذهب، وداخل المشهد مزوق بالتزويق والتذهيب، وقد جيء من بلاد الفرس خاصة بأشهر الصاغة، والمزوقين والمصورين من أجل ذلك، وجسد أمير الشهداء الحسين سبط النبي محمد مدفون في وسط البنيان في تابوت من الفولاذ مغطى بصفائح الذهب منزلة فيه". للمزيد انظر: أبو طالب خان، رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبا، ترجمة: مصطفى جواد، دار الوراق للنشر، بغداد، ٢٠٠٧، ص ٢٦٨.

(٣) أبو طالب خان، رحلة أبي طالب...، ص ٢٦٩-٢٧٠.

تسلم الوالي التهديد وهو في نهاية حياته^(١)، ولكن لم يستطع الشاه تنفيذ تهديداته انتقاماً من الوهابيين، أو احتلال مدينة بغداد؛ لأنه فوجئ بهجوم على حدوده الشمالية من قبل روسيا فاشتغل بالدفاع عنها، وترك أمر الانتقام لوقت لاحق^(٢).

وفي سنة ١٨٠٣ أرسل عبد العزيز بن سعود إلى شاه فارس فتح علي شاه القاجاري يدعوه إلى الدخول في حركتهم، كما أنها دعت الحركة الوهابية الدولة العثمانية للدخول في حركتها^(٣).

وهكذا نلاحظ أن الدولة العثمانية والدولة الفارسية قد أثارا أفعال الحركة الوهابية في كل من مكة وكربلاء ودعوتهم إلى الدخول في تلك الحركة، وقررا إنهاء تلك الحركة حيث أرسلت الدولة العثمانية أوامرها المشددة إلى والي بغداد من أجل ألا يوقف الحملات عليها، كما أن الشاه أخذ يضغط على والي بغداد، ويطلب منه أن يسمح لقواته بعبور العراق والزحف على الإحساء لمحاربتهم.

وفي العام نفسه هاجم الوهابيون منطقة النجف الأشرف، فأرسل والي بغداد علي باشا جيشاً تحت قيادته للصدّ الاعتداء الوهابي، فاستطاع أهل النجف بمساعدة القوة العثمانية دحر الوهابيين إلى معاقلم^(٤).

(١) أشارت إحدى الوثائق إلى أن والي بغداد سليمان باشا أرسل رسالة إلى الباب العالي يخبره بأن والده فتح علي شاه سوف تذهب إلى بغداد لزيارة المشاهد المقدسة للإمام علي و الحسين رضي الله عنهما وعند وصولها تسمع بالحصار الوهابي لقصبتني الإمام علي والحسين رضي الله عنهما فطلبت من ابنها أن يرسل لها الكثير من الجنود نص الوثيقة كاملاً بالرجوع إلى أرشيف رئاسة الوزراء في الجمهورية التركية (HAT00160-06674-00001)، وثيقة رقم ١٣ بتاريخ ٧ محرم ١٢١٦هـ، علي موجاني، وثائق نجد ...، ص ٢٣٧-٢٣٨ انظر الملحق رقم ١٢. وقد أشارت إحدى الوثائق إلى أن سليمان باشا أرسل برسالة إلى الباب العالي أنه بسبب فتنة ابن سعود تزعج فتح علي شاه باختلال الأمن، وأدى ذلك إلى نقض العهد وهو على مشارف إظهار العداء؛ فضلاً عن ذلك أخبر سليمان باشا الباب العالي أنه قام ببذل همته لحماية المناطق التي يحتمل وقوع التمرد فيها عن طريق فتح علي شاه فيها، كما أضاف سليمان باشا أنه على الرغم من تهديدات شاه الدولة الفارسية باحتلال المنطقة وعدّ المنطقة له ولحكاه المحليين أنه تعامل معه بالرفق والمداواة حتى لا يؤدي ذلك إلى تهديد الدولة العلية. نص الوثيقة كاملاً بالرجوع إلى أرشيف رئاسة الوزراء في الجمهورية التركية (HAT00160-06674-00001)، وثيقة رقم ١٤ عام ١٢١٦هـ، موجاني، وثائق نجد...، ص ٢٣٩-٢٤٣.

(٢) علي كامل حمزة السرحان، الغزو الوهابي لكربلاء وتهديده للنجف والحلة (١٢١٦-١٢٢٦هـ/ ١٨٠٢-١٨١١)، مجلة جامعة كربلاء العلمية المجلد الرابع عشر العدد الرابع، جامعة كربلاء، ٢٠١٦، ص ٥٧. ناجي، الوهابية بتقارير...، ص ١٤٥-١٤٦. الورد، لمحات اجتماعية...، ج ١، ص ١٩٣.

(٣) للاطلاع على محتوى الرسالة التي أرسلها عبد العزيز إلى فتح علي شاه يدعوه فيها للدخول في الحركة الوهابية انظر: أبو طالب خان، رحلة أبي طالب...، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٤) السرحان، الغزو الوهابي لكربلاء، ص ٥٨-٥٩.

وفي العام التالي ١٨٠٤ شنَّ الوهابيون غارة على البادية الشامية، ثم أكملوا طريقهم حتى وصلوا سور البصرة، واعتدوا على أفراد قبيلة المنتفق، واتجهوا إلى الزبير وفرضوا حصاراً عليها، حتى استطاعوا دخولها، ولكن النجديات التي أتت من قبيلة المنتفق بقيادة حمود الثامر استطاعت بمساعدة القوات العثمانية دحر الوهابيين وفك الحصار عنها.

ثم توالى الهجمات منها عام ١٨٠٦ هجموا على أطرافها، ونهبوا حقولها، وفي عام ١٨٠٧ وصلت غارة نجدية وهابية إلى الحلة أولاً ثم كربلاء إذ دهموها في وضح النهار على حين غرة، فتصدى لها أهل كربلاء، وأجبروهم عن التراجع ثم حصلت غارة نجدية وهابية عام ١٨١٠ على مدينة كربلاء والحلة والنجف، وفرضت القوات الغازية طوقاً على المثلث الواقع بين هذه المدن^(١).

لقد تفاقمت الأمور بشكل كبير، حيث نجد أن ولاية العراق اتخذوا استراتيجية تحصين المدن، وموقف الدفاع، وظلت الغارات الوهابية تدخل مناطق جنوب العراق حتى أن الحملات العثمانية ضد الحركة الوهابية لم تكن ذات فائدة فما كان منها إلا مراسلة واليها محمد باشا لتجهيز حملة للقضاء على الحركة الوهابية.

وعلى إثر ذلك توقفت الحركة الوهابية عن الهجمات؛ لانشغالها في الإعداد لمواجهة خطر الزحف العسكري القادم من ولاية مصر عن طريق واليها محمد علي الذي نفذ أوامر السلطان فأعد الحملات ضد الدرعية^(٢).

بدأ الزحف المصري على الحجاز بقيادة طوسون باشا عام ١٨١١^(٣)، وبعد حروب طاحنة بين الجيش المصري والوهابيين تمكن إبراهيم باشا من احتلال الدرعية سنة ١٨١٨ وتدميرها، وأسر أميرهم عبد الله بن سعود الذي نقل إلى القاهرة ثم إلى إستانبول وإعدامه^(٤).

(١) لوتسكي، تاريخ الأقطار...، ص ٧٦-٧٧. السرحان، الغزو الوهابي لكربلاء، ص ٥٩-٦٠.

(٢) أشارت إحدى الوثائق إلى رسالة أرسلها محمد علي باشا إلى محمد نجيب أفندي يعتذر عن تأخره في إرسال الحملة إلى الحجاز؛ ويعزو ذلك إلى مشاغله الداخلية، ولاسيما قضية المماليك ومفاسد سليمان وثائق عابدين، غرة المحرم، وثائق سنة ١٢٢٦ / ١٨١١-١٨١٢، دفتر ١، رقم ٥٧، أسد رستم، المحفوظات الملكية ببيان وثائق الشام وما يساعده على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، ٤ مجلدات، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، ط ٢، ١٩٨٧، ص ٤.

(٣) للاطلاع على تفاصيل حملة طوسون ينظر: محمد صبري السوربوني، الإمبراطورية المصرية في عهد محمد علي والمسألة الشرقية (١٨١١-١٨٤٩)، تقديم أحمد زكريا الشلق، ترجمة: ناجي رمضان عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج ١، ٢٠١٢، ص ٧٧-٨٤.

(٤) أحمد بن زيني دحلان، فتنة الوهابية، اعتنى بطبعه بالأوقست حسين حلمي بن سعيد إستانبولي، إستانبول، ١٩٧٨، ص ١٣-١٨ فاسيليف، تاريخ العربية...، ص ٢٠٤-٢٠٥.

كان لابد للدولة العثمانية في ظل هذه الأجواء من عمل شيء فأمدت في العقد الأول من القرن التاسع عشر على تنفيذ محاولة تحديث الجيوش العثمانية وإعادة تنظيمها على الطراز الأوروبي، لكنها واجهت معارضة الانكشارية، فاضطر السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) إلى القضاء على هذه الفرقة، وأجرى إصلاحات عسكرية، ومدنية ثم التفت إلى القضاء، فطور الجهاز الإداري، وأعاد تنظيم الحكومة، ووسّع نطاق سيطرتها، وأكد على السلطة المركزية في الولايات.

٢- الأوضاع السياسية في الدولة الفارسية (١٧٧٩-١٨١٨):

قبل التطرق إلى السياسة الخارجية للدولة الفارسية تجاه العراق بعد وفاة كريم خان الزند، وحكم القاجاريين لها؛ من الضروري الاطلاع على أحوال البلاد الفارسية، وموقف الدولة العثمانية منها، ومن هنا تأتي أهمية ربط المصالح الفارسية بما يجري من أوضاع داخلية فيها وطبيعة علاقتها مع الدولة العثمانية الرامية إلى تقليص نفوذها في العراق، والسيطرة عليه، ولكن السؤال المطروح: كيف كان الوضع في بلاد فارس بعد وفاة كريم خان الزند؟

مما لا شك فيه أن العرش الفارسي كان عرشاً مضطرباً بعد وفاة كريم خان الزند؛ وذلك لأن زعماء الدولة الفارسية لم يتبعوا وصيته كريم حيث عمت الفوضى والاضطرابات، ونشأ النزاع داخل الأسرة بين الأمراء فتسلطوا على شؤون الحكم مما أصابها الضعف والوهن ومكّن الأسرة القاجارية من استغلال الموقف لصالحها، وصعود محمد آغا خان^(١) إلى الحكم.

وإذا كانت الخطوات الأولى للمتنافسين على الحكم بدأت في إزاحة ابنه البكر أبو الفتح خان وتولية زكي خان الزند^(٢) فلأنه بدأ حكمه بقتل جميع الأمراء الزنديين عن طريق مؤامرة خاضها بالاتفاق مع علي مراد خان حيث قتلهم عدا ابن واحد لكريم خان عينه حاكماً، وكناه

(١) محمد آغا خان: محمد آغا خان ابن محمد حسن خان بن فتح علي خان من الأسرة القاجارية الكبيرة التي سكنت آستراباد شمال الدولة الفارسية، ولد عام ١٧٤٢ وقع في الأسر، وكان عمره ٦ سنوات حيث أمر علي شاه (علي شاه) بإخصائه، كما وقع أسيراً لدى الشاه كريم خان الذي اعتقله حتى توفي عام ١٧٧٩، فهرب محمد خان من شيراز، وأعلن استقلاله ثم نازع الأسرة الزندية حتى أسس الدولة القاجارية. راضي آل ياسين، تاريخ الكاظمية، ٢ ج، جمع وتحقيق: عبد الكريم دباغ، الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة- الشؤون الفكرية والإعلام، دار الكفيل للطباعة والنشر، العراق، ٢٠١٦، ص ٩٧. أمينة باكروان، آغا محمد خان قاجار، ترجمه: جهانكير أفكاري، مؤسسه انتشارات فرانكلين، ١٣٤٨، ص ١-١٥.

(٢) زكي خان: هو أخ كريم خان لأمه، وكان معروفاً بالعنف والشدة وسفك الدماء، كان متمرداً على حكم أخيه، استولى على الحكم بعد وفاة كريم خان، وقد نصب أولاد كريم خان أبا الفتح خان ومحمد علي خان شاهين على الحكم شكلياً ثم قضى عليهم، قُتل من قبل حراسه عام ١٧٧٩ بعد أن حكم مائة يوم، وقد بقي جسده ملقى على الأرض إلى أن دفنه الأهالي.

بأبي الفتح. اتبع زكي خان سياسة تصفية منافسيه، وفَرَطَ بأمور الدولة فتصدى له أحد جنوده وقتله حين كان متأهباً لقتال آغا محمد خان قاجار، وهكذا لم يستمر الحكم أكثر من ثلاثة أشهر^(١).

لقد هيأت الأقدار لأبي الفتح فرصة الوصول إلى العرش، ولكنه لم يستطع إمساك زمام الأمور في الدولة، ولم يأخذ بكلام من يعتمد عليهم في المشورة ومساندته في إدارة الدولة حيث ابتعد عن النصائح التي قدموها له، ولاسيما عمه صادق خان، مما أثار غضب عمه فتخلّى عنه، وتآمر عليه بمعاونة أنصاره من أمراء الجيش، فاستطاع أن يطيح به في أيلول ١٧٧٩ حيث قبض عليه، وأودع السجن بأمر منه، وبذلك تولى صادق خان عرش الحكم ما بين ١٧٧٩ - ١٧٨٢^(٢).

إزاء نجاح صادق خان في الاستيلاء على السلطة عمد إلى استعمال القوة في التخلص من منافسيه على نفس مسيرة سابقه؛ ظناً منه أنه سيكون مرهوب الجانب من قبل أصدقائه وأعدائه، ولكنه قد حطّم جدار الأمان الذي بقي دولته ويحميها؛ بسبب استعمال الشدة ضد منافسيه، فزاد من أعداد أعدائه حيث فرض سيطرته على المناطق الجنوبية للدولة إلا أن مناوشاته مع مراد خان انتهت المطاف بها للوقوف على مفترق الطرق؛ بسبب خيانة القادة الذين قرروا الانتقام من صادق خان الذي استسلم هو وأولاده لعلي مراد خان الذي أمر بسمل عيني صادق خان، وأبنائه وتبوأ العرش وظل على رأس السلطة حتى بعد وفاته عام ١٧٨٥ .

بعد أن تسلّم علي مراد خان السلطة، وأطمأن من ناحية الزنديين حرص على مواجهة أعدائه القاجاريين في مازندران وآستراياد، ولكنه توفي قبل أن ينهي صراعه مع محمد آغا قاجار الذي حاول القضاء على الأسرة الزندية^(٣).

أدرك محمد آغا قاجار أنه تخلص من منافسه علي مراد خان بوفاة، ولم يبق له سوى جعفر خان الذي تولى العرش في ١٧٨٥ وكانت مدة حكمه أربع سنوات .

لقد تقدمت قوات محمد آغا خان إلى أصفهان للتخلص من جعفر بن صادق خان، فاستطاع السيطرة على أصفهان، وقم، وكاشان، وحاول أن يفرض سيطرته على باقي الولايات الفارسية، وجعل من طهران عام ١٧٨٦ مركزاً له؛ لكونها تقع على طريق القوافل؛ فضلاً عن

(١) كريم الجاف، موسوعة تاريخ إيران...، ج ٣، ص ١٤٥-١٤٦ .

(٢) رضا شعباني، المنتخب من تاريخ إيران، تعريب: د. سعد رستم، مجموعة الهدى للنشر والتوزيع، طهران، ٢٠١٥، ص ٣٣٩-٣٤٠.

(٣) شعباني، المنتخب من...، ص ٣٤٠. محمد تقى لسان الملك سپهر، ناسخ التواريخ، باهتمام: جمشيد كيانفر، ج ٣، ناشر: انتشارات اساطير، ميدان فردوسي، چاپ: ١٣٧٧، ج ١، ص ٧٩.

Axworthy, A history of Iran..., p170

ذلك أن معظم جيشه من هناك، ولوجود المراعي لإطعام خيل الجيش، وسهولة إرسال الجيش إلى الشمال والجنوب^(١).

بيد أن حالة الحرب ظلت مشتتة بين الأسرة الزندية والقاجارية، وكان قد خلف جعفر خان مراد خان إلا أن ابنه لطف علي خان أتى إلى شيراز، وقتله ثم جلس على العرش بعد انتخابه من قبل أعيان شيراز الذين قرروا مواجهة جيش محمد آغا خان^(٢)، وفي النهاية تمكن جيش محمد آغا خان من هزيمة لطف علي خان بالمكيدة، واستمالة أحد أعوانه والي شيراز حاجي إبراهيم كلنتر^(٣)، ولقب باعتماد الدولة، وقد انضم إلى محمد آغا خان؛ لإدراكه أن نهاية حليفه مؤكدة وإغراه بتسليمه حاكماً على شيراز.

تذكر المصادر أن محمد آغا خان دخل شيراز وأخذ أموال لطف علي خان وأموال الأسرة الحاكمة كما أنه سبى أسرة لطف علي خان، وأعمل القتل برجالها وسمل عيونهم؛ فضلاً عن ذلك أمر بنش قبر كريم خان الزند وحمل عظامه؛ ليدفن تحت كرسي عرشه ليطأه بقدميه، وهذا يدل على كرهه الشديد للأسرة الزندية^(٤).

كان وضع لطف علي خان حرجاً، فذهب باتجاه كرمان، وأعلن نفسه شاهاً على الدولة الفارسية وكرمان عاصمة له عام ١٧٩٣.

وهكذا توجهت أنظار محمد آغا خان نحو كرمان للسيطرة على الحكم، وإنهاء الأسرة الزندية، فأرسل حملة لحصار مدينة كرمان؛ مطالباً برأس لطف علي خان فاستطاعت قواته الاستيلاء على المدينة واستباحتها، وإلقاء القبض على لطف علي خان، وسمل عيون، وقتله

(١) خضير البديري، التاريخ المعاصر لإيران وتركيا، مؤسسة المنتدى، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٩-٢٠.

(٢) شعباني، المنتخب من....، ص ٣٤٠. مكاريوس، تاريخ ايران، ص ٢١٥-٢١٦.

(٣) إبراهيم كلنتر: هو ابن أحد أشرف مدينة شيراز أخذ مكان والده، وأصبح ذا مكانة اجتماعية مرموقة، ويفضل ذكائه وضعه كريم خان الزند محل والده، وكذلك أسند إليه علي مرد خان قيادة الجندية، وعينه جعفر خان والياً على فارس، وساعد لطف خان الزند للوصول إلى الحكم، لكنه انقلب علي لطف خان الزند، وعمل مع محمد خان ضده، وحصل على مراكز مهمة في عهد آغا محمد خان وأصبح الصدر الأعظم في عهد فتح علي شاه، إلا أنه لقي حتفه على يد فتح علي شاه. بركات الزهراء محمد جابر العوادي، الصراع على السلطة في إيران (١٧٩٦-١٨٤٨) إشراف: كريم مطر حمزة الزبيدي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، ٢٠١٥، ص ٣١.

(٤) الجاف، موسوعة تاريخ إيران...، ج ٣، ص ١٥٧. بينما أشار شاهين مكاريوس إلى أن محمد آغا خان نقل رفات كريم خان ونادر شاه إلى طهران ووضعها تحت عتبة قصره حيث كان يمر كل ساعة و ذلك تشفياً من ملكين يُعدّان من أهم الملوك في الدولة الفارسية، ويقال إن المؤرخين يأخذون عليه تلك الفعلة. شاهين مكاريوس، تاريخ إيران، ص ٢٣٢.

عام ١٧٩٥، وبذلك يكون قضى على آخر حاكم من الأسرة الزندية، وأصبح حاكم البلاد دون أي منافس^(١).

كما استطاع أن يجمع خصومه ومنافسيه من الأسرة القاجارية حيث قُتل أخاه جعفر قلي خان^(٢) ليستتب الأمر له، وينهي حالة الفوضى في البلاد ليبدأ حكمه الجديد. وما إن هدأت نيران الغضب لقتل أخيه من قبل العامة ومناصريه حتى بدأت حملاته التأديبية، حيث خرج الشاه على رأس قوه من رجاله، فوصل إلى آستراباد، و شن غارات عليهم، ثم تحرك متجهاً صوب بلاد الكرج والقوقاز بعد أن سعى الأمير هرقل للاستقلال، والتخلص من أية محاولة للسيطرة على بلاده من قبل الدولة الفارسية؛ مستغلاً حالة الفوضى فيها فلم يكن أمام ذلك الأمير إلا أن يبدأ مفاوضات مع الإمبراطورية الروسية حيث رضي بالبقاء داخل أطر الإمبراطورية الروسية مقابل استقلاله وحكمه للبلاد هو وأولاده، فعقد معاهدة مع الملكة كاثرين، ولكن فشل الأمير في ذلك الاستقلال؛ لأن الشاه محمد خان عندما سمع بذلك التحالف سار إلى بلاد الكرج وحاربها قبل أن تصلها نجدات الروس، فأخضعها، واقتص من أهلها، واضطر أميرها إلى الفرار إلى تفليس عاصمة البلاد فخربها، وأعمل القتل في أهلها وسبى منهم ٣٠ ألف نفس^(٣).

(١) دونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها، عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥، ص ٩٧. شعباني، المنتخب من....، ص ٣٤٣-٣٤٤.

Axworthy, A history of Iran...p171.

(٢) يذكر شاهين مكاريوس أنه قُتل أخاه جعفر عن طريق الحيلة حدث خلاف بينهما عندما جعل ابن أخيه الثاني وريث على العرش، فغضب جعفر خان وطلب منه نقله إلى أصفهان ليصبح حاكماً عليها إلا أنه رفض وولاه مازندران، وحدث بعد هذا أن محمد خان استدعى أخاه جعفر ليأخذ رأيته في إحدى المسائل، فلم يحضر وظن السلطان أن ذلك بادئ الشر والعصيان، فاستعمل كل حيلة لاستمالته، وأقنعه في آخر الأمر أن يزور طهران ليلة واحدة حتى يراه بعلة الشوق إليه، فجاء جعفر خان وقابله أخوه بحفاوة وإكرام حتى طلب منه أن يرى قصراً قد بناه، وعندما دخل ليراه كان بانتظاره قائلوه حيث قتلوه، وبذلك تم اغتيال أخيه جعفر خان. مكاريوس، تاريخ إيران، ص ٢٣٢.

(٣) عبد الرزاق بيك الدنبلي، المآثر السلطانية تاريخ إيران وحروبها مع روسيا في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين، ترجمة: محمد سيد أبو زيد، مراجعة وتقديم: عبد الحفيظ يعقوب حجاب، المجلس الأعلى للثقافة، العدد ٧٤٥، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥، ص ١٣٨-١٣٩. راضي آل ياسين، تاريخ الكاظمية، ج ١، ص ٩٨-٩٩. أحمد، دراسات في تاريخ إيران...، ص ٢٥-٢٦. مكاريوس، تاريخ إيران، ص ٢٣٣. شعباني، المنتخب من....، ص ٣٤٤.

وهكذا أدرك محمد شاه أن الدولة واستقرارها ولدت من رحم الانتصارات على أعدائه، ولهذا تقدم نحو مدينة خراسان وقام بإخضاعها بعد أن عذب أميرها شاهرخ ليحصل على الأموال والكنوز، ولاسيما الياقوتة الكبيرة لجده نادر شاه حيث مات من كثرة التعذيب^(١).

وعلى ضوء ذلك أتم حملاته فعقد اتفاقاً مع أمير أفغانستان على فتح بخارى وبلاد تركستان المستقلة، واقتسامها بينهما، ولكن وصلته أنباء أن الامبراطورية الروسية قد أرسلت جيشاً كبيراً، وقامت باحتلال الأجزاء الشمالية من الدولة الفارسية، ولكن بوفاة الإمبراطورة كاترين، وتولي خلفها بولس الأول الذي عرف عنه بدبلوماسيته وسياسته السلمية، حيث فضل أن يتراجع عن الأماكن التي احتلها في بلاد فارس^(٢).

ومالبث أن تجدد الصراع بين الشاه محمد خان وأمير بلاد الكرج؛ مستغلاً انسحاب الإمبراطورية الروسية من المنطقة حيث نجح الشاه محمد آغا خان في السيطرة على بلاد القوقاز، إلا أنه قتل خلال حملته الأخيرة ١٧٩٧ عندما أقدم ثلاثة من خدمه على اغتياله؛ لأنه أقسم على قتلهم في اليوم التالي، وبذلك انتهى حكم محمد شاه، وكان في الثالثة والستين من عمره، وحكم نحو عشرين عاماً، وخلفه على السلطنة ابن أخيه فتح علي شاه ١٧٩٧ حسب وصيته؛ كونه ولياً للعهد بعد أن كان حاكماً على مقاطعة فارس في جنوب الدولة الفارسية^(٣).

إذاً، هذه صورة القرن الثامن عشر: صراعات القوى الحاكمة في الدولة الفارسية، وخاصة بين الزنديين والقاجاريين وبين القاجاريين أنفسهم؛ مما زاد من ضعف الدولة نفسها لمحاولة تلك الولايات نيل الاستقلال على امتداد القرن الثامن عشر، وبدأ النفوذ الأوروبي بالقوة والاتساع على حسابها في الخليج العربي^(٤)، وهذا ماسنشهده في عهد فتح علي شاه الذي تسلم الحكم في ظروف داخلية صعبة، فما حال الخريطة السياسية للدولة الفارسية في عهد فتح علي شاه.

عانى العرش الفارسي نصيبه من الاضطرابات والصراعات المسلحة في عهد فتح علي شاه؛ لأن القاجاريين لم يهدأ لهم بال لتنازعهم على السلطة، ومن أهم المنافسين لفتح علي شاه صادق خان الشقافي، وعلي قلي خان، وحسين قلي خان، وسليمان خان قاجار، وجعفر خان

(١) شعباني، المنتخب من....، ص ٣٣٦-٣٣٧+٣٤٤.

(٢) الدنبلي، المآثر السلطانية...، ص ١٤٠.

(٣) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٠٢. أحمد، دراسات في تاريخ إيران...، ص ٢٧-٢٨. راضي آل ياسين، تاريخ الكاظمية، ج ١، ص ٩٩.

(٤) نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ترجمة: سمير نجم الدين سطاتس، تقديم ومراجعة: قسم الدراسات والنشر والشؤون الثقافية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط ١، ٢٠٠٦، ص ١٣١-١٣٢.

دنبلي، ونادر ميرزا الافشاري، ومحمد خان الزندي، وإسحاق ميرزا إلى أن استطاع القضاء على منافسيه خلال فترة حكمه^(١).

لقد ظهر لدى كل من إنكلترا وفرنسا وروسيا القيصرية نزعة توسعية نحو منطقة العراق وبالتالي حاولت إنكلترا الحد من أي قوة أوروبية تخل بتوازنات القارة، أو تمكّنها من منافستها في مستعمراتها وطريقها إلى الهند، أما فرنسا أرادت أن تضرب إنكلترا، وتضع حداً لنفوذها في مناطق الهند خصوصاً بعد فقدان معظم مستعمراتها، وتشكيل إمبراطورية لتعيد أمجادها السابقة فترة الأحلام النابليونية^(٢)؛ مما سبب القلق للمسؤولين الإنكليز في الهند. وبهذا الصدد قالوا: "إننا نتطير من الخطر الفرنسي على الهند... فإمبراطوريتنا في الشرق كانت على الدوام شيئاً يحسده الفرنسيون. وإننا لعلّ علم بما كان لحكومتهم السابقة من آمال فتاكّة في إمكان الوصول إلى الهند عن طريق أقصر من طريق رأس الرجاء الصالح ولا يخامرنا شك في أن الحكومة حاضرة لاتحجم عن المجازفة بالكثير، وحتى اتباع أغرب الأساليب وأبعدها طموحاً، في سبيل ما تأمله من إضعاف قوتنا وأهميتنا، إن لم يكن القضاء عليها في ذلك الجزء من العالم"^(٣). فضلاً عن أطماع روسيا نحو المياه الدافئة للوصول إلى مضيفي البوسفور والدرديل؛ لأنهما نقطة التقاء بين أوروبا وآسيا وبحر إيجه بالبحر الأسود، ودورهما الاقتصادي، والعسكري لمرور السفن التجارية عن طريقهما^(٤).

وإزاء ذلك توجهت أنظار الدول الكبرى إلى الدولة الفارسية، ولاسيما بعد فشل حملة نابليون على مصر ١٧٩٨، وفي عام ١٨٠٠ قامت كل من فرنسا وروسيا بعقد اتفاقية، ومن

(١) أشارت وثيقة إلى أن والي بغداد سليمان باشا تسلم رسالة من الشاه فتح علي خان عندما أصبح شاهاً في الدولة الفارسية، وقد جاء فيها كيف استتب الحكم له في البلاد، وأنه سوف يرسل مبعوثه إلى باشا سليمان والي بغداد لإعمار القبة الشريفة وتذهيبها لحضرة الإمام موسى الكاظم رضي عنه، وقام سليمان باشا بدوره بإخبار الباب العالي عن مضمون الرسالة. انظر نص الوثيقة كاملاً بالرجوع إلى أرشيف رئاسة الوزراء في الجمهورية التركية (HAT00160-06674-00001)، وثيقة رقم ٧ بتاريخ قبل رمضان ١٢١٣هـ، علي موجاني، وثائق نجد تقارير أمراء المعاصرين لظهور محمد عبد الوهاب واستقرار أول دولة لآل سعود في نجد والحجاز، ترجمة: عقيل خورشاء، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٤، ص ٢١١-٢١٨.

(٢) وليد محمد جرادات، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، دوحة، ط ١، ١٩٨٦، ص ١٢٣-١٢٤، پناهى سمناني، فتحعليشاه قاجار سقوط در كام استعمار، انتشارات نمونه، تهران، ١٣٧٦، ص ٤٤.

(٣) زكي صالح، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤ دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨، ص ٦٨.

(٤) لويس الحاج، مشكلة المضائق والعلاقات الروسية والتركية، سلسلة الثقافة السياسية، منشورات دار المكشوف، بيروت، ط ١، ١٩٤٧، ص ٥-٦.

أهم بنودها اشتراك بلديهما في حملة مقررة بغزو شمال الهند عن طريق الدولة الفارسية؛ لطرده إنكلترا، وفتح أسواق جديدة أمام صناعة وتجارة الدول الأوروبية؛ لذا أجرت فرنسا اتصالاتها مع فتح علي شاه لعبور الأراضي للدولة الفارسية من أجل الوصول إلى الهند، ولكن فشلت الخطة باغتيال بول الأول المعادي لإنكلترا؛ نتيجة مؤامرة كان الإنكليز أحد خيوطها، وانشغال نابليون بحربه ضد النمسا^(١).

تزامن ذلك مع محاولات إنكلترا زيادة نفوذها في شؤون الدولة الفارسية، والتصدي للتدخلات الأوروبية الذين يهددون كيانهما في الهند (درة التاج الإنكليزي) والطريق إليها. لذلك جاءت مطالب إنكلترا بتوقيع معاهدة مع الدولة الفارسية سنة ١٨٠٠ مقابل أموال تقدمها كتعويض للدولة الفارسية^(٢).

بيد أن القيصر الروسي الإسكندر الأول ورث المشاريع الاستعمارية عن كائنين الثانية، حيث تابع سياسة التوسع والغزو للأراضي الفارسية، ولاسيما بعد أن طلب زعماء أرمينيا والقفقاس الحماية الروسية في الوقت الذي كانت فيه الدولة الفارسية تعاني من جيشها غير المنظم وقيادتها غير الجديرة بتحمل المسؤولية في إيقاف الخطر الروسي، وكان من الطبيعي أن يكون الاندحار من نصيب القوات الفارسية.

لقد أصدر القيصر الجديد بياناً في ١٨٠١ يعلن فيه عن ضم جورجيا إلى روسيا، وبدأ بتعزيز دفاعاتها العسكرية فيها استباقاً لأي مواجهة مقبلة مع الدولة الفارسية.

بدأت روسيا بالاعتداء على الحدود الفارسية المتاخمة، واستطاعت السيطرة على جورجيا، ففي سنة ١٨٠٤ تجاوزت القوات الروسية التي كانت مجهزة بالمعدات العسكرية الأراضي الفارسية، واستولت على مدن من إقليم أذربيجان كان أهمها مدينة كنج التي تعرض أهلها لمذابح قام بها الغزاة الروس، وقد حاول الفرس الذين تنقصهم المعدات العسكرية والتدريب ضد ذلك الاعتداء إلا أن قواتهم اندحرت أمام الجيش الروسي، وقد واصل الروس انتصاراتهم على الفرس، واحتلوا مدناً مهمة في الدولة الفارسية عام ١٨٠٦، واستغرق سعي الدولة الفارسية لمراجعة أسباب خياراتها وإعداد جيشها لاستعادة أراضيها بضع سنين^(٣)، وكانت فرنسا تريد الدخول لصالح الدولة الفارسية؛ لأنها رأت أفعال الروس وتقدمها ضد سياستها، فعرض نابليون الأول على فتح علي شاه المساعدة فتردد أولاً في قبولها، ولكنه رضي بها لما رأى تقدم الروس في بلاده، فأرسل إليه بعض القواد الفرنسيين لكي ينظموا الجيش، ويرتبوا أموره، وكان الجنرال

(١) سليم طه التكريتي، الصراع على الخليج العربي، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، ١٩٦٦، ص ٥٩.

(٢) كيلي، بريطانيا والخليج...، ص ١٠٨.

(٣) جميل موسى النجار، النجف الأشرف حوادث ومشاهدات ومواقف سياسية، دار الرافدين، بيروت، دار عدنان، بغداد، ط ١، ٢٠١٥، ص ١٠٥.

غاردان^(١) الفرنسي الذي أنيط به تنظيم الجيش الفارسي على النسق الأوروبي قد هدأ روع فتح علي شاه بعد صلح تليست سنة ١٨٠٧ بين فرنسا وروسيا، وأخبره نابليون بأنه سيساعده عند الإمبراطور الإسكندر الروسي، ويرد للدولة الفارسية البلاد التي استولت عليها روسيا^(٢).

وفي غمرة الاعتداءات الروسية على الدولة الفارسية كان للنجف دور في مواجهة تلك الاعتداءات الروسية على الدولة الفارسية التي استغرقت بضعة أعوام، ومحاولات الدولة الفارسية دفعها، والتصدي لها كان للنجف دور في مواجهة تلك الاعتداءات على الأراضي الإسلامية واستنهاض المسلمين لردّها، فقد أفتى علماء النجف في سنة ١٨٠٩ رداً على سؤال حمله إليهم وإلى علماء قم وكربلاء أيضاً وفد من العاصمة طهران بوجوب قتال الروس، ودفع عدوانهم عن أراضي المسلمين فرض عين على كل فرد من المسلمين، وكان الشيخ جعفر كاشف الغطاء في طليعة علماء النجف الذين أفتوا بوجوب قتال الروس ثم مالبت أن أذن الشيخ كاشف الغطاء لفتح علي شاه القاجاري بإدارة معركة تحرير الأراضي الفارسية في الشمال التي تحتلها روسيا القيصرية، وخلال الاستعدادات لتسليح قواتهم وتنظيمها لتحرير الأراضي الفارسية قام الشيخ جعفر كاشف الغطاء بتأليف كتاب في الجهاد أرسله إلى ولي العهد الفارسي الشاهزادة عباس ميرزا^(٣) حاكم أذربيجان وقائد القوات الفارسية في جبهات الحرب مع روسيا وقد عنون الشيخ كتابه ب "غاية المراد في أحكام الجهاد أو الحسام البتار في قتال الكفار"^(٤).

(١) غاردان: وهو كلود ماثيو دو غاردان من الشخصيات البارزة في فرنسا التي زارت الدولة الفارسية بأمر من نابليون مع عدد من الضباط، حيث وصلت البعثة بقيادته للدولة الفارسية ٤ أيلول، وبقي فيها حوالي ستة أشهر من أجل أن ينفذ ماجاء بمعاهدة فرنكشتاين، حيث كان قائداً للهيئة العسكرية التي جيء بها محمد حسن كاووسى عراقى، اسنادى از روابط ايران و فرانسه (در دوره فتحعلى شاه قاجار ١٢٥٠ هـ ق-١٢١٢ هـ ق ١٨٣٤-١٧٩٨م)، وزارت امور خارجه، تهران، ١٣٧٦، ص ٣٠-٣٣.

(٢) محمد عبد الله العزاوي، دراسات في تاريخ العلاقات الفرنسية الإيرانية في العصر الحديث دراسة وثائقية من واقع الأرشيفات الفرنسية في باريس، الدار الوطنية الجديدة للنشر، دمشق، ٢٠٠٨، ص ١٢٤-١٢٥ ولبر، إيران ماضيها...، ص ٩٧. بريطانيا والعراق...، ص ٩٨. مكاريوس، تاريخ إيران، ص ٢٢٦. بروكلمان، تاريخ الشعوب...، ص ٦٥٧.

(٣) عباس ميرزا: الابن الثالث لفتح علي شاه عين ولي عهد وحاكم أذربيجان ومن أبرز الساسة طوال العهد القاجاري وكان أول صاحب بعثة دراسية إلى لندن، وأرسل الطلبة الأوائل للدول الأوروبية لدراسة المواد العلمية؛ فضلاً عن اعتناؤه بالجيش. البديري، التاريخ المعاصر...، ص ٢٣.

(٤) النجار، الأشرف...، ص ١٠٦-١٠٧.

وفي سنة ١٨١٢ أقدمت الدولة الفارسية على إرسال حملة على القوات الروسية إلا أن الروس استعادوا قوتهم، وصدوا هجوم الدولة الفارسية؛ مما حدا بفتح علي باشا إلى طلب الصلح من روسيا، والإذعان للشروط القاسية التي فرضتها روسيا لقبوله^(١).

ورأت إنكلترا زيادة في تدخل كل من روسيا وفرنسا في الدولة الفارسية، فاهتمت بالأمر، وبعثت سفيرها إلى فتح علي شاه، فتوسطت المسائل بين روسيا والدولة الفارسية على ما تقدم وأبرمت معاهدة كلستان في شهر أكتوبر سنة ١٨١٣ بين الروس والفرس بواسطة السير كوز أوسلي الإنكليزي، وبقيت العلاقات بين روسيا والدولة الفارسية بعد صراع مرير بينهما^(٢).

لقد كانت نتائجها خطيرة على بلاد فارس؛ لأنها تخلت بموجبها عن دربند، وباكو، وشيروان، وشاكي، وقره باغ، وجزء من تاليش، وأقلعت عن أي ادعاء بكرجستان وداغستان ومنغريليا، وإيمرشيا، وأبخازيا، كما أنها وافقت ضمناً على أن يكون لها أسطول في بحر الخزر هذه المعاهدة أنهت النزاع الطويل الذي نشب بين روسيا وفارس ١٨٠٤-١٨١٣، وهي فاتحة النفوذ الروسي في الخليج العربي^(٣).

لم تكن هذه المعاهدة بأية صورة فاتحة نزاع إنكليزي - روسي في الخليج العربي أو أية منطقة من مناطق الخليج وبلاد فارس، فالسياسة الانكليزية كانت موجهة لإبعاد خطر النابليون، ولاحظنا أنها أبرمت بموافقة ومساندة الدبلوماسية الإنكليزي. وهكذا نجد أن العلاقات في القرن الثامن عشر بين الدول الأوروبية، والدولة الفارسية تحولت من أغراض تجارية إلى أغراض استراتيجية، واستمرت طوال القرن التاسع عشر، كما تميز هذا القرن بالتطاحن بين روسيا، وفرنسا، وإنكلترا في الدولة الفارسية.

(١) النجار، النجف الأشرف...، ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) مكاريوس، تاريخ إيران، ص ٢٢٦.

(٣) صالح، بريطانيا والعراق...، ص ١٤٦-١٤٧.

ثالثاً-الخلافات السياسية بين الدولتين العثمانية -الفارسية على كردستان العراق:

قد تكون الأزمة الصاعدة بين الدولة العثمانية من جانب والدولة الفارسية من جانب آخر، واحدة من أخطر التحديات التي تواجه الإمارات التي شكلت في منطقة كردستان حيث سيكون على القوى السياسية غير المتجانسة، ومختلفة الولاءات أن تتخذ قرارات تجاه التعامل مع التنافس بين الدولتين المنحدرتين نحو التفكك والانحدار والمتعرضتين للتبعية الاقتصادية والعسكرية للدول الاستعمارية الكبرى.

إن الواقع السياسي في كردستان غير متماسك؛ بسبب الانقسامات التي أنشئ عليها والمتمثلة بإمارات إقطاعية حكمت المنطقة- كما أسلفنا بالذكر- ومن بينها إمارة بابان وسوران وبهدينان وبوتان وهكاري وغيرها من الإمارات التي تدور بينهما حروب كثيرة؛ لهذا السبب كانت حدودها في تبدل مستمر^(١).

كانت هذه الإمارات الإقطاعية تدخل تحت التبعية الاسمية لبغداد على أن تقدم للوالي سوى فرقة عسكرية في أثناء الحملات العسكرية؛ فضلاً عن ذلك الهدايا الثمينة في المناسبات؛ مقابل ذلك يتم إعفاؤهم من الضرائب الحكومية، وفي أواخر القرن الثامن عشر بدأت إمارة بابان، تشكل دوراً كبيراً في الوضع السياسي لباشوية بغداد، ولاسيما أنها تقع على الحدود مع الدولة الفارسية، ومدينة السليمانية مركزاً لها^(٢).

ونتيجة الحروب الداخلية ضعفت السلطة في إمارة بابان أواخر القرن الثامن عشر ضعفاً شديداً؛ الأمر الذي مهد السبيل أمام التدخل المباشر لممثلي سلطة الشاه والسلطان في شؤونها الداخلية.

في عام ١٧٨٢ أعلن أمير بابان محمود باشا العصيان على سليمان باشا، وقد فشلت الجهود التي بذلها الوالي سليمان باشا؛ لتهديته ورفض الانصياع للأوامر، وتابع تمرد؛ مما اضطر سليمان باشا إلى إرسال حملة باتجاه كردستان حتى وصل إلى مدينة كركوك، وعندما وصلت الأخبار إلى محمود باشا باستعدادات الوالي أسرع بتحسين المواقع، ثم أصلح مراكز الدفاع الموجودة في منطقة دربند، وحاول الوالي سليمان باشا التأثير على الأمراء في كردستان بأن أعلن استعداده لتقديم الأوسمة والمراتب؛ مقابل الانتشاق عن محمود باشا، واستطاع بذلك استمالة الأمراء، وأصدر أمراً بتعيين حسن بيك حاكماً على مقاطعة بابان، ومنحه لقب باشا،

(١) مجموعة مؤلفين، الإمارات الكردية في العصر الحديث، دار الفارابي للنشر، بيروت، دار آراس للطباعة والنشر، أربيل، ط ٢، ٢٠١٣، ص ١٣.

(٢) ومن الجدير بالذكر قدر عدد سكان مدينة السليمانية عام ١٨١٢ حوالي أربعة آلاف شخص وبعد مرور ثماني سنوات بلغ عدد سكانها عشرة آلاف شخص. مجموعة مؤلفين، الحركة الكردية...، ص ١٤.

وعزل محمود باشا، وكذلك أصدر أمراً بتعيين محمود باشا ابن نمر باشا لمقاطعات حرير وكويسنجق ثم سار نحو الثائرين^(١).

ومن يتابع المشهد السياسي في خضم تسارع الأحداث بين كافة أطراف الصراع يلاحظ أن الباشا في البداية تجنب الدخول في معركة ضد محمود باشا، ولكن الوالي حثّ الأمراء من خلال استمالتهم إلى عدم موافقة، أو دعم محمود باشا في معركته ضده؛ مقابل منحهم امتيازات ومراكز قيادية، وبما أن حجم الضغط في تصاعد مستمر مع اتساع دائرة الصراع بين الأمراء ومحمود باشا أدى في نهاية المطاف إلى تراجع محمود باشا عن موقفه والإتيان بأمر جديد؛ مما جعل فكرة التمرد خطأ فادحاً لدى محمود باشا وهذا مانجم عنه في صراعه.

إذاً لقد أصبح الموقف حرجاً لدى محمود باشا تماماً بعد أن فرط عقد الثائرين، وأدرك ضعف وضعه العسكري، ولاسيما بعد أن صدر قرار بعزله فما كان منه سوى أن يطلب الصفح والغفران من الوالي بمساعدة من قبل وجهاء المنطقة، فقبل العفو على أن يطرد عثمان كهية ويسلم للوالي، وأن يتخلى عن كوى، وحرير، ويدفع مبلغاً يقدر بحوالي ثلاثمائة كيس من النقود، ويضع ابنه رهينة لدى الباشا حتى يتم تنفيذ كامل أوامره، وعلى إثر ذلك صفح عنه الوالي وأبقاه أميراً على إمارة بابان^(٢).

وعندما علم أمير بابان محمود باشا بعودة الوالي إلى بغداد ثار عليه، وأعلن عصيانه حيث حاصر كويسنجق ووضع نمر باشا في سجن القلعة، فما كان من الوالي سليمان باشا سوى إرسال حملة إلى كركوك، فالتجأ الثائر إلى الدولة الفارسية وبذلك عين سليمان باشا مكانه إبراهيم بك الذي أسس بلدة السليمانية وأسمائها كما أسلفنا بالذكر نسبة إلى الوالي سليمان باشا الكبير^(٣)، وفي الوقت نفسه طلب الوالي سليمان باشا من أمير بابان إبراهيم باشا مساندته في قمع التمرد الذي قام ضده، فأدى واجبه على أكمل وجه، ولكن عندما تجدد التمرد تقاعس عن عمله، فعزله الوالي، وأسند الحكم لعثمان باشا بن محمود فيما بعد^(٤).

إزاء ذلك لابد من هذا السؤال الذي يطرح نفسه: ماموقف الدولة الفارسية من لجوء محمود باشا إليها؟ وما أثر ذلك على الوضع الداخلي ؟

يمكن القول: لقد رحّبت الدولة الفارسية بلجوء محمود باشا إليه؛ لكونها تريد ضم كردستان، وقامت بتخصيص مبلغاً مالياً لمحمود باشا وابنه؛ فضلاً عن إعطائه مقاطعة صادق بولاق، ولكنها تخلّت عنه وأرسلت من يقتله، فما كان من ابنه عثمان باشا سوى العودة إلى

(١) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٧٥.

(٢) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٧٥-١٧٧.

(٣) الوردي، لمحات اجتماعية...، ج ١، ص ١٧٢.

(٤) الدوسكي، كردستان العثمانية في...، ص ٩٩.

العمادية في العراق، وكتب إلى الوالي يعلمه بتفاصيل ماجرى من أحداث، وطلب المغفرة، فأرسل الوالي إليه مصطفى آغا يطلب منه الذهاب إلى بغداد، فما كان منه إلا تلبية دعوة الوالي الذي استقبله بحفاوة، وولاه على مقاطعات قزلباط وعلى آباد وخانقين^(١).

لعل الوضع في إمارة بابان عكس أنماطاً كثيرة من حالة عدم الاستقرار السياسي، وأبرزت ظواهر الصراع الداخلي الذي كان من بين مؤثراته تفاقم الأزمات الداخلية، وتعدد مراكز القوى، وهيمنة القوى الخارجية على القرار، وهذا ما لاحظناه من تدخل الدولة الفارسية بشكل مباشر، وتحكمها في المشهد السياسي من أجل السيطرة على كردستان وضمها لها^(٢).

ومهما كانت طبيعة الأوضاع التي شهدتها الإمارة، ولكن حكامها كانوا يطمحون إلى أن يصبحوا أصحاب القرار في إدارة شؤونهم، وعدم الخضوع إلى أي من القوتين المتصارعين، وهذا ما سنجده أيضاً في تمرد عبد الرحمن باشا الذي سعى إلى بناء إمارة مستقلة بعيدة عن التأثير العثماني.

لقد أثارت هذه الطموحات الدولة العثمانية وعدتها اعتداءً مرفوضاً عليها إلا أنها حاولت تجنب أي تداعيات من جراء اصطافاف الدولة الفارسية إلى جانب الأمير عبد الرحمن الذي أعلن ثورته عام ١٨٠٥ ضد والي بغداد، ودخلت الدولة الفارسية في وساطة لصالح الأمير في البداية، ولكن تطورت إلى سلسلة من الصدمات العسكرية عندما ضغط والي بغداد علي باشا على الأمير الباباني عبد الرحمن باشا^(٣)؛ إذ أرسل الشاه سفيراً يطلب من الوالي سليمان باشا أن يستجيب لمطالبه بالموافقة على العفو عن الأمير الباباني عبد الرحمن باشا، ولكن الوالي رفض مطلب السفير بالصفح عن الأمير وظل يطارده، ويشنت قواته، فلم يعد لدى الأمير القدرة أو الطاقة على أي حرب مع الوالي؛ مما اضطره إلى السفر نحو الدولة الفارسية، وبالقرب من كرمنشاه سنة^(٤) استقبلته، كما أن الدولة الفارسية وضعت آمالها في دعم خطوات الأمير الباباني حيث توسطت مرة ثانية له، فأوفدت سفيراً يحمل رسالة من الشاه من أجل العفو عن عبد الرحمن بك وهو مادفع الوالي ليعتذر عن تنفيذ مطالب الدولة الفارسية، ولاشك في أن الوالي يدرك أن الهدف من تلك المطالب؛ تعزيز النفوذ الفارسي في المنطقة عن طريق الأمير عبد

(١) يجدر الإشارة لمعرفة مقتل محمود باشا انظر: كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٧٨-١٧٩. زكي، تاريخ السليمانية...، ص ٩١-٩٣.

(٢) هروتي، كردستان والإمبراطورية...، ص ١٥٥-١٥٦.

(٣) نورس، حكومة الممالك...، ص ٢١٧.

(٤) الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ١٧٤-١٧٥.

الرحمن، ولكن لتخفيف من حدة الأمر أرسل الوالي علي باشا مبعوثاً ليوضح طبيعة الأمور للدولة الفارسية، ولكنها لم تُجدِ نفعاً^(١).

يبدو أن الطموح إلى احتلال العراق يبين مدى المصلحة الجيوستراتيجية والاقتصادية لدى الدولة الفارسية التي تظاهرت باهتمامها في تمتين أوأصر العلاقات مع الدولة العثمانية، وانفتحت بالخفاء مع الأمير الباباني على احتلال منطقة كردستان، ودفعت له خمسين ألف تومان؛ ليكون على أتم الاستعدادات؛ مستغلة أوضاع العراق المضطربة في ذلك الحين بسبب غارات الوهابيين المتكررة وقيام ثورات العشائرية^(٢).

عندما علم الوالي علي باشا بما خططت له الدولة الفارسية جمع كامل قواته لمواجهة الخطر المحدق بالعراق، واتجه أبعد من ذلك عندما تجاوز الحدود، واحتل كرمنشاه التي استسلمت له، ولكن أراد أن يُعلم الدولة العثمانية بما فعل فجاء ردّها على ذلك بعدم موافقتها على الحرب، ولا بد له من التراجع بجيوشه إلى بغداد، فقام بتنفيذ أوامر السلطان العثماني؛ ويرجع خشية الدولة العثمانية من حرب شاملة مع الدولة الفارسية إلى أن نابليون كان يسعى إلى عقد حلف هجومي دفاعي بين فرنسا، والدولة العثمانية، وفارس ضد إنكلترا وروسيا^(٣)، حيث عانت الدولة العثمانية والفارسية من الخطر الروسي كما أسلفنا سابقاً.

وبعد أن تلقى الشاه الفارسي الأخبار بتعدي القوات العثمانية على منطقة كرمنشاه قام بتسيير ابنه محمد علي ميرزا^(٤) مع عدد كبير من القوات إلى كرمنشاه، كما أرسل قوات إلى سنة تحت إمرة فرج الله خان وحاكمها أمان الله خان، وتراوحت أعداد الجنود ما بين خمسة آلاف

(١) العزاوي: موسوعة تاريخ العراق...، ج ٦، ص ٢٠٠-٢٠١.

(٢) فائق بك، تاريخ بغداد...، ص ٣٧-٣٨. نورس، حكومة المماليك...، ص ٢١٧-٢١٨. كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٢٨-٢٣٨. زكي، تاريخ السليمانية...، ص ١١٠.

(٣) نورس، حكومة المماليك...، ص ٢١٨. زكي، تاريخ السليمانية...، ص ١١٠. فائق بك، تاريخ بغداد...، ص ٣٨. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق...، ج ٦، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٤) محمد علي ميرزا ملقب بدولتشاه ولد ١٧٨٩ في نوا في مدينة مازندران، وهو ابن فتح علي شاه، وكان حاكم بلاد فارس، وقزوين، وجيلان، وخوزستان، ولورستان وكرمنشاه توفي سنة ١٨٢١ على إثر مرض في أثناء اشتباكه الأخير مع العثمانيين، ودفن في كربلاء، وله ديوان مكوّن من أربعة آلاف بيت، وأصبح ابنه محمد حسين ميرزا حشمت الدولة حاكم كرمنشاه. حسين بابيوردی، مختصری از سابقه و احوال محمد علی میرزا دولتشاه، مجله وحید، مهر ١٣٤٧، شماره ٥٨، ص ٩٠٥-٩٠٩. سلمان آل طعمة، مشاهير المدفونين في كربلاء، دار آل الصفوة، لبنان، ط ١، ٢٠٠٩، ص ٧٤. ابراهيم خاكسار بلداجي سجاد برزگر، جليل نائين، پیامدهای اجتماعی و سیاسی رقابت محمد علی میرزا دولتشاه وعباس میرزا، مطالعات تاریخ فرهنگی، پژوهشنامهی انجمن ایرانی تاریخ سال چهارم، شمارهی سیزدهم، پاییز ١٣٩١، ص ١٠٧-١٣٧.

وستة آلاف مقاتل^(١)، وفي تلك الأثناء كان يسعى عبد الرحمن الباباني إلى استمالة قادة القوات الفارسية إليه من خلال الوعود التي قدمها لهم بالحصول على الأموال والعطايا إن ساندوه في هجومه على منطقة السليمانية^(٢).

ومن الطبيعي أن تزيد قوة عبد الرحمن باشا نتيجة الانتصارات التي حققها بمساعدة القوات الفارسية، فما كان من الوالي سوى بعث قوى بقيادة كتحذاه، ومتصرف كوى، وحرير سليمان بك للوقوف بوجه عبد الرحمن الباباني، وعندما التقى الطرفان انتهت المعركة بهزيمة جيش سليمان وأسر على يد عبد الرحمن الباباني الذي توجه به إلى طهران^(٣)، ويؤكد ذلك سليمان فائق بك في كتاب تاريخ بغداد بقوله: "وقد سارت هذه القوة نحو سنة فلما علم عبد الرحمن باشا بالأمر جمع قواته وعسكر بها على الحدود، ثم هجم على السليمانية واحتلها، ومنع تقدم القوة المذكورة، فعرض أمرها على الوالي، وطلب إليه أن يمدّه بقوة كافية، فما كان من الوالي إلا أن أمده بفرقة عسكرية جعل على رأسها صهره وكتخذاه سليمان باشا الذي ركب رأسه، وقطع كل ثلاث مراحل بمرحلة واحدة حتى وصل إلى السليمانية ... ولما صار وجهاً لوجه، أمام القوات الفارسية هجم عليها دون مراعاة للأوامر التي تلقاها ...، فكانت عاقبة طيشه أن انهزمت قواته وأسر معظمها، وكان هو من جملة الأسرى"^(٤).

وردت الأخبار إلى الوالي علي باشا عن قيام عبد الرحمن الباباني بأسر كتحذا سليمان، وقيام الجيش الفارسي تحت قيادة ابن الشاه محمد علي ميرزا على السلب والنهب حتى وصلوا إلى منطقة قزلباط^(٥)، فما كان من الوالي نتيجة تلك الأحداث المأساوية سوى الاتجاه من شرواته إلى منطقة الكفرى والموافقة على تعيين عبد الرحمن الباباني متصرفاً على مدينة السليمانية مقابل فك أسر الكتحذا سليمان باشا مع قواته^(٦).

وعلى إثر ذلك أرسل عبد الرحمن الباباني إلى محمد علي ميرزا رسالة يطلب منه العودة بأدراجه إلى الدولة الفارسية بعد أن تمت الموافقة على شروطه من قبل الوالي بقوله: "حيث إن حكومة السليمانية قد أعيدت إلى، فلا أحتاج فيما بعد أن أضنيكم وأتعبكم.." ^(٧).

(١) العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج٦، ص٢٠٣.

(٢) نورس، حكومة المماليك...، ص٢١٨. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج٦، ص٢٠٣.

(٣) نورس، حكومة المماليك...، ص٢١٨. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج٦، ص٢٠٣+٢٠٥. المدني، خمسة وخمسون عاماً...، ص٨٩+٩٠.

(٤) ص٣٨ + ٣٩.

(٥) الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٦) فائق بك، تاريخ بغداد، ص٣٩.

(٧) زكي، تاريخ السليمانية...، ص١١٢.

على ضوء مطالعتنا نرى أن الدولة الفارسية أثرت على مجرى الأحداث في منطقة السليمانية، فقد أدت دوراً فاعلاً في مساندة عبد الرحمن الباباني؛ لإعادته إلى حكمها وتقوية نفوذه في المنطقة عندما لجأ إليها، كما نال حظوة عندها ففشلت الدولة العثمانية بمثلها ولاية بغداد من إحكام السيطرة الفعلية على شمال العراق رغم خضوعها اسمياً لها، ولهذا نرى أن الأمير الباباني تابع في تمرده وعصيانه بوجه ولاية بغداد؛ مما أجبر الوالي سليمان باشا القيام بعزله عام ١٨٠٨، ولكن لم يكن بوسع الوالي أمام الضغوط الفارسية إكمال إجراءاته بعزل الأمير عبد الرحمن الباباني، فكان عليه إزاء ذلك المحافظة على الأمن والاستقرار بعد إدراكه أن الشاه الفارسي سوف يضع نصب عينيه احتلال المنطقة بتدخل عسكري، والقضاء على كل ما يحول دون تحقيق ذلك؛ لذا آثر أن يعيد الأمير إلى منصبه^(١).

وبالمقابل نجد أن الوضع زاد تفاقمًا عندما ضعفت روابط الاتصال بين عبد الرحمن الباباني والدولة الفارسية التي ارتكز عليها في حكمه لإمارته، حيث بلغ أوج الفتور بعزل متصرف درنة وباجلان عبد الفتاح باشا، وتعيين خالد باشا الباباني محلّه عام ١٨١٢^(٢). فما كان من الدولة الفارسية التي أنجدت متصرف عبد الفتاح إلا أن ترسل إلى والي بغداد رسوياً تطلب منه أن يعيد عبد الفتاح إلى منصبه، فرفض الوالي بناء على رغبة عبد الرحمن باشا، ولكن بعد أن شدد محمد ميرزا بمطلبه بإعادة عبد الفتاح إلى منصبه اضطر الوالي إلى الاستجابة إلى الشاهزادة محمد علي ميرزا، فطلب من عبد الرحمن باشا التراجع عن عزل عبد الفتاح باشا وإعادته إلى منصبه، ولكن تشدد عبد الرحمن باشا في موقفه ورفض العدول عن قراره وهذا بدوره أدى إلى توتر العلاقات وتأزمها بين الطرفين^(٣).

وبالتالي عزم كل من الشاهزادة محمد ميرزا والوالي عبد الله باشا على تأديب عبد الرحمن باشا وإزاحته عن متصرفيته لعدم استجابته لأوامرهما، وعلى إثر ذلك سار الشاهزادة ميرزا بموافقة الشاه على رأس جيش تراوحت أعداده حوالي ستين ألف مقاتل في الوقت الذي أدرك فيه عبد الرحمن باشا الباباني تعاون خالد مع الوالي العثماني في بغداد والدولة الفارسية لإزاحته من متصرفيته وتعيين خالد على متصرفية بابان وكوى وحرير؛ مما جعله يستاء من الأمر^(٤).

(١) الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٤٢-٢٤٤.

(٢) الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٥٢. فائق بك، تاريخ بغداد، ص ٥١، العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٤٢.

(٣) فائق بك، تاريخ بغداد، ص ٥١، العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٤٢. نورس، حكومة المماليك...، ص ٢١٩-٢٢٠. زكي، تاريخ السليمانية...، ص ١٢٣.

(٤) فائق بك، تاريخ بغداد، ص ٥١، العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٤٣. زكي، تاريخ السليمانية...، ص ١٢٤.

استطاع الشاهزادة أن يصل إلى كويسنجق، ويفرض عليها الحصار، وربما من المناسب هنا أن نشير أننا نرى أن خطر عبد الرحمن باشا لم يكن بمثل الخطر القوات الفارسية على العراق فشعر الوالي عبد الله باشا أن الخطر كامناً في القوات الفارسية؛ إذ عكست أبعاده على العراق بما جمعه من حشود كبيرة قياساً بقوة الأمير وما يترتب على ذلك من آثار لا تُحمد عقابها؛ لذا تراجع الوالي العثماني عن موقفه، وطالب العشائر سراً بمساعدة عبد الرحمن باشا ضد الوجود الفارسي وحصاره خوفاً من الاستيلاء على مناطق أخرى في كردستان، وهكذا تتوضع كردستان وأهلها بين سندان الدولة الفارسية ومطرقة الدولة العثمانية^(١).

وغضب الشاهزادة ميرزا عندما علم بنوايا الوالي عبد الله باشا فقرّر مصالحة عبد الرحمن باشا؛ ليكسب الأمر لصالحه فجعل عبد الرحمن على كوى وحير، وعين خالد باشا على لواء بابان، وثم فك الحصار بعد أن دام خمسة عشر يوماً ثم قفل الشاهزادة عائداً إلى كرمنشاه^(٢).

وظلت البلاد الفارسية تشكل خطراً مستمراً على كردستان العراق، وذلك بإثارتها الفتن ودعمها لحركات التمرد والعصيان والانفصال لدى أمراء كردستان، ثم ما لبث أن عاد عبد الرحمن إلى تمرده وعصيانه، وبدأ بالتآمر مرة أخرى على خالد باشا لإزاحته عن السليمانية بتحريض من الدولة الفارسية، ولكن لم يستطع خالد باشا الوقوف في وجهه، فمضى إلى زهاب، وثم إلى مندلي، وبعث إلى الوالي العثماني يشكي حاله لمساندته أمام قوات عبد الرحمن باشا ولكف شره عن السليمانية حيث إن تحركاته يمكن أن تكون مقدمة لعمل عسكري ضده^(٣).

فوجد الباشا نفسه مضطراً لمواجهة الوضع بأن يرسل قواته إلى السليمانية، وفي أثناء ذلك هرب سعيد ابن الوالي سليمان باشا من بغداد، والتجأ إلى المنتفق فتطلب ذلك منه إعادة توجيه تلك الحملة إلى المنتفق، وسعى إلى التهدة، وإنهاء حالة الحرب مع عبد الرحمن باشا الذي كان على مشارف سرجنار متأهباً لشن حملته غير أن الباشا أذعن لمطالب عبد الرحمن بعد الضغط عليه من الشاهزادة ونتيجة الظروف هرب سعيد بك للمنتفق؛ فضلاً عن بدء موسم الشتاء القارس، فكان لا يرى في حربه خياراً واقعياً للبناء عليه، فأثر أن يستجيب لمطلب عبد الرحمن

(١) قائق بك، تاريخ بغداد، ص ٥٢. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٤٣-٢٤٤. نورس، حكومة المماليك...، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٤٣-٢٤٤. نورس، حكومة المماليك...، ص ٢٢٠-٢٢١. الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٥٢-٢٥٤. زكي، تاريخ السليمانية...، ص ١٢٥.

(٣) العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٤٣-٢٤٤. كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٥٥-٢٥٧. زكي، تاريخ السليمانية...، ص ١٢٦. نورس، حكومة المماليك...، ص ٢٢١.

باشا بعيداً عن الحرب، وعينه على إمارة بابان، وكويسنجق، وحرير، وأما خالد باشا فأعطاه قضاء بندنجين - مندلي لاستمالته إليه وكسب رضاه أيضاً^(١).

إذاً، استمرت السياسة الفارسية بالحرص على محاولات إبقاء نفوذها في شمال العراق، ولاسيما مع إمارة بابان مستثمرة ميل أميرها عبد الرحمن بابان إليها بحكم قربها من الحدود مع الدولة الفارسية، وهو الأمر الذي عكسته الوثائق والمصادر من تثبيت عبد الرحمن باشا الباباني بمواقفه المتمردة ضد الوالي العثماني على الرغم من استيعابه، واحتوائه له حيث كانت تلك العوامل مشجعة للمضي في تحقيق طموحه؛ لذا استمر في توسعته على أطراف أربيل وكركوك. وبهذا الصدد يؤكد الكركوكلي: "بما أن عبد الرحمن باشا كان من أوائل الذين سعوا لتعيين عبد الله باشا والياً على بغداد، فإن هذه الدالة جعلته يعتقد بنفسه كأنه هو الوالي وركبه الغرور، ولم يعد يأبه لما يتلقاه من الوالي من أوامر وتعليمات، وراح يعمل كأنما هو الأمر الناهي، وسمح لأتباعه أن يفعلوا ما يشاؤون، فأخذوا يعتدون على القرويين في أطراف أربيل وكركوك ويسلبون ويقتلون، وتشجع رئيسهم فراح يحاول الهجوم على أربيل وضمها إلى الأراضي التابعة له"^(٢).

فاضطر الوالي إلى إزاحة عبد الرحمن الباباني، وتعيين خالد باشا متصرفاً على السليمانية وسليمان باشا متصرفاً على كويسنجق، وحرير كما عزم على تأديبه؛ لأنه خلّ بالأمن كما يشتهي مغتتماً فرصة تساهل الوالي العثماني معه، فقد سير الوالي العثماني حملة برئاسته باتجاه السليمانية عام ١٨١٢، والتقى الطرفان في مكان يدعى كفري، وانتهت المعركة بانكسار شوكة عبد الرحمن الباباني بعد انتصار قوات الوالي العثماني عليه وتكبده خسائر فادحة كان لها دورها في فراره من أيدي الجيش العثماني والتجائه للدولة الفارسية^(٣).

وأضحت الدولة الفارسية تتدخل في شؤون بابان بحيث طلبت من الوالي العثماني أن يعيد عبد الرحمن الباباني إلى منصبه، ولكن الوالي رفض مطالب الدولة الفارسية، فجهز حاكم

(١) زكي، تاريخ السليمانية...، ص ١٢٦-١٢٧، كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٥٧-٢٥٨، العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٤٤-٢٤٥. نورس، حكومة المماليك...، ص ٢٢١.

(٢) دوحة الوزراء...، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٣) محمد أمين زكي بك، خلاصة تاريخ الكرد وكرديستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، ترجمة: محمد علي عوني، ج ٢، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٣٩، ج ٢، ص ٢٣٢. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٤٥-٢٤٦. نورس، حكومة المماليك...، ص ٢٢١-٢٢٢. زكي، تاريخ السليمانية...، ص ١٢٧-١٢٩. نوار، داود باشا في بغداد، ص ٥١-٥٢. المدني، خمسة وخمسون عاماً...، ص ١١٥.

كرمنشاه الشاهزاده محمد ميرزا بأمر من فتح علي شاه^(١) جيشاً كبيراً لملاقاة الوالي العثماني حتى يذعن إلى رغباته حيث تقدم الجيش الفارسي باتجاه قزلباط وأخذ ينهب المدن والقرى في طريقه؛ فضلاً عن الاعتداء على السكان، وعندما علم الوالي بما آل به الحال أدرك ضرورة تجهيز جيش عسكري من أجل التصدي للقوات الفارسية، ولكن وجود سعيد بك لدى عشيرة المنتفق أشعره بقلق بأن يقوم بهجوم على بغداد وهو يحارب الفرس، وينقلب الوضع عليه فاضطر إلى القبول بالصلح والعفو عن عبد الرحمن باشا، وتعيينه على مقاطعات كوى، وحرير، وبابان، وعزل خالد باشا وسليمان باشا من منصبيهما، كما أنه دفع بعض التعويضات المالية التي طالب بها محمد علي ميرزا فعاد إلى دياره بعد إعادة عبد الرحمن باشا إلى إمارته، وتمكن بذلك عبد الرحمن باشا الحكم لمدة سنة واحدة بدون أي معارض وقلق له حتى وفاته ١٨١٣^(٢).

بينما قام الوالي بإعطاء كل من مقاطعة مندلي وخانقين وعلي آباد لخالد باشا، أما سليمان بك فعينه على شهربان وبلاد روزين بعد أن عبر لهما عن أسفه بسبب الظروف المريعة التي دعت به إلى إبعادهما عن ولايتهما^(٣).

كان من الطبيعي أن تنتقل إمارة بابان إلى أحد كبار الأعيان الكرد الساكنين في بغداد، بعد وفاة عبد الرحمن الباباني، ولكن كبار الكرد في كردستان قرروا أن يتم ترشيح محمود بن عبد الرحمن باشا بموافقة الدولة الفارسية، وعلى إثر ذلك قام والي بغداد سعيد باشا بإصدار أمر تعيين محمود بك أميراً على السليمانية وكوى وحرير عام ١٨١٣م؛ فضلاً عن إعطائه لقب الباشا مع الخلعة^(٤).

(١) يجدر الإشارة إلى أن فتح علي باشا كان مستاء من الدولة العثمانية؛ لأنها قامت بعقد معاهدة بوخارست مع روسيا، فاستثمر الفتنة التي أثارها عبد الرحمن الباباني لإثبات وجود الدولة الفارسية ونفوذها في المنطقة؛ فضلاً عن استغلال المشاكل الداخلية للدولة العثمانية لصالحها، ويكون ما يصيب الزوار حجة قوية لتدخل الدولة الفارسية زكي، تاريخ السليمانية...، ص ١٣٠. نوار، داود باشا...، ص ٥٩.

(٢) زكي بك، خلاصة تاريخ الكرد...، ج ٢، ص ٢٣٢. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٤٦-٢٤٧. نورس، حكومة المماليك...، ص ٢٢١-٢٢٢. زكي، تاريخ السليمانية...، ص ١٢٩-١٣٠ الكركوكلي، دوحه الوزراء...، ص ٢٥٦-٢٥٧. نوار، داود باشا في بغداد، ص ٥١-٥٢.

(٣) الكركوكلي، دوحه الوزراء...، ص ٢٥٨.

(٤) الكركوكلي، دوحه الوزراء...، ص ٢٦٠. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٥٣-٢٥٤. نورس، حكومة المماليك...، ص ٢٢٤. زكي، تاريخ السليمانية...، ص ١٣٤.

غير أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل ستصبح منطقة شهرزور حديقة خلفية للدولة الفارسية في عهد الأمير محمود بك كما كانت في عهد أبيه عبد الرحمن باشا؟ وهل ستمكن الدولة العثمانية من كسر شوكة الدولة الفارسية ووضع حدٍّ لتدخلاتها في منطقة شمال العراق؟

يمكن القول: إن محمود باشا الذي عين بأمر من الوالي العثماني سعيد باشا الذي قام الوالي بإصدار أمر بعزله بسبب فتنة عام ١٨١٥ ، وتم تعيين عبد الله بك الذي كان في بغداد على إثرها؛ لذا استنجد محمود بك بالدولة الفارسية التي أرسلت له جيشاً لمساندته وإعادته إلى حكمه^(١)، ولكنه في ولاية داود باشا لبغداد أعطاه عهداً بأن يقطع علاقته بالدولة الفارسية مقابل إعطائه كويسنجق وحرير، ومالبث أن حاول حاكم كرمنشاه بسياسة التهريب والترغيب استمالة محمود بك إليه حيث كانت سياسته تقتضي التدخل في شؤون الإمارة؛ لاستمرار نفوذها في منطقة شهرزور، فما كان من محمود بك إلا أن يستجيب لحاكم كرمنشاه خوفاً على نفسه^(٢).

أرسل الوالي داود باشا عناية الله آغا المهردار إلى محمود بك لإقناعه بأن يعدل عن قراره، ويبعد نفوذ الدولة الفارسية عن المنطقة إلا أن الأمير محمود بك لم يقبل بالنصح وظل على موقفه بخصوص الدولة الفارسية.

جنّ جنون الوالي داود باشا عند علم بأن الأمير محمود بك مصراً على موقفه فقرّر عزل محمود بك عن كوى، وحرير، وأصدر أمراً بتسيير حملة لملاقاة محمود بك عام ١٨١٨ بقيادة عناية الله كما أن أخاه حسن بك أمير قره طاغ كان قد أرسله محمود بك كرهينة لدى محمد علي ميرزا الشاهزادة في كرمنشاه إلا أن حسن باشا مع خمسمائة شخص التجأ إلى داود باشا^(٣) ضارباً عرض الحائط أمر محمود بك، فأكرمه داود باشا بأن عينه حاكماً على كوى وحرير مع رتبة الباشوية بعد أن استطاع عناية الله أخذها عنوة من محمود باشا.

وعلى إثر ذلك اتجه محمود باشا إلى الدولة الفارسية طالباً منها المدد العسكري حيث بعثت له ثلاثة جيوش لمساندته: الجيش الأول بقيادة محمد خان البياتي تعدادة حوالي عشرة آلاف جندي باتجاه كردستان، وأما الجيش الثاني بقيادة حسن خان الفيلي من لورستان باتجاه

(١) زكي، تاريخ السليمانية...، ص ١٣٥. نورس، حكومة المماليك...، ص ٢٢٤. الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٧٠. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٦٤-٢٦٥. نوار، داود باشا في بغداد، ص ٦٢.

(٢) الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٨٢. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٨٧. زكي، تاريخ السليمانية...، ص ١٣٨-١٣٩.

(٣) الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٨٣. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٨٧.

مندلي، والجيش الثالث بقياده علي خان كلهر تعداده حوالي أربعة آلاف جندي باتجاه بدره وجصان^(١).

فما كان من الوالي داود باشا إلا أن يجهز جيوشه لصد الهجوم الفارسي على العراق حيث وجه قواته العسكرية بقيادة كتحذا البوابين إلى مندلي، وكما أرسل عبد الفتاح باشا على رأس قوة عسكرية باتجاه بدره وجصان وأما كتحذاه محمد آغا، فأرسله على رأس قوى أخرى باتجاه كركوك ليمنع الاتصال بين القوات الفارسية والأمير الباباني محمود باشا^(٢).

بينما كان داود يعد الخطط لمواجهة التهديدات الأمنية القائمة والمحتملة ضد الدولة الفارسية إلا أن الوقائع على الأرض شكلت خطراً كبيراً، وذلك أن صادق بك فر إلى شيخ زبيد متمرداً على الوالي العثماني طمعاً للوصول إلى الحكم.

فغير الوالي من طبيعة الخطة بأن أرسل الحملة المعدة لكركوك إلى تلك العشائر المتمردة، وأرسل بدل هذه الحملة حملة أخرى بقيادة عبد الله اشتركت فيها القوات التي كان تحت إدارة محمد باشا آل خالد، وقوات أخرى متفرقة كحامية كويسنجق وعشائر الديزه بي والشمامك.

وبناء على هذه الخطط التي وضعها داود باشا اتجه الشاهزادة محمد علي حاكم كرمنشاه نحو العراق على رأس جيش كبير، فبادر داود باشا مسؤولية مواجهة ذلك الجيش بنفسه بعد أن قرر إعادة الكتحذا محمد آغا الذي طلب منه محاربة العشائر من أجل مساندته في مواجهة القوات القادمة من كرمنشاه، وبعث إلى تلك العشائر المتمردة أحد شيوخ ينافسه على الحكم، ويكون له العداء، وهما: علي خان البندر وشيب الدرويش، فاستطاع بذلك تشتيت شمل صادق بك وفراره إلى الأهوار^(٣).

أما القوات العثمانية التي تمكّن الوالي العثماني داود باشا من حشدتها بقيادة عبد الله باشا الباباني وعناية الله آغا مع بعض القوات العشائرية لصد القوات البابانية والفارسية عند الزحف نحو كركوك أشعرتهم برعب كبير، وفي تلك الفترة فإن القوات العثمانية التي أرسلت إلى منطقة بدره وجصان ومندلي استطاعت التصدي للقوات الفارسية؛ فضلاً عن القوات التي أرسلها حاكم كرمنشاه وواجهها داود باشا عند منطقة باي طاق^(٤).

(١) الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٨٤. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٨٧-٢٨٨ نوار، داود باشا في بغداد، ص ١٦٦. الورد، لمحات اجتماعية...، ج ١، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٢) العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٨٨. نورس، حكومة المماليك...، ص ٢٢٧.

(٣) الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٨٤-٢٨٥. الورد، لمحات اجتماعية...، ج ١، ص ٢٣٥.

(٤) العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٩٠-٢٩١. نورس، حكومة المماليك...، ص ٢٢٨. الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٨٥. نوار، داود باشا في بغداد، ص ١٦٧.

وفي خضم الأحداث توصل كل من الطرفين إلى أهمية الحل السلمي وتحديد الصلح ما من شك في أن طلب الصلح بين الطرفين له أسبابه ودوافعه. وهنا يدفعنا التساؤل إلى ما الدوافع التي أدت إلى الموافقة على الصلح بين الطرفين؟

بالنسبة للدولة الفارسية كان الشاه يرى أنه من الضروري عدم إعلان حرب شاملة تؤدي إلى تأزم العلاقات بين الطرفين، ولا سيما أن حربه مع روسيا أنهكت قواه، فأراد أن يقوم بتجميع القوى الإسلامية للوقوف بوجهها، فكان من مصلحته طلب الصلح من الدولة العثمانية، وعدم متابعة ما بدأه حاكم كرمنشاه بالهجوم على العراق. وبهذا الصدد يؤكد الكاتب نوار ذلك بقوله: "بينما كانت العلاقات الفارسية العثمانية لا تدعو لإعلان حرب في تلك الفترة، بل كانت الدولة الفارسية قد بعثت إلى السلطان وإلى محمد علي والي مصر بفيلين وسفراء لتكتيل القوى الإسلامية ضد العدو المشتركة روسيا التي أخذت تحتك بالدولة الفارسية"^(١).

أما بالنسبة للوالي العثماني، فكان يرى أيضاً أن من مصلحته توقيع الصلح مع الدولة الفارسية؛ لأن القوات العشائرية قد أنهكت؛ فضلاً عن ذلك أنه طلب مدداً من الدولة العثمانية لنجدته في دفع الخطر الفارسي عن العراق الذي لبى ما أراده، ولكنه خشى من تلك القوات أن تقوم بإزاحته عن منصبه كما فعلت أيام الوالي عمر باشا عندما طلب النجدة لمساندته ضد الشاه الفارسي كريم خان الزند^(٢).

وكل تلك الأسباب مجتمعة جعلت الطرفين يقومون بالصلح حتى أن الوالي العثماني داود باشا أرسل إلى الدولة العثمانية كتاباً بأنه لم يعد يريد تلك القوة لمساندته؛ لأنه سوف يوقف الحرب على إثر الصلح والدخول في المفاوضات ومن أهم ما جاء بذلك الصلح:

١- أن يعين محمود باشا حاكماً على السليمانية وكوى وحرير على أن يمثل لأوامر الوالي العثماني.

٢- إصدار العفو والسماح للذين التجأوا إلى الدولة الفارسية أن يعودوا إلى مناطقهم ومناصبهم وهم عبد العزيز آل فتاح باشا الذي عين على درنة وباجلان وسليمان باشا آل ابراهيم باشا وعين على زنكباد.

٣- إجلاء القوات الفارسية عن مندلي وبدره وجصان^(٣).

وهكذا نجد أن المفاوضات التي عقدت بين الطرفين قد نجحت لحد معين في إيقاف الحرب بينهما، ولكن هل ستتج تلك المفاوضات والصلح لوضع حد لتدخلات الدولة الفارسية

(١) داود باشا في بغداد، ص ١٦٩.

(٢) نورس، حكومة المماليك...، ص ٢٢٩.

(٣) العزاوي، موسوعة تاريخ العراق، ج ٦، ص ٢٩١-٢٩٢. نورس، حكومة المماليك...، ص ٢٢٩.

في منطقة شهرزور، أم أنها تريد ابتلاع شهرزور، وتقطع أوصال الأراضي العراقية للسيطرة عليها؟ وهذا ما سوف نجيب عنه في الفصل الثالث.



أولاً- انفراج العلاقات بين الدولتين العثمانية والفارسية بعقد معاهدة أرضروم الأولى ١٨٢٣.

١- الظروف التي أدت إلى عقد معاهدة أرضروم بين الدولتين العثمانية- الفارسية.

٢- أهم النتائج التي أسفرت عن عقد معاهدة أرضروم الأولى.

ثانياً - التدخل الأوروبي في الواقع العثماني - الفارسي وتداعياته على العراق ١٨١٩ - ١٨٣١.

ثالثاً- سقوط دولة المماليك وأثرها على العلاقات الفارسية- العثمانية.

رابعاً- عودة الحكم العثماني المباشر للعراق والتدخلات الأوروبية في المنطقة.

أولاً - انفراج العلاقات بين الدولتين العثمانية والفارسية بعقد معاهدة أرضروم الأولى ١٨٢٣:

اتسمت العلاقات العثمانية - الفارسية خلال السنوات الماضية بحالة من التصعيد؛ لمحاولة كلا البلدين التدخل في شؤون العراق، وقد برزت الحاجة لإقامة الصلح بينهما، لضرورات تطلبتها مصالح البلدين؛ منها الوضع الدولي، ومحاولة الدول الكبرى تحقيق المطامع الاستعمارية في المنطقة؛ فضلاً عن تردي الوضع الداخلي لكلا البلدين، والآن سنرى ما المقدمات والظروف التي أدت عقد معاهدة أرضروم الأولى، وما آثارها على العراق؟

١ - الأسباب التي أدت إلى عقد معاهدة أرضروم الأولى بين الدولتين العثمانية والفارسية:

لقد أفرزت المتغيرات التي أصابت العلاقات بين الدولتين العثمانية والفارسية واقعاً جديداً من العلاقات بعضها ارتكز على الحالة العسكرية، وبعضها الآخر على الصلح والتسويات، ولكن الخاسر الوحيد في تلك التسويات العراق؛ لكونها تشمل في مجملها على إخضاع العراق برمته لأحد النفوذتين، واستغلال ذلك لمطامعهم الشخصية.

حاولت الدولة الفارسية أن ترسم لنفسها الوجه الحسن والإنساني أمام سكان القرى الحدودية لتخفيف حدة العداء معها، وتنمية العلاقات الطيبة مع سكانها، وإقناعهم بحسن نيتها، وإلقاء اللوم على الدولة العثمانية؛ لأجل كسبهم إلى جانبها من خلال استغلال وضعهم المتمثل في نزاعهم مع الوالي العثماني، وتأجيج النزاع بين أمراء الأسرة الواحدة بحجة دعمهم ومساعدتهم ضد بعضهم، و إيواء الهاربين من الدولة العثمانية على الرغم من الصلح الذي تم عقده عام ١٨١٩ إلا أنها لم تلتزم بما جاء فيه؛ لأن ولي عهد الشاه محمد ميرزا حاكم كرمنشاه استقبل عبد الله باشا الباباني الذي استنجد بالدولة الفارسية طمعاً بجعله حاكماً على السليمانية؛ فضلاً

عن ذلك قيام الخزندار^(١) يحيى آغا^(٢) السابق بالتعامل مع الدولة الفارسية كعميل لها حيث أفشى أسراراً خطيرة عن العراق، وحرص الدولة الفارسية على الهجوم نحو العراق.

على ما يبدو أن النقاب انكشف عن وجه يحيى آغا الذي طالما كان بموقع خطير؛ لذلك جاءت ردة فعل الوالي العثماني قاسية وحاسمة خصوصاً بعد رؤية الوالي العثماني داود باشا للمكاتبات المختومة باسم الخزندار يحيى آغا مع حاكم كرمنشاه حيث قبض عليه، ثم قام بإعدامه عقوبة على جريمته؛ كونه خائناً تعامل مع دولة معادية^(٣).

ومن جانب آخر قام الوالي العثماني بتحريك القوات العسكرية نحو الدولة الفارسية والتنسيق مع قوات أخرى لإرسالها إلى أربيل وتقدر بحوالي ألفي جندي.

أمام هذا الحدث الخطير تجاهل الشاهزادة محمد علي ميرزا تلك الحشود، وواصل جهوده الرامية إلى احتواء أنشطة جيش الوالي العثماني في منطقة انتشاره، وذلك بإعلانه الولاء والصداقة، وتمسكه بالعلاقات السلمية بين البلدين، وبعث الهدايا، والتحف كما بادله الوالي العثماني بهدايا، وأعلن أن ذلك الجيش بقصد الاستجمام والصيد وشكره على حسن الاستقبال والهدايا^(٤).

يتضح لنا أن الشاهزادة حاول سحب البساط من تحت أقدام الدولة العثمانية من خلال تصفية الوجود العثماني في العراق، وجعل التواجد الفارسي في العراق أمراً واقعاً عن طريق عملاء له؛ لغرض التدخل، وإذكاء الصراعات من أجل تحقيق أطماعها في المنطقة.

(١) الخزندار: أمين الخزانة أو أمين الصندوق، وكان يطلق في الغالب على القائم بالحفاظ على أموال كبار رجال الدولة، فهو بمثابة مدير المالية العام في عصرنا الحالي.. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، ٢٠٠٠، ص ٩٨. فائق، تاريخ بغداد...، ص ٧٣. محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان ١١٨-١١٧ كانون الثاني حزيران عام ٢٠١٢، ص ٢٧٣.

(٢) الخزندار يحيى آغا عمل بخدمة الوالي سليمان بك حيث سلمه خزندار لمكانته وارتقاء منزلته، وظل في منصبه إلى أن قام والي بغداد داود باشا بعزله؛ بسبب الإشاعات التي سمعها الوالي بقيامه بإفشاء أسرار الدولة= فخشي من ذلك، لذا عين طالب آغا بدلاً عنه؛ مما أثار انزعاجه، وصب جام غضبه على داود باشا حتى أنه لم يهتم بالهبات التي قدمها الوالي داود باشا له، وحاول أن يستعين بحالت أفندي مبعوث الدولة العثمانية، ولكنه لم يحرك ساكناً لإعادته إلى منصبه، فقرر أن يتراسل مع حاكم كرمنشاه محمد ميرزا علّه يستعيد منصبه، فأخذ يفشي أسرار الدولة إلى أن اكتشف داود باشا أمره بالجزم المشهود فقبض عليه عندما وجد الرسائل المختومة بختمه، فأخذه إلى الكتخدا ثم اعترف بما اتهم فيه، وأعدم جراء ذلك. فائق، تاريخ بغداد...، ص ٧٣-٧٤.

(٣) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٩٤-٢٩٦. فائق، تاريخ بغداد...، ص ٧٣-٧٤. نورس، حكم المماليك...، ص ٢٣٠-٢٣١.

(٤) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٩٥. المدني، خمسة وخمسون عاماً...، ص ١٤٠-١٤١.

هدد محمد ميرزا باجتياح العراق، وأدى ذلك إلى تأزم العلاقات بين الطرفين، وذلك على إثر حادثة تعود أسبابها إلى قيام عشيرتين رحالتين^(١) تذرعت الدولة الفارسية بتبعيتهما ورعايتهما لها حيث قامتا بالتنقل والترحال إلى أرضروم بموافقة واليهما، ولكن ذلك أثار حفيظة الدولة الفارسية؛ لأن تلك الولاية تابعة للدولة العثمانية، فاحتج محمد ميرزا وطالب بإعادتهما للدولة الفارسية^(٢)؛ فضلاً عن ذلك احتجاجه على الإساءة التي يتلقاها زوار العتبات المقدسة، فأعلن الحرب على الدولة العثمانية بعد حصوله على الضوء الأخضر من القيصرية الروسية التي حاولت استدراجه عن طريق مبعوثها في الدولة الفارسية مازاروفتش من أجل ضرب القوتين مع بعضهما^(٣).

بذلت الدولة العثمانية جهوداً كبيرة من أجل تجهيز القوى الكافية للوقوف بوجه الدولة الفارسية في العراق؛ لأنها وجدت نفسها في مأزق كبير بسبب انشغالها بالثورة اليونانية ١٨٢١^(٤) وعصيان عبد الله باشا والي عكا^(٥) في الوقت نفسه، رأى القنصل الإنكليزي في بغداد كلاوديوس جيمس ريج (Claudius James Reg) أن من مصلحة بلاده ومصلحته احتلال فارس للعراق، فعلى سبيل المثال طلب الشاه زادة محمد علي ميرزا من خلال اتصالاته مع ريج (Reg) أن تمده إنكلترا بالأسلحة، وأن ترسل إليه الضباط لتدريب جيشه، فعرض ريج (Reg) الأمر على حكومته التي طلبت منه أن يترك شؤون فارس إلى الوزير الإنكليزي المعين في فارس^(٦). وبهذا نجد أن سياسة القنصل الإنكليزي ريج (Reg) تختلف عن سياسة إنكلترا التي تعد ضم فارس للعراق خطراً على موازين القوى في المنطقة.

(١) تذكر المصادر أن خمسمائة عائلة من عشيرة حيدر انلوا الكردية في الدولة الفارسية وهي في الأصل كانت بطنا من عشيرة شقاقى شكاكى المقيمة بأطراف ميافارقين بولاية ديار بكر ثم هاجرت إلى موش وملاندكرد وأخذت ترتاد الحدود الفارسية وتسرح فيها في شهور الصيف حسب عادة العشائر تقع على مشافة ١٢ ساعة في جنوب وان نفس قضاء حكارى بولاية وان، أما مصادر أخرى تقول إن الأحداث حدثت من جراء عشيرة خضر انلو وسبيكان، زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان....، ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٢) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٩٣. أداموف، ولاية البصرة، ج ٢، ص ٢١١.

(٣) نوار، تاريخ العراق...، ص ٢٦.

(٤) لقد تشكلت هذه الثورة ضد الدولة العثمانية حيث قام بها مجموعة من الجمعيات الوطنية في اليونان التي أكدت فكرة القومية. ومن أهم مراكز هذه الجمعيات روسيا والنمسا. وأما أشهر هذه الجمعيات هييتيريا التي تعرف بأنها جمعية أخوية، وبقيت سرية لعام ١٨٢١. ومن أشهر رؤسائها كابوديسيريا وإبسلانتي. فريد بك المحامي، البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، المطبعة الأميرية، بولاق، ط ١، سنة ١٣٠٨ هـ، ص ٧١.

(٥) نوار، داود باشا...، ص ١٧١.

(٦) عبد الله، تاريخ العراق...، ص ٢٠٤.

وعلى ضوء تلك التطورات أخذ الوالي العثماني يستعد لمواجهة الخطر الفارسي من خلال إعداد الجيش بكميات من العتاد والذخائر والمدافع منها خمسة عشر من المدافع سريعة الطلقات وخمسمائة جمل محملة بالعتاد^(١).

وفي غضون التحضيرات التي أعدها الوالي داود باشا بدأت القوات الفارسية تتوافد إلى الحدود، كما أن أمراء كردستان محمد باشا آل خالد باشا وسليمان باشا آل إبراهيم باشا وعبد الله باشا الذين هربوا إلى الدولة الفارسية، واستجاروا بالشاهزادة الميرزا محمد علي هجموا على خانقين وعلي آباد وقاموا باحتلالهما، كما أغاروا على القرى المجاورة ثم هربوا إلى الدولة الفارسية^(٢).

وعلى خلفية تلك الاعتداءات من الجانب الفارسي، طلب الوالي العثماني داود باشا من الباب العالي المساعدة لنجدته من التهديدات الفارسية، ولاسيما بعد أن وصلته أنباء الجيش الفارسي الذي أنهى تحشيداته وبدأ بالتوغل في المناطق الشمالية من كردستان^(٣).

وحين علم السلطان العثماني بذلك أعلن الحرب على الدولة الفارسية عام ١٨٢٠ وأصدر تعليماته بإرسال النجدة إلى الوالي العثماني داود باشا في العراق. ومن جانب آخر قام الوالي بتجهيز حوالي خمسة آلاف من الجثة^(٤)، وأمر القوات التي أعدها لمحاربة بني لام بقيادة عبد الفتاح آغا أن تستعد لمجابهة القوات الفارسية على الحدود معها بينما الشاهزادة أصدر أمراً بتعيين عبد الله بدلاً من محمود بك حاكماً على السليمانية لعدم رضوخه لأوامر الشاهزادة بأن يدفع ما عليه للدولة الفارسية مبلغاً قُدِّر بحوالي ثلاثين ألف تومان^(٥).

ومن الجدير بالذكر قامت الدولة العثمانية بتأمين الاحتياجات الضرورية والإمدادات العسكرية لوالي بغداد؛ رداً على الاعتداءات الفارسية، وعلى إثر ذلك أرسل والي بغداد قسماً منها بلغ حوالي ألفاً وخمسمائة جندي إلى زنكباد، وأضاف إليها قوات مجهزة بثلاثين مدفعاً تحت قيادة الكتخدا محمد الذي خرج من بغداد وعسكر في مكان يدعى شيروانة^(٦) بقي فيها أربعين

(١) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٩٣. نوار، داود باشا...، ص ١٧١.

(٢) كركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٩٦.

(٣) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٤) الجثة بالجيم المثلثة التركية بمعنى الميليشيا الذين يسمونهم بالشبانة أو الليفي. وهم طائفة من الجنود الأهليين المتطوعين للقيام بأعمال شبه عسكرية بدلاً من الجنود النظاميين، فائق، تاريخ بغداد...، ص ٧٥.

(٥) نورس، حكم المماليك...، ص ٢٣٣. سليمان فائق، تاريخ المماليك...، ص ٧٥-٧٦. عبد الله، تاريخ العراق...، ص ٣٧٩-٣٨٠.

(٦) شيروانة: قلعة واقعة على دبالى معروفة بهذا الاسم، والآن ناحية من نواحي كفرى. نورس، حكم المماليك...، ص ٢٣٣.

يوماً، ثم اجتاز كركوك قاصداً المضيق دربند، وثم اتجه الكتخدا محمد باتجاه السليمانية لصدد جيش عبد الله باشا الذي أمده الشاهزادة بخمسة آلاف جندي فارسي لاحتلال السليمانية. وفي خضم الأحداث استتجد محمود باشا بالكتخدا من أجل معاونته عندما وصل بعد عيد الفطر إلى بازيان كان جيش عبد الله باشا قد بلغ سهل السليمانية بعد عبوره نهر الديالى^(١)، ووصل لمنطقة تدعى خواجايي وهو من ملحقات كلعنبر حلبجة الواقعة في أقاصي حدود شهرزور، وكان كيخسرو بك رئيس عشيرة الجاف قد نقض العهد مع محمود باشا، وساند عبد الله باشا في حربه؛ إذ نتج عن الخلافات الحادة بين الإمارات الكردية حالة من العجز والانقسام فقد عرف عن عشيرة الجاف الصلابة والقوة، ولكنها تخلت عن عهودها لصالح عبد الله الباباني والجيش الفارسي إذ أقدم جيش الكتخدا بالاتجاه إلى قرية باريكة على حدود السليمانية، وشكلت مع قوات محمود باشا الباباني تعاوناً، وهكذا تلقت قوات محمود الباباني الدعم المباشر من قوات الكتخدا الذي قدم لها كافة الدعم العسكري في حربه ضد قوات عبد الله باشا والجيش الفارسي الذي بدأ يتطلع إلى السيطرة على العراق^(٢).

وعلى إثر هذا التنسيق بين الطرفين توجه عبد الله باشا إلى مراسلة الشاهزادة للتنسيق معه حول المساندة مرة أخرى بعد أن عجز أمام القوات العثمانية والبابانية عن الهجوم على السليمانية، وفي الواقع أن الأمير الشاهزادة اتجه بنفسه على رأس ألف نسمة فمر بزهاو في طريقه إلى زنكباد .

ومن الملفت للنظر أن مجيء الشاهزادة إلى العراق لتولي قيادة الجيش والتنسيق مع عبد الله باشا؛ كان الغرض منه القيام بعمليات عسكرية داخل الأراضي العراقية، وإدخال الرعب في نفوس القوات العثمانية، فما كان من الوالي العثماني داود باشا إلا أن يرسل ابنه أحمد باشا للوقوف بوجه الجيش الفارسي ودعم الكتخدا للصمود أمام تلك القوات^(٣) إلا أن الكارثة قد حلت بجيش الكتخدا ومحمود باشا فقد فشا فيهما المرض؛ بسبب تلوث المناخ حيث كان يتوفى ما بين خمسة عشر والعشرين جندياً كل يوم^(٤)؛ مما أصاب الجيش الهلع والتراخي في القتال، وأسفر

(١) نهر ديالى من الروافد المهمة لنهر دجلة، ويبلغ طوله حوالي ٣٦٨ كم من منبعه حتى مصبه جنوب بغداد بحوالي ٣١ كيلومتراً، وتغذيه منطقة كبيرة تبلغ حوالي ٣٢٦٠٠ كيلو متراً مربعاً يقع منها في الدولة الفارسية حوالي ٥٦،٤ %، وما تبقى يقع داخل العراق ضمن السليمانية، وديالى، وكركوك، وتقع المنطقة الجنوبية قرب مصبه في بغداد فلاح شاكر أسود، الحدود العراقية - الإيرانية دراسة في المشاكل القائمة بين البلدين، ص ٣٦. (٢) الكركوكلي، دوحة الوزراء....، ص ٢٩٦-٢٩٧. لونكريك، أربعة قرون....، ص ٢٩٣-٢٩٤. المدني، خمسة وخمسون عاماً....، ص ١٤٢-١٤٣.

(٣) المدني، خمسة وخمسون عاماً....، ص ١٤٣.

(٤) كركوكلي، دوحة الوزراء....، ص ٢٩٧-٢٩٨.

ذلك عن هجوم عبد الله باشا، وقيام الكتخذا بمواجهته رغم اعتراض قواته؛ لتجنب الخسارة إلا أن إصرار الكتخدا على مواجهة عبد الله، وانتهت المعركة بهزيمة الجيش العثماني والقوات التابعة لمحمود بابان، ثم هرب الكتخدا نحو مدينة كركوك مع فلول جنوده؛ وبالتالي لجأ إلى قوات الشاهزادة محمد علي ميرزا^(١).

وهنا سؤال يطرح نفسه : ما الأسباب التي أدت إلى خسارة قوات داود باشا أمام الجيش الفارسي ؟ للإجابة عن ذلك السؤال: لابد من تتبع تفاصيل المعركة، فقد هزمت قوات داود باشا نتيجة إصرار الكتخدا على خوض المعركة رغم مرض جنوده بسبب تلوث المناخ فلم يستطع الصمود أمام الجيوش الجرارة، ولقد عللتها بعض المصادر إلى خيانة الكتخدا وتآمره مع الجيش الفارسي وحلفائه من جنود بابان وبهذا الصدد تحدث الكركوكلي: " ثم اتضح أخيراً أن القائد وهو محمد كتخدا كان على اتصال مع عبد الله باشا، وكان يرأسه سراً ويعلمه بكل شيء، وظهر ذلك عندما عرض جنوده لهجمات العدو فاندحروا أمامه بسبب ما يعانون من أمراض"^(٢).

بينما يرجع فائق سليمان في كتابه تاريخ بغداد هزيمة الجيشين إلى ضعف الكتخدا وقوة الشاهزادة؛ فضلاً عن الأمراض التي تعرض إليها الجنود. وبهذا الصدد قال: " أن الكتخدا الموماً إليه كان على جانب كبير من الغباوة والبلاهة، والثاني أن الشاهزادة كان لديه حوالي خمسة آلاف جندي من الذين تدربوا على الفنون العسكرية تدريباً عالياً، عدا بقية الجنود الآخرين، أما جنودنا فيتكونون من حوالي الألف محارب من أتباع محمود باشا، فإذا أضفناهم إلى القوات التي أرسلها الوالي يكون المجموع عشرة آلاف مقاتل على وجه التقريب، بينما كانت تحت قيادة الشاهزادة ما يقرب من الثلاثة عشر ألف جندي من المشاه فقط كلهم مدربون تدريباً عسرياً ومجهزون بالمدافع الحديثة، أما الخيالة فقد أعدوا إعداداً فنياً... والحاصل فإن هذه الحرب التي وقعت بين قوتين غير متكافئتين"^(٣).

وبعد هزيمة قوات داود باشا تقدمت قوات الشاهزادة نحو كركوك حاول الاستيلاء عليها إلا أن سكانها وأهلها دافعوا عنها باستماتة إلى أن قرر الشاهزادة ترك مدينة كركوك والاتجاه إلى بغداد، وعلى إثر ذلك ارتحل الشاهزادة إلى دلي عباس وعسكر فيها من أجل احتلال بغداد^(٤)، بينما أقدم الوالي داود باشا على تجهيز ماتبقى له من قوات واتخاذ موقع الدفاع ووفر المؤن

(١) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٢) الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٩٧.

(٣) ص ٨٣-٨٥.

(٤) الكركوكلي، دوحة الوزراء...، ص ٢٩٩.

والذخائر من خزينته الممتلئة بالأموال، وكتب إلى الباب العالي يحثه على أن يمدّه بالجيوش اللازمة للتصدي لجيش الشاهزادة وحلفائه على جناح السرعة.

وانطلاقاً من تصدع العلاقات بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية كان من المفروض على الدولة العثمانية أن تساند داود باشا في توجيه ضربات قاسية للدولة الفارسية، ولكنها لم تلبّ مطالب داود باشا؛ لكونها منهارة، وفي حال يرثى له، وهذا ما دفع الوالي داود باشا إلى الاعتماد على نفسه في خوض تلك المعركة؛ إذ تقدمت القوات الفارسية إلى هبهب التي تبعد عن بغداد حوالي الستة عشر كيلو متراً^(١).

ومن جهة أخرى جرى نزوح من قبل أهالي بغداد إلى الحلة والفلوجة وكربلاء. وعلى الرغم من اضطراب أحوال البلاد إلا أن الأسعار في الأسواق لم تتأثر كثيراً؛ لكثرة المخزون من الأطعمة والمؤن، وبدأت العشائر تمدّ قوات الوالي داود باشا بالمدد والمساندة لمواجهة العدو والإغارة عليه، فاستطاعت تكبيده خسائر فادحة، وقد عسكرت القوات التي يتولى قيادتها محمد الكتخدا في مكان يقع بين هبهب وخان جبق، وراحت تقوم بعلميات الإغارة والسلب، فأغارت على عرب الخالص، ونهبت أربعين ألف رأس غنم، كما تعرضت القوات الفارسية إلى هجوم من قبل عشائر شمر الجريا برئاسة شيخهم صفوق الفارس^(٢)، وأوقعت بهم خسائر فادحة في الأرواح والذخائر، وقد مُني الجيش الفارسي بداء الهیضة^(٣) الذي فتك به الفتك الذريع وهو على أطراف بعقوبة، ولكن وضع في خان بني سعد قوة استطلاعية، ثم شرعت قواته تنتشر للبحث عن ذخائر الجيش في تلك الأصقاع، أما جيش بغداد فقد كان إزاء هذا الوضع متفرجاً لم يميز

(١) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٢) صفوق الجريا: هو صفوق بن فارس الحميدي الجريا تولّى مشيخة قبيلة شمر سنة ١٨١٨، وعاصر عهد المماليك وفترة الحكم المباشر لبغداد، واشتهر بقوته واتساع سلطته حتى حصل على لقب سلطان البر، وعندما علم بأن الدولة العثمانية أرادت تسليم ابن أخيه قام بمحاصرة بغداد بقواته عام ١٨٣٣ إلى أن فك الحصار مقابل إرضائه، واستمرت علاقاته مع الدولة العثمانية بين مدّ وجزر إلى أن تم اغتياله عام ١٨٤٧ حيث قام جندي عثماني بإطلاق النار على ظهره وقطع رأسه، وتم إرساله إلى الوالي نجيب باشا. جون فريدريك ويلمسون، قبيلة شمر العربية مكانتها وتاريخها السياسي ١٨٠٨-١٩٥٨، ترجمة: مير بصري، دار الحكمة، لندن، ص ٧٥-١٠٩.

(٣) الهیضة: تنتشأ من بكتريا من النوع الواوي تعيش في الماء وتوجد عادة في الأمعاء البشرية عند ابتلاع ماء يحتوي على مادة برازية بشرية ملوثة بالهیضة (الكوليرا)، أو أي طعام يكون الذباب قد حط على براز آدمي مصاب بالعدوى، ومن أعراضه؛ قيء مصحوب بإسهال دون ضابط ليراز يشبه ماء الأرز، والذي يصفى الجسم من السوائل ويتركه جافاً. وعندما يصل إلى مرحلة حرجة تهز التشنجات كل عضلة في الجسم، بما يجعل الضحايا يصرخون من الألم. شلدون واتس، الأوبئة والتاريخ المرض والقوة والإمبريالية، ترجمة وتقديم: أحمد محمود عبد الجواد، مراجعة: عماد صبحي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠، ص ٣٩٨-٤٠٨.

وقت حتى أخذ الشاهزادة يراسل داود باشا بشأن عقد الصلح، وأخيراً تقرر ذلك على أن يعين عبد الله باشا حاكماً على الإمارة البابانية ومحمد باشا بن خالد باشا حاكماً على كويسنجق وحرير وعلى شروط أخرى، فانسحب الجيش الفارسي إلى كرمنشاه، فقضى الشاهزادة محمد علي ميرزا نحبه في كركند عام ١٨٢١^(١).

في ظل التطورات السياسية السابقة على الساحة العسكرية برز حدث مهم على مستوى الجيش الفارسي تمثل بوفاة حاكم كرمنشاه؛ متأثراً بمرض الهیضة عام ١٨٢١ أمام هذا الحدث الخطير تم اختيار ابنه ليكون حاكماً لكرمنشاه الذي سار على خطى أبيه في طموحه للاستيلاء على بغداد في الوقت الذي كان القتال مستمراً في كردستان الشمالية وأرضروم من قبل عباس ميرزا فطلب الباب العالي من والي ديار بكر والموصل وبغداد بالتحرك لمواجهة القوات الفارسية، وأصدر السلطان العثماني أمراً بالقبض على محمد كتخدا، وإعدامه على خيانتته كما أن الدولة العثمانية طلبت من والي محمد علي باشا أن ينفذ مهمة إنقاذ بغداد المحاصرة، فكتب إلى ابنه إبراهيم باشا الذي سيطر على السوادان بقوله: " إن عباس ميرزا قد نقض العهد وأعلن الحرب... إنه قد نفخ بوق الحرب ضد العجم... غير أنه لما كان أمر تأدية الخدمات وتشويه هذه المصالح متوقفاً على وجود العساكر الوفيرة فلأن همتك وإن أعز مأمولى لتتفضلوا بالمبادرة وتوجيه العناية إلى تحريك ابننا إسماعيل باشا و...الدفتردار...للقيام بغزوات طيبة نافعة لكي ترسلوا هؤلاء السودانيين في هذه الأيام إلى الوجه المطلوب"^(٢).

والسؤال هنا: هل نفذ والي محمد علي باشا المهمة التي طلبها السلطان العثماني لإنقاذ العراق من الدولة الفارسية؟

في الحقيقة أن والي علي باشا استطاع التهرب من تلك المهمة؛ لأنه أدرك رغبة السلطان العثماني الخفية بالقضاء عليه، وإنهاء وجوده بتلك الحرب، وبذلك اكتفى والي بإجراء التحفظ بالرعايا الفرس في ولاية مصر^(٣).

(١) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٩٥. النجار، العلاقات العثمانية الإيرانية...، ص ٣٧-٣٨. زكي، تاريخ السليمانية...، ص ١٤٦-١٤٧.

(٢) مجموعة باحثين، العلاقات العربية الإيرانية، معهد البحوث والدراسات العربية، بيروت، ١٩٩٣، ص ٦٥-٦٧.

(٣) عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٧٩. مجموعة باحثين، العلاقات العربية...، ص ٦٧. عبد الرحمن الرفيعي، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، ج ٤، د.م، د.ت، ج ٤، ص ٧٦.

وبناء على ما تقدم أعد الوالي داود باشا قوات تقدر بحوالي عشرة آلاف مقاتل بقيادة الكهية الحاج طالب^(١)، باتجاه الحدود الشمالية نحو خراسان، ولما سمع الفرس بذلك جهزوا جيشاً كبيراً بلغ حوالي أربعين ألف مقاتل بقيادة حاكم كرمنشاه محمد حسين ميرزا الذي أجبر الكتخدا وقواته على الانسحاب من قزلباط، بينما أكملت القوات الفارسية تقدمها^(٢) ولكن العشائر القاطنة في تلك الأنحاء أخذت تشن غاراتها على تلك القوات الفارسية، وأحرقت كامل المحاصيل التي في طريقها، ثم بدأ وباء الكوليرا يتسلل بين الجنود؛ مما أجبرهم على العودة إلى بلادهم دون تحقيق طموحهم في الاستيلاء على بغداد^(٣).

وهكذا نجد أن محمود باشا لم يستسلم لرياح اليأس وارتشاف الهزيمة؛ بل أخذ ينتظر الفرصة المواتية لدحر عبد الله باشا من السليمانية بمعاونة داود باشا، وفعلاً استطاع محمود باشا من هزيمة عبد الله باشا وإخراجه من السليمانية متقهقراً نحو الدولة الفارسية خصوصاً بعد تفشي المرض بالقوات الفارسية واندحارهم إلى بلادهم، ولكنه عاد عبد الله باشا إلى السليمانية بمساندة قوة فارسية بعد انتشار مرض الكوليرا في كردستان، فاضطر محمود باشا إلى الانسحاب نحو كركوك، وهكذا عاد عبد الله باشا حاكماً على السليمانية مرة أخرى^(٤).

وفي الحقيقة نجد أن الاضطرابات والفوضى التي أصابت مدينة السليمانية؛ بسبب تنازع أمرائها على الحكم أدى إلى حصول ضائقة اقتصادية، وتدهور كبير في جميع مناحي الحياة، ولكن في عام ١٨٢٣ حصل اتفاق بين الدولة العثمانية والفارسية على تعيين محمود باشا أميراً على السليمانية، بينما يعين عبد الله باشا أميراً على كويسنجق^(٥).

وعلى الجبهة الشمالية وأرضروم بدأت تتوالي الانتصارات الفارسية في المنطقة، ولكن تفشي مرض الكوليرا بين قادتها مرة ثانية أجبرت قائد الجيش عباس ميرزا على الاتصال بوالي

(١) ويذكر علاء نورس أن الكتخدا الجديد طالب آغا هو والد المؤرخ العراقي سليمان فائق بك، وهو مدفون في جامع خلف البناية القديمة لمحافظة بغداد الواقعة في شارع جديد حسن باشا. نورس، حكم المماليك...، ص ٢٤٠.

(٢) وقد أشارت إحدى الوثائق إلى أن داود باشا بعث برسالة إلى الصدر الأعظم العثماني يتحدث فيها عن تمركز القوات العسكرية الفارسية على بعد ٨ فراسخ من بغداد وقتلهم لمجموعة من الأكراد المتمردين في كردستان رقم ١١ بتاريخ ٢٥ المحرم ١٢٣٨ هـ ١٨٢٢ إيران/وزارت امور خارجي/دفتر مطالعات سياسی وبيّن المللي/واحد نشر اسناد. "گزیده اسناد سياسی ايران و عثمانی: دوره قاجاریه". طهران، ١٩٩٠، ص ١٣٠.

(٣) يوسف عز الدين، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، دار البصري، بغداد، ١٩٦٧، ص ٤٤-٤٦.

(٤) زكي، تاريخ السليمانية، ص ١٤٨.

(٥) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٢٩٧. زكي، تاريخ السليمانية، ص ١٥٠-١٥١.

أرضروم لعقد مفاوضات بين الجانبين؛ ونتيجة ذلك وافق الباب العالي على عقد معاهدة أرضروم بين الطرفين سنة ١٨٢٣^(١).

ومما تقدم يمكن طرح الأسئلة الآتية: ما الأسباب التي دعت إلى عقد معاهدة أرضروم الأولى؟ ما مضمون ومعاهدة أرضروم وأحكامها؟

يمكن أن نجمل الأسباب التي دعت إلى قيامها بالآتي:

١- تفشي الكوليرا في الجيش الفارسي؛ مما جعل القادة يشعرون بالعجز عن استمرار الحروب.

٢- كانت الدولة العثمانية مهتمة بعقد هذه المعاهدة أيضاً؛ بسبب انشغالها بمشاكل الحدود في أوروبا، والقضاء على الثورة التي قامت في اليونان؛ مما أضعف المركز الحربي للدولة العثمانية أمام فارس^(٢).

٣- فرض انتمائهما لدين واحد وهو الإسلام إلى التعاون بينهما ، وحل المشكلات القائمة وعدم التضحية بأرواح المسلمين في حرب لا تقرها الشريعة الإسلامية، وإن هذا السبب ظاهر وباطن، ظاهره الدين، أما باطنه الأزمات والمشاكل التي يعانيها الطرفان.

٤- وجود مشاكل سياسية لكل من الطرفين مع جيرانهم؛ فضلاً عن المشاكل الداخلية التي كانت تحطم قوى الدولتين بصورة مباشرة؛ نتيجة الظروف السيئة من سياسية واقتصادية واجتماعية تمر فيها كلا الدولتين.

٥- وضع حد للحروب الكثيرة التي وقعت بين الدولتين والتي أنهكت قواهما؛ فضلاً عن مشاركتها الحدود الطويلة على حدود دولتيهما التي كانت من الأسباب المباشرة لتلك الحروب^(٣)، فكانت هذه الأسباب دافعاً إلى عقد معاهدة أرضروم الأولى.

تشتمل معاهدة أرضروم الأولى المعقودة في ٢٨ من يوليو تموز ١٨٢٣ على مقدمة، وأساس، واشترطات حيث اعتمد الطرفان على معاهدة زهاب عام ١٦٣٩ وعلى معاهدة كردن عام ١٧٤٦^(٤).

ولقد جاءت بنود معاهدة أرضروم وأحكامها بالآتي:

(١) نورس، حكم الممالك، ص ٢٤١-٢٤٢.

(٢) عبد الكريم العلوي، إيران والعراق صراع حدود أم وجود، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٩-٢٠.

(٣) جابر إبراهيم الراوي، الحدود الدولية ومشكلة الحدود الإيرانية العراقية، المطبعة الفنية الحديثة، بغداد، ١٩٧٠، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٤) عبود، صراع الفارسي - العثماني ، ص ٣١٣. النجار، العلاقات العثمانية ...، ص ٤٢. الراوي، الحدود الدولية ومشكلة الحدود...، ص ٢٣٨-٢٣٩.

تعهدت كل من الدولتين بمقتضى هذه المعاهدة أن تتجنب التدخل في شؤون الدولة الأخرى، وعلى ذلك تمتنع الدولة الفارسية عن التدخل في بغداد وكردستان بأي شكل من الأشكال وعدم القيام بأي فعل يؤدي إلى تعكير صفو الصداقة بين البلدين ولن تفرض أي سلطة على الولاة الحاليين والسابقين لهذه المقاطعات، وإذا رغب أحد من الذين يقيمون في هذه البلاد المتاخمة في عبور الحدود للإقامة صيفاً أو شتاءً، فإن على وكلاء ولي العهد الفارسي أن يتفقوا مع والي بغداد العام على دفع الرسوم المعتادة ورسوم المراعي، وعلى طريقة الاستجابة للمطالب الأخرى من هذا القبيل حتى يمكن تجنب أي نزاع بين الدولتين. ولاسيما حركة العشائر بين الدولتين التي كانت من أسباب الحرب بينهما.

كما جاءت المعاهدة بأن على الدولة العثمانية أن تساوي بين الحجاج الذين جاؤوا من الدولة الفارسية إلى العتبات المقدسة في الدولة العثمانية بحجاج الدولة العثمانية، وتعفيهم من الرسوم والضرائب المتعلقة بالإقامة، وحمايتهم كما تفرض على رعايا الدولة العثمانية والفارسية رسوم جمركية متماثلة تبلغ ٤% من قيمة البضائع لمرة واحدة فقط. كما ركزت المعاهدة على ضرورة ردع اعتداءات العشائر الكردية التي أعطت فرصة للنزاع بين الدولتين.

على الدولتين عدم إيواء الهاربين من دولة إلى أخرى وحمايتهم، ولاسيما العشائر المتنقلة بين الدولتين، وبذلك وضعت حداً للعشائر المتذبذبة في سياستها بين الدولتين. كما شددت المعاهدة على إعادة الممتلكات التابعة للفرس في الآستانة إلى مالكيها الأصليين، وأن البضائع التي كانت تحت التحفظ (تحت الحراسة)، أو صودرت بأوامر من باشوات الدولة العثمانية وولاتها ترد إلى أصحابها بعد إثبات حقهم فيها عن طريق الأدلة القانونية. وأخيراً أكدت المعاهدة إعلان العفو عن أولئك الذين فروا من إحدى الدولتين إلى الأخرى، على ألا تطالب إحدى الدولتين بتعويضات الخسائر التي سببتها الحروب أو تكاليفها، وضرورة التمثيل الدبلوماسي بين البلدين^(١).

ونرى أن المعاهدة لم تأت بشيء جديد بشأن حل النزاعات المتعلقة في الحدود؛ كونها وضعت خطوطاً عامة، ولم تتعمق بذلك، ولكنها خففت من حدة التوتر بين الدولتين واستطاعت أن تجد حلاً لبعض الأمور الخلافية كوضع حجاج العتبات المقدسة.

(١) نوار، داود باشا...، ص ١٨٣-١٨٤. الوردي، لمحات اجتماعية...، ج ١، ص ٢٤٧-٢٤٨. الراوي، الحدود الدولية ومشكلة الحدود...، ص ٢٣٨-٢٣٩.

٢- أهم النتائج التي أسفرت عن عقد معاهدة أرضروم الأولى ١٨٢٣ وأثرها على العلاقات بين الدولتين وعلى العراق

تأتي أهمية دراسة النتائج التي أسفرت عن عقد معاهدة أرضروم لإدراك واقع التنافس العثماني الفارسي على العراق، وتطور مجريات ذلك التنافس حيث إن معاهدة أرضروم الأولى اعتمدت على المعاهدات السابقة (معاهدة زهاب سنة ١٦٣٩ ومعاهدة كردن ١٧٤٦) بحيث إنها لم تحل جذور المشكلة؛ وإنما ركزت على خطوط عامة؛ لكونها اعتمدت على العامل الجغرافي والبشري في تحديد المدن والمناطق التي حددتها؛ إذ أنها لم تقم بدراسات شاملة في تخطيط الحدود وسبر أغواره لإنهاء ذلك النزاع لكونهما لم يكونا على درجة من التقدم تجعلهما يعقدان معاهدة على أسس متينة من خلال الخرائط وسبر أغوار المنطقة^(١).

ومن أبرز الأسباب التي أدت إلى فشل المعاهدة في إنهاء النزاعات يمكن أن نجعلها بالآتي:

- ١- إنها لم تركز على المشاكل كوحدة متكاملة في جميع مناحي الحياة الاقتصادية والبشرية والجغرافية.
- ٢- تمثل الخرائط الركيزة الأساسية في حل مشكلة الحدود بين الدولتين، ويكمن التحدي الأكبر في إنشاء خريطة دقيقة للمنطقة المتنازع عليها بين الدولتين في أنه من المستحيل تصوير واقع دقيق دون المعرفة بالفن المساحي ورسم الخرائط، وهي مشكلة عصفت بالذين عقدوا معاهدة أرضروم؛ أي الدولتين الفارسية والعثمانية.
- ٣- كما أنه لا يوجد التزام أو ثقة متبادلة لدى الأطراف الفاعلة والرئيسة في هذه المعاهدة، فأوجه التعاون بين الدولتين يتخللها الشك والخوف من الطرف الآخر^(٢).
- ٤- وجود أسباب سياسية وطائفية ومجتمعية أفشلت تلك المعاهدة وذلك نتيجة ردة التوترات الطائفية والمذهبية بين السنة والشيعة التي برزت بين الدولتين، وعمل على إذكائها المستمر الدول الأوروبية المستعمرة.
- ٥- تدخل الدول الأوروبية بشكل مباشر في الشؤون السياسية في منطقة المشرق العربي؛ مما أدى إلى تزايد حدة النزاعات^(٣).

(١) نورس، حكم الممالك...، ص ٢٤٤.

(٢) لقد أشارت إحدى الوثائق إلى رسالة أرسلها الوالي داود باشا إلى الصدر الأعظم تتضمن عدم مراعاة مضمون معاهدة الصلح وعدم تنفيذها من قبل الجانب الفارسي، وعدم ترك القوات الفارسية لكردستان رقم الوثيقة ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ بالرجوع إلى إيران/وزارت امور خارجي/دفتر مطالعات...، ص ١٤٦.

(٣) العلوجي، إيران والعراق...، ص ٢٣-٢٤. النجار، العلاقات العثمانية...، ص ٣٩. الراوي، الحدود الدولية ومشكلة الحدود...، ص ٢٤١.

وعلى إثر ذلك نجد أن المعاهدة بين الدولتين لم تكن سوى لهدف لإنهاء الحرب القائمة بينهما؛ نتيجة أوضاعهما الصعبة؛ فضلاً عن معالجة مشكلة الزوار الحجاج لمناطق العتبات المقدسة التي عانت منها الدولة الفارسية، ولكنها لم تلغ أساس الخلاف بين الدولتين، وهو معالجة مشاكل الحدود، ولم تضع حداً للعشائر التي كانت متميلة في تبعيتها بين الدولتين؛ لذا بقيت حالة التوتر موجودة؛ فضلاً عن ذلك سنلاحظ فيما بعد أن المعاهدة لم تكن مانعاً للدولة الفارسية في احتلال بعض المناطق التي تعدّها الدولة العثمانية جزءاً من سيادتها، فقد نرى حروباً أخرى كادت أن تقع بين الدولتين لولا تدخل الدول الأوروبية (إنكلترا وروسيا) لإنهاء النزاع وعقد معاهدة أرضروم الثانية التي سنتحدث عنها فيما بعد ^(١).

ثانياً-التدخل الأوروبي في الواقع العثماني - الفارسي وتداعياته على العراق (١٨١٩-١٨٣١):

إن رسم ملامح العلاقات العثمانية- الفارسية وأثرها على العراق مع تزايد النفوذ الأوروبي (١٨١٩-١٨٣١) طرح تساؤلات عدة: كيف كانت أوضاع الدولة العثمانية والدولة الفارسية، وما أوجه تأثير الدول الأوروبية على العراق (١٨١٩ - ١٨٣١)؟ وسيتّم البحث في ذلك حول أركان هذه العلاقات، وأثرها في العراق.

للإجابة عن تلك الأسئلة لابدّ من مطالعة وضع العراق في فترة (١٨١٩ - ١٨٣١)، عانى العراق من تنافس الدول الأوروبية؛ فضلاً عن التنافس العثماني - الفارسي على المنطقة، وبدوره أثر عليه بشكل كبير، فقد أخذت إنكلترا تضاعف جهودها لضمان مصالحها الاستراتيجية، واتجهت عن طريق مقيمها في العراق كلوديوس جيمس ريج (Claudius James Reg) إلى السيطرة العملية؛ مما دفعها إلى توسيع نفوذها.

وقد أشار كيلى إلى ما يدور في الدوائر الاستعمارية الإنكليزية بالهند بشأن إقامة قواعد لها في الخليج: "في المناقشات التي دارت في بومباي خلال ١٨١٩ حول مستقبل السياسة الإنكليزية في الخليج كان هناك اجماع تام على ضرورة الحصول على قاعدة دائمة لإنكلترا في الخليج" ^(٢).

يبدو أن إنكلترا عدّت كلاً من الدولة الفارسية والعثمانية منطقتين عازلتين بين الهند التي عُرِفَ عنها بغناها، وبين أهم مستعمراتها؛ فضلاً عن ذلك كان وجود الدول الأوروبية التي نافست إنكلترا في المنطقة للحصول على ثروات الهند، ولاسيما فرنسا وروسيا؛ لذا عملت على

(١) نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ١٨٣-١٨٤. النجار، العلاقات العثمانية..، ص ٤٢-٤٣.

(٢) بريطانيا والخليج، ج ١، ص ٢٧٧.

الوقوف بوجه أي خطر أمام مخططاتها، ولاسيما أن وجودهم (روسيا وفرنسا) في المنطقة سيعرض مواصلاتها الممتدة من إنكلترا إلى الهند لخطر كبير وخسائر لا يحمد عقباه.

كل ذلك حدث في وقت كانت الدولة العثمانية عاجزة عن اتخاذ أي إجراء من قبلها ضد إنكلترا؛ بسبب الامتيازات التي منحتها لها في امبراطوريتها، ومن ضمنها العراق لذلك وقع عبء الدفاع عن العراق على الوالي داود باشا الذي تطلع إلى ضرورة الانتباه لتحركات ومحاولات إنكلترا في الوصول إلى غايتها، وعلى هذا النحو تحولت الصداقة بين الطرفين إلى صدام؛ نتيجة التوترات الحادة التي أصابتها بسبب أمور عدة، ومنها:

١- حنق ريج (Reg) من داود باشا عند تسلمه ولاية بغداد؛ لاعتقاده أنه السبب الأول والأخير في قتل الوالي محمد سعيد باشا على الرغم من الفوضى والاضطرابات التي عانت منها العراق في عهده، ولكنه أراد أن يحتفظ بالمكانة التي اكتسبها أيام الوالي سعيد باشا، وهذا ما حاول إيضاحه من خلال المراسم التي فعلها في أثناء تهنئته لداود باشا في منصبه عام ١٨١٧^(١).

٢- موقفه المؤيد للمسيحيين حيث كان يعطف عليهم، ويتخذ منهم موظفيه، وزاد ذلك من ارتفاع شأنهم، ووقوفهم بوجه الحكومة التي كانت تتدخل لحل نزاعاتهم الكثيرة. أما اليهود كانوا ذوي تأثير سلبي في العراق، فإنهم كانوا أيضا تحت حماية ريج (Reg) والقنصلية الإنكليزية^(٢).
٣- وقوف القنصل الإنكليزي بوجه المسيو ديفو^(٣) الذي جاء به داود باشا لتدريب الجيش، وهذا ما استنكره القنصل، وبدأ بالضغط على داود باشا لاستبداله بآخر إنكليزي^(٤).

٤- اتباع ريج (Reg) سياسة المرونة مع محمد ميرزا، وكان على عداء كبير مع والي بغداد، فقد أراد الشاهزادة أن تسانده إنكلترا، وتبعث له الأسلحة من أجل حربه في العراق؛ فضلاً عن إرسال عدد من الضباط الإنكليز؛ لدعم جيشه، وتدريبه تدريباً عسكرياً حديثاً على النمط الأوروبي، فحرص ريج (Reg) على تلبية مطالبه بأن أرسل رسالة إلى حكومة بومبي طالباً منها

(١) الوردي، لمحات اجتماعية...، ج ١، ٢٤١.

(٢) نوار، داود باشا...، ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٣) ضابط فرنسي ومساعد نابليون بونابرت وترك فرنسا بعد سقوط نابليون، وله الفضل في انتصارات الجيش الفارسي على جيش بغداد ١٨٢٠، وأسند إليه مهمة تدريب الجيش وفق أحدث النظم العسكرية، خدم في الجيش العثماني، وأسهم في تدريب جيش داود باشا، ولقب سليمان باشا انظر نوار، داود باشا...، ص ٣٢٣، ياسين، تاريخ العنف الدموي، ص ٢٤٣.

(٤) الوردي، لمحات اجتماعية...، ج ١، ٢٤٨.

ذلك، ولكن حكومة بومبي طلبت منه أن يترك أمور الدولة الفارسية إلى المفوض الإنكليزي الموجود فيها^(١).

٥- وفي عام ١٨١٩ جرت محاولات لتشويه سمعة الوالي داود باشا من قبل ريج (Reg) عندما تمكّن من بعث تقرير إلى حكومة الهند الشرقية تحدث فيها عن التدني السريع بوضع العراق بسبب تصرفات الوالي اللاواعية، وهذا التقرير يرجع إلى أن الوالي داود باشا كان يقلص حجم ريج (Reg) ونفوذه في العراق^(٢).

٦- الفتن والاضطرابات التي حاول ريج (Reg) أن يقوم بها في رحلته إلى كردستان من خلال إثارة الشعور القومي للأكراد، ولاسيما أن تلك الفرصة سانحة له ليزيد من تفكك العراق من أجل السيطرة عليه، وهذا ما أقلق داود باشا تجاه ريج (Reg)^(٣).

٧- قيام الباشا بمصادرة الأموال التاجر الأوروبي سكوبودا، وفرض ضريبة على التاجر الإنكليزي ستورمي قدرت بحوالي ١١،٣/٤ % في أثناء وجود ريج (Reg) في البصرة، وهذا ما أثار جنونه وغضبه، وطلب من تايلر (Taylor)^(٤) وكيله بالبصرة بإيقاف جميع التعاملات التجارية مع الدولة العثمانية، وعدم السماح لأي سفينة محلية أو تابعة للإنكليز إفراغ حمولتها في البصرة، وعدم السماح للسفن الداخلة في ميناء البصرة من الخروج، وهذا ما يترتب عليه تداعيات خطيرة على العراق في تعاملاتها التجارية، ولذلك فإن الوالي داود باشا لم يفتأ أن اتهم ريج (Reg) بإثارة الفتن والاضطرابات في ولاية بغداد والموصل، ولاسيما بعد تصاعد الصراعات بين الطرفين^(٥).

٨- الشكوى التي قدمها ريج (Reg) إلى لندن وإستانبول وبومبي لقطع الطريق أمام داود باشا في إجراءاته:

- مصادرة ممتلكات التاجر الإنكليزي سكوبودا بأمر من داود باشا.

(١) نوار، داود باشا...، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) نورس، حكومة الممالك...، ص ١٠٨. عبد الله، تاريخ العراق...، ص ٤٠٧.

(٣) طقوش، تاريخ العراق...، ص ٦٠.

(٤) تايلر وكيل سياسي إنكليزي منذ عام ١٨٢٢، تبدل لقبه ١٨٤١، واستمر عمله حتى عام ١٨٤٣. آمال عمر خميس عبید المحمدي، النشاط الملاحي البريطاني في أنهار العراق (١٨٣١ - ١٩١٤)، إشراف: جمال هاشم = أحمد الذويب، وزارة التعليم والبحث العالي، جامعة الأنبار، كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم التاريخ، العراق، ٢٠١٦، ص ٤٠.

(٥) محمد بن أحمد الحسيني، رحلة المنشئ البغدادي، ترجمة: عباس العزاوي المحامي، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٤٨، ص ١٨.

- فرض ضريبة على بضائع التاجر الإنكليزي بلغت حوالي ٤/٣١، ومن الجدير بالذكر أن الضريبة حسب الامتيازات الإنكليزية يجب أن تكون ٣% فقط.
- عدم اعترافه واهتمامه بالاتفاقات والامتيازات الإنكليزية حسب اتفاقها مع الدولة العثمانية.
- سوء المعاملة التي عانى منها رعايا الإنكليز^(١).
- حادثة ماردين التي نتج عنها سلب نفوذ الوكيل الإنكليزي في ذلك المكان؛ فضلاً عن سلب ضابطيين إنكليزيين كانا ذاهبين من بغداد إلى الآستانة^(٢).
- وانتهز ريج (Reg) فرصة توتر الأوضاع مع الوالي داود باشا عند عودته من رحلته إلى بغداد، وطلب منه الإذن ليعرض مشاكله على حكومة بومبي في حين رفض داود باشا منحه الإذن بالذهاب إلى بومبي.
- كانت خطة داود باشا بحجر ريج (Reg) في مقيميته ومحاصرتها، ولكن إخفاقه في ذلك جعله يغير خطته وفقاً لاعتبارات سياسية، فأخذ يفاوض ريج (Reg) من أجل التفاهم بينهما، ولكن رفض ريج (Reg) ذلك ما لم ينسحب الجنود المحاصرون للمقيمة^(٣).
- ومن الجدير بالذكر أن ازدياد الصراع الجيوسياسي وخصوصاً النزاع بين الدولة العثمانية والفارسية له انعكاسات سلبية على الوضع السياسي، والاقتصادي، والأمني في العراق لذا قرر الوالي داود باشا بتأدية دور جدي في تخفيف حدة الصراع مع إنكلترا؛ خوفاً من تداعياتها الخطيرة؛ لذا أصدر الوالي داود باشا قراراً بانسحاب جنوده من المقيمة، وسمح لريج (Reg) ترك العراق والذهاب إلى بلده على أن يكتب تصريحاً من قبله أن داود باشا عامله معاملة حسنة وترك العراق بمحض إرادته من دون أي ممارسة ضغوط عليه^(٤).
- وبعلل الرحالة المنشئي البغدادي قبول المقيم ريج (Reg) لكتابة الرسالة بقوله: "لو كان المستر ريج يريد إثارة الفتنة آنئذ أو الفساد لفعل ووجد عوناً له الإنكليزية، والأعيان، ورذال بغداد، وسائر الناس ممن كانوا معه فينقادون لرغبته، فيستولون على بغداد لما يحملون له من ودٍّ إلا أن الرجل لم يكن يرغب في توليد القلاقل أو يميل إلى الإفساد أبداً ولا يبغى الشحناء، وإنما كان محباً للسلام، وعمل الخير بدرجة قصوى"^(٥).

(١) نوار، داود باشا...، ص ٢٠٧-٢٠٩. نورس، حكومة المماليك...، ص ١٠٩.

(٢) عبد الله، تاريخ العراق...، ص ٤٠٧.

(٣) صالح، بريطانيا والعراق...، ص ١٣٤، عبد الله، تاريخ العراق...، ص ٤٠٨. لونكريك، أربعة قرون...، ص ٣٠٨.

(٤) طقوش، تاريخ العراق...، ص ٦٠. صالح، بريطانيا والعراق...، ص ١٣٤.

(٥) رحلة المنشئ...، ص ١٩-٢٠.

ويتضح مما سبق أن ريج (Reg) لو استطاع كما تحدث المنشئ أن يقضي على داود باشا بالفعل، ولكنه كان يدرك طبيعة المجتمع العراقي بأنه لن يقف معه ضد الوالي داود باشا، وكما لاحظنا أن الانكشارية لم تقدم على حماية ونجدة ريج (Reg) من الحصار الذي تعرض له من قبل الوالي على الرغم من عمق علاقته بأعيان البلد والانكشارية.

ترك ريج (Reg) بغداد ١٨٢١ بعد أن طلب الوالي داود باشا منه أن يفرج عن البضائع الموجودة في البصرة حيث اتجه عن طريق البحر على يخته الخاص إلى البصرة، ومن ثم ركب سفينة إنكليزية إلى بوشهر باتجاه شيراز لرؤية بعض الآثار، وقد لقي حتفه في شيراز بسبب وباء الكوليرا الذي انتشر في تلك الفترة^(١)، وعلى إثر ذلك طلبت إنكلترا من الكابتن تايلر (Taylor) أن يخلف ريج (Reg) في قنصلية بغداد الذي سعى إلى تعزيز الامتيازات الإنكليزية في العراق عام ١٨٢٣^(٢).

ومما هو جدير بالذكر أن إنكلترا لن تسمح أن تمس امتيازاتها من قبل والي بغداد داود باشا لضمان نفوذها في المنطقة على الرغم من احتجاجات الوالي المستمرة على تلك الامتيازات، ومن جهة أخرى لم يستطع الوالي داود باشا تكلمة ما بدأ به من عداوة في تجاه الامتيازات الأجنبية إدراكاً منه لأهمية التجارة الإنكليزية في البصرة، وكان حريصاً أثناء تلك الفترة على إعادة العلاقات إلى مجاريها.

ولإنهاء الخلاف مع إنكلترا وافق داود باشا على مطالبها؛ بسبب الضغط عليه من الدولة العثمانية، وقيام الدولة الفارسية بحشد جيشها لاحتلال العراق^(٣).

ومن أهم البنود التي جاءت فيها:

١- الاعتراف بالامتيازات والمعاهدات المبرمة سابقاً بين إنكلترا والإمبراطورية العثمانية أو التي عقدت في السابق من قبل ولاية بغداد^(٤).

٢- العمل على ضمان سلامة وموظفي القنصلية الإنكليزية وأمنهم والعاملين تحت حمايتها.

٣- اعتراف والي بغداد بحق القنصل الإنكليزي في إعطاء الحماية بأنواعها كافة؛ حماية الأرواح والأموال؛ ومنح الحرية التجارية التامة للأجانب على الأراضي العثمانية وفي العراق تحديداً.

٤- اعتراف والي بغداد للقنصل الإنكليزي بالاحتفاظ بأي من الخدم الذين يريدونهم.

(١) الوردي، لمحات اجتماعية...، ج ١، ٣٤٣. نوار، داود باشا...، ص ٢١٣.

(٢) نورس، حكم الممالك...، ص ١١٣.

(٣) نوار، داود باشا...، ص ٢١٣.

(٤) نوار، تاريخ العراق الحديث...، ص ٣٠.

- ٥- إلغاء الضرائب على السفن الإنكليزية بعد مغادرتها البصرة في طريقها إلى بغداد.
 - ٦- تقدر الرسوم الجمركية على البضائع الإنكليزية حوالي ٣% .
 - ٧- عدم إجبار أي بحار على اعتناق الإسلام في حال هروبه من سفينة تابعة لإنكلترا وإن اعتنق الإسلام يرجع إلى السفينة التي هرب منها حتى لا يتأثر وضع السفينة ومسيرها في البحر.
 - ٨- إنصاف كل من التاجر ستورمي وسكوبودا وتعويضهما عما فقد من بضائعهم وإرجاع الأموال التي صودرت منهم بأمر من الوالي داود باشا^(١).
 - ٩- يسمح للمقيم بامتلاك أرض وحديقة في المكان الذي يحدده ويريده.
 - ١٠- إذا حصل اعتداء من جانب أحد الرعايا الإنكليز على أي من رعايا الدولة العثمانية يدفع له مبلغ مالي كتعويض.
 - ١١- لا ترد البضائع إلا على أسس مشروعة، وترفع مشاكل التجارة إلى مجلس من التجار حسب العادة.
 - ١٢- إذا عين وكيل -غير إنكلترا- لوكالة بغداد فيجب أن يلقي كل الاحترام لمنصبه لا لشخصه^(٢).
- وهكذا نجد أن إنكلترا استطاعت توجيه ضربة مؤلمة لداود باشا جعلته يعيد النظر في سياسته تجاهها فأرغمته على حساب خطوته ولجم ممارساته المعادية لها في العراق؛ وبذلك تصاعدت العلاقات الاقتصادية والتجارية والسياسية بين العراق وإنكلترا.
- وفي نهاية عهد داود باشا بدأت إنكلترا بمشاريع المواصلات الحديثة من خلال تسيير السفن البخارية في نهري العراق، وقد وافق الوالي على المشروع؛ ليضمن الاستفادة من موارده بزيادة نشاط التجارة في العراق وفق الأساليب الحديثة^(٣).
- ويمكن القول إن إنكلترا تطلعت إلى مدّ نفوذها في الدولة العثمانية والفارسية عن طريق امتيازاتها، حيث اعتمدت في توغلها على مجالات الحياة كافة، ولاسيما الإدارة السياسية والقانونية والمدنية والتجارية، وسعيها إلى تقليص نفوذ فرنسا وكافة الدول الكبرى لصالح بروز نجمها في منطقة المشرق العربي، ولكن بدأ خطر جديد أثار مخاوف إنكلترا من روسيا القيصرية وبهذا الصدد تحدث المفتش الإداري بدار الهند في لندن: "أصبح للروس الآن سفن بخارية في

(١) نوار، داود باشا...، ص ٢١٣-٢١٥.

(٢) نورس، حكم المماليك، ص ١١٢-١١٣. عبد الله، تاريخ العراق...، ص ٤٠٩-٤١١.

(٣) المحمدي، النشاط الملاحي البريطاني...، ص ٤١-٤٢. لونكريك، أربعة قرون...، ص ٣٥٠-٣٥٣، نوار، داود باشا...، ص ٢١٥-٢١٩.

نهر الفولغا وبحر الخزر وسيصبح لهم مثل ذلك في نهر سيحون وآرال وعلى أغلب الظن في دجلة والفرات أيضاً... فهم سيعملون في آسيا كل ما لا نقوم نحن بعمله من الأمور النافعة.^(١) ولا سيما أن روسيا قامت خلال الأعوام ١٨٢٨ - ١٨٢٩ باحتلال مناطق من الدولة الفارسية والدولة العثمانية؛ لذا نشطت إنكلترا في مواجهة الأخطار الروسية؛ لكونها تنظر بعين القلق إلى تسرّب النفوذ الروسي إلى بلاد فارس والدولة العثمانية حيث استطاع هذا النفوذ الإنكليزي الضغط به على كل من الدولة العثمانية والفارسية من أجل المصالح والطموح المتزايد في المنطقة.^(٢)

فقد حققت روسيا مكاسب كثيرة في حربها مع الدولة الفارسية (١٨٢٦-١٨٢٨) انتهت بخسارة الدولة الفارسية وعقد معاهدة تركمان جاي؛ فضلاً عن الحرب التي قامت بين روسيا والدولة العثمانية؛ بسبب تدخل روسيا بمساعدة الثوار في اليونان، وصربيا، ورومانيا وانتهت بانتصار روسيا، وعقد معاهدة أدرنة ١٨٢٩ في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) وقد أعطى الروس بموجب المعاهدة حرية التجارة براً وبحراً، وتكون المضائق العثمانية مفتوحة أمام السفن الروسية التجارية؛ لذا فقد حذّر المقيم الإنكليزي في بغداد حكومة الهند في عام ١٨٣١ من مغبة هجوم روسي محتمل على بغداد والتقدم منها نحو الهند عن طريق البصرة وكانت هناك مخاوف إنكليزية أن يمتد النشاط الملاحي إلى نهري دجلة والفرات.^(٣)

وإلى جانب التهديد الروسي عدّت إنكلترا التوسع المصري في بلاد الشام تهديداً مماثلاً لمصالحها في العراق، وبهذا الصدد يؤكد بالمرستون وزير الخارجية عندما قال: "إن الهدف من تحركات محمد علي هو إقامة مملكة عربية تضم جميع البلاد التي يتحدث أهلها باللغة العربية، وقد يكون هذا الأمر في ذاته لاضرر منه، ولكنه يرمي إلى تقطيع أوصال تركيا؛ وفضلاً عن ذلك فإن أي ملك عربي مهما بلغت قوته لن يكون أقدر من تركيا على المحافظة ما تحتله من طريق الهند"^(٤).

ولهذا ذهب السياسة الإنكليزية في محاولتها لتضع ولاية بغداد بعيداً عن النفوذ الفرنسي والروسي وحتى عن المخاطر المصرية؛ وبهذا الصدد يقول الباحث نوار: "إذ أصبحت أمور العراق تتعلق بالسياسة الدولية بدرجة أكبر عن ذي قبل وخاصة فيما يتعلق بالتنافس حول

(١) صالح، بريطانيا والعراق...، ص ١٥١.

(٢) صبري فالح الحمدي، موقف بريطانيا من النشاط الروسي في الخليج العربي خلال القرن التاسع عشر، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد ٥٢، العراق، ٢٠٠٧، ص ١٤٠-١٤١.

(٣) صالح، بريطانيا والعراق...، ص ١٤٨-١٤٩. الحمدي، النشاط الملاحي...، ص ٤١.

(٤) جورج انطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة: ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، تقديم: نبیه فارس، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧، ص ٩٣.

خطوط المواصلات العالمية عبر الطريقين القديمين: طريق أوروبا العراق - الهند وطريق أوروبا - مصر الهند، ولذلك كانت خطة الدولة العثمانية ترمي إلى تركيز قوى الولايات في يده لتقف الدولة العثمانية بجميع إمكاناتها ضد التدخل الأجنبي، وهذا الاتجاه يتطلب إعادة الحكم المباشر إلى مختلف الولايات^(١).

ومما سبق نرى أن الدولة العثمانية والفارسية سعت لتحقيق نفوذها في العراق إلا أن المشكلة كانت بوجود الدول الأوروبية ومحاولتهم للتوسع في المنطقة، وهذا ما فعلته إنكلترا عن طريق قنصلها وامتيازاتها في كل من البلدين؛ فضلاً عن ذلك محاولات روسيا القيصرية بالامتداد عن طريق حروبها مع كل من الدولة العثمانية والفارسية؛ مما أثار حفيظة إنكلترا وحاولت إيقاف توسعاتها في المنطقة؛ مروراً بمشكلة الاستقلال لدى بعض الولاة سواء في مصر أو العراق، وانتهاء بالأوضاع غير المستقرة في العراق .

ثالثاً- سقوط حكم المماليك في بغداد وأثرها على العلاقات العثمانية الفارسية:

عانى العراق من تحديات كثيرة، فقد حاولت العديد من مراكز القوى السيطرة على مقاليد الأمور في البلاد؛ لذلك لم ينعم العراق بقدر من الاستقرار، حيث أنهكته الحروب، والفتن، والمنافسات بين الدولتين العثمانية والفارسية؛ فضلاً عن ذلك المنافسات الأجنبية، فقد أرادت الدولة العثمانية إنهاء حكم المماليك في العراق بعد أن أغلقت جميع الأبواب بوجهها فلم يبق لها سوى إنهاء ذلك الحكم في العراق، وهناك أسباب عدة ، ومن أهمها:

بذل العثمانيون خلال حكم محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) محاولات جادة للقيام بإصلاحات تتمثل بالقضاء على الانكشارية؛ بسبب الانحطاط والتدهور الذي أصاب الدولة العثمانية، وعدم قدرتها على التكيف مع تقدم الدول الأوروبية، وإعادة هيكلة جيشها بجيش نظامي جديد على النمط الأوروبي يعمل على تطبيق المركزية؛ فضلاً عن إقصاء المماليك من العراق نهائياً^(٢)

شخصية الوالي داود باشا الذي ظهر بموقف القوي أمام المماليك والأهالي في العراق وعمد إلى زيادة المماليك وتنظيمهم على النمط الحديث ليتفق مع طموحه السياسي في تشكيل كيان عراقي موحد في وسعه الوقوف بوجه الباب العالي؛ بسبب تردي أحوال الدولة العثمانية والضعف الذي سرى فيها، وهذا ما أثار مخاوف السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) أن يستفحل نفوذه كمحمد علي في مصر^(٣)؛ فضلاً

(١) تاريخ العراق ...، ص ٣٣.

(٢) نورس، حكم المماليك...، ص ٢٤٩.

(٣) رؤوف، الحياة الاجتماعية ...، ص ١١٠.

عن عدم تنفيذ أوامر السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) في تقديم المساعدة له في حربه مع روسيا^(١) وعدم إمداده بالمال اللازم الذي طلبه منه لدفع الغرامة المالية التي فرضتها روسيا على الدولة العثمانية في حربها معها عام (١٨٢٨ - ١٨٢٩)^(٢).

كان لابد من الوالي داود باشا أن يدعم السلطان العثماني، لكن انشغاله في حروبه مع الدولة الفارسي، وضرب العشائر المتمردة عليه، وقيام بإصلاحات عسكرية، واقتصادية واجتماعية، وثقافية^(٣)، وخوفه من نوايا السلطان العثماني أسفرت عن عدم تحقيق ما وعد به من تقديم المساعدة والمعونة للدولة العثمانية بالمال والرجال^(٤)؛ مما أدى ذلك إلى تدهور كبير في العلاقات بين داود والسلطان الذي بدأ يفكر في عزله حتى أن الدول الأوروبية من الخطر عليها أن يتواجد والٍ قوي في بغداد حفاظاً على مصالحها الحيوية والاستراتيجية في المنطقة^(٥).

حيث قرر السلطان العثماني إرسال صادق أفندي إلى بغداد ليطلب من والي داود باشا التنازل عن العرش كبادرة لإنهاء الحكم المملوكي في العراق بأي طريقة كانت.

ومن الجدير بالذكر أن صادق أفندي كان على علم بوضع العراق من تشرذم وتواجد العصبية القبلية التي من السهولة إثارتها للتخلص من حكم داود باشا، ولكن استهانة صادق باشا بمهمته وكبريائه أدت إلى إنهاء مهمته بفشل ذريع أودت بحياته مقتولاً على يد جنود داود باشا، وأشيع بأنه توفي بمرض الهواء الأصفر.

فعندما وصل صادق أفندي بغداد أرسل إليه داود باشا موكباً ضخماً لاستقباله برئاسة محمد أفندي المتصرف حاملاً له بعض الهدايا إلا أن صادق أفندي عامله بجفاء واستهزاء، ولم يهتم له كأنه أراد أن يبعث رسالة لداود باشا أن السلطان العثماني غاضب من تصرفاته واستقباله لن يعفه من قرار العزل، كما أن صادق أفندي لم يتقيد بمراسم الزيارة، ولم يتوقف في الأعظمية للمبيت فيها وزيارة مرقد الإمام حنيفة، ولم يذهب إلى زيارة الوالي داود باشا الذي كان ينتظره في السراي.

(١) فائق بك، تاريخ الكولة...، ص ٥٢-٥٣. عز الدين، داود باشا...، ص ٤٦. لونكريك، أربعة قرون...، ص ٣١٥.

(٢) فرضت على الدولة العثمانية غرامة حربية مقدارها أحد عشر مليوناً وخمسمائة ألف قطعة ذهبية؛ مقابل إخلاء روسيا للأراضي التي احتلتها بالتدريج، بموجب بنود معاهدة أدرنة في أيلول ١٨٢٩، ينظر يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة: د. محمود الأنصاري، المجلد الثاني، إستانبول ١٩٩٠، ص ١٢-١٣.

(٣) للمزيد عن إصلاحات داود باشا. انظر: نوار، داود باشا...، ص ٢٨٣-٣٢٥.

(٤) نوار، داود باشا...، ص ٢٤٣-٢٤٤. نورس، حكم المماليك...، ص ٢٥٠.

(٥) نوار، داود باشا...، ص ٢٤٥.

وعلى إثر تصاعد حدة اللهجة من قبل المبعوث السلطاني صادق أفندي دفع الوالي داود باشا إلى إعادة النظر بموقفه، واتخاذ إجراءات من شأنها مجابهة المبعوث السلطاني صادق أفندي لكونه شعر بما كان يضمّره له فعندما جاء صادق أفندي إلى داود باشا تتأقّل في القيام له والاحتفاء به، ولم يزد في محادثته سوى بعض الكلمات الرسمية، كما أن صادق باشا لم يخبره بالمهمة التي جاء من أجلها.

وفي اليوم التالي لم يرد داود باشا الزيارة؛ مما أثار غضب صادق أفندي الذي اتجه إلى داود باشا في اليوم التالي، وأخبره عما جاء به من قرار بعزله من الحكم، ولا بد له من ترك الحكم، فانزعج داود باشا الذي طلب منه عدم إفشاء الأمر حتى تأتي الدولة بقرار رسمي له، ولكن صادق أفندي رفض ذلك. وبهذا الصدد يقول فائق بك: "أخبر صادق أفندي داود باشا بعزله فاستاء داود باشا، وقال له: إن لي بعض الأمور مع الباب العالي؛ لذلك ينبغي أن تسد هذا الخبر حتى توافيني أنباؤها فرد عليه صادق أفندي قائلاً: إنه لا يخدم بأقواله التي هي أشبه بمواعيد عرقوب وأصر على استلام الولاية منه"^(١).

يتبين لنا أن صادق أفندي لم يوافق على ما طلبه منه داود باشا؛ بسبب اشتداد الخلاف بينهما، وبذلك ظهر الصراع بشكل علني حيث رأى صادق نفسه أنه في موقف حرج؛ لذا لا بد له من إثارة الخلافات والعصبيات بين رجال داود باشا من أجل الاستعانة بأحدهم لعزله، فاستعان بسليمان آغا الميراخور الذي كشف له ما يدور في صدره بجعله باشا على العراق مقابل قتله لداود باشا، وذلك لضمان تنفيذ الأمر الذي جاء من أجله. كما ذكرنا سابقاً أظهر سليمان ميراخور موافقة على مطالبه، ولكنه اتجه مسرعاً إلى داود باشا يخبره بما جرى من حديث بينهما^(٢).

ولما علم داود باشا بذلك استدعى مستشاريه من أجل اتخاذ الإجراء المطلوب بحق صادق أفندي، وقرر بذلك قتله من خلال خطة محكمة. وبهذا الصدد يقول العزاوي: "فاتفقوا على لزوم قتل صادق إلا أن الوزير أبدى أن عاقبة ذلك وخيمة، فقال الجميع: إن حياننا مهددة ببقائه؛ وإن الخطر محيقٌ بنا ما دام حياً وتعهّد الميراخور بقتله وعند هذا أنهى الوزير القول. وهذا غفلة منه"^(٣).

(١) تاريخ المماليك الكوله...، ص ٥٥.

(٢) فائق بك، تاريخ المماليك الكوله...، ص ٥٤-٥٦.

(٣) موسوعة تاريخ العراق...، ج ٦، ص ٣٤٦.

ومن الجدير بالذكر أن الجريمة السياسية أثير صداها في الوسط الأهلي على الرغم من أن داود باشا أشاع خبر بتعرض المبعوث السلطاني صادق أفندي لمرض الهواء الأصفر الخطير أودي بحياته، ومن ثم بعث برسالة إلى السلطان العثماني يبلغه بوفاه مبعوثه.

وعلى إثر الاعتراف الذي قدمه داود باشا للباب العالي قرر تنحيته بقوة، وهذا نذير بأزمة خطيرة بينه وبين السلطان فقد أوعز السلطان للوالي علي رضا باشا اللاز^(١) على رأس حملة عسكرية للقضاء على حكم المماليك.

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا تم اختيار والي حلب علي رضا باشا اللاز لهذه المهمة؛ والجواب عن ذلك، يرجع ذلك لعدة أسباب منها: لأنه كان على اطلاع بكل الأمور التي تحدث في العراق؛ لقرب حلب من بغداد والصلات الاقتصادية التي ربطت الولاياتين، ولابد من الإشارة إلى أهمية وضعها الاستراتيجي؛ كونها تقع على الطريق الدولي بين الهند وأوروبا، فقد أدرك علي رضا باشا اللاز أن إنكلترا بدأت تجهز لذلك الطريق حيث أراد السلطان أن يكون الوالي العثماني قريباً من العراق، وفرض الحكم المباشر عليها كما أنه لم يكن لديه مشكلة في مشاريع إنكلترا في العراق^(٢)؛ فضلاً عن ذلك كانت بلاد الشام ملجأً للفارين والمتمردين ضد داود باشا؛ ناهيك عن رغبة الباب العالي في تقوية ماردين وديار بكر، وتعيين الموظفين ذوي الكفاية لإدارتها^(٣).

أمام حدوث هذه تغييرات أراد والي مصر محمد علي باشا استغلال الفوضى التي حدثت في بغداد، فعرض خدماته على الباب العالي من أجل القضاء على داود باشا^(٤)، غير أن يقظة

(١) كان علي رضا باشا اللاز من أهل طرابزون الواقعة على بحر الأسود، وينتمي إلى قبيلة اللاز- أو اللاز، كما تلفظ بالتركية، تدرج في المناصب إلى أن صار كتحدا والي حلب رؤوف باشا عام ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م، وبعد فترة أصبح والياً على حلب برتبة الوزارة في عام ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م، ثم حصل على ولاية ديار بكر في عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م. لقد أرسلته الحكومة العثمانية للتخلص من داود باشا في بغداد، وانطلاقاً من الخدمات التي قدمها علي رضا باشا اللاز دأبت السلطنة العثمانية على إعطائه مرتبة الوزارة في العراق عام ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م. الوردي، لمحات اجتماعية ...، ج ٢، ص ٨٢. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين ...، ج ٧، ص ٧٣.

(٢) نوار، داود باشا والي بغداد...، ص ٢٥٤.

(٣) نورس، حكم المماليك...، ص ٢٥٥.

(٤) تجدر الإشارة إلى أن محمد علي بعث برسالة إلى الدولة العثمانية انتقد فيها انتقادات حادة موقف داود باشا الذي أراد الاستقلال عن الدولة العثمانية؛ فضلاً عن كونه أهان رجالاً هو من وكلاء الدولة العثمانية، وقتله وصرح محمد علي برغبته في إلقاء القبض على داود باشا بنفسه، وتلك الرسالة تعبر بشكل كبير عن أهداف محمد علي؛ بحجة مساندة الدولة العثمانية؛ لبناء قوة عسكرية، واتخاذ سياسة خارجية له مرتكزة على تلك القوة. انظر نص الوثيقة بالرجوع إلى سجل ٤٠ رقم ٥٤٧ معية تركي بتاريخ ١٩ رجب ١٢٤٦ / ٣ كانون الثاني

الباب العالي من طموحات محمد علي في العراق قوّض ذلك المخطط من خلال رفضه، كما سعى أيضاً يحيى باشا والي ديار بكر إلى أن يكون الشخص المختار لقتل داود باشا وإزاحته عن الولاية؛ بحجة أن معظم عشائر العراق تؤيده، ولكن السلطان العثماني رفض عرض؛ لكونه، لم يبين كفايته في إنجاز المهمات التي طلبتها منه الدولة العثمانية^(١).

لقد وافق والي حلب علي رضا باشا اللار على تنفيذ المهمة؛ مقابل أن يُعطى له ستة آلاف كيس من المال وتزويده بلواء من الجند؛ فضلاً عن الأوامر التي صدرت من السلطان العثماني؛ بضرورة الانضمام إلى حملة علي رضا باشا من قبل ولاية ديار بكر وأرضروم ورؤساء الأكراد، كما أن السلطان العثماني كتب إلى الدولة الفارسية يخبرها بما تم اتخاذه من إجراءات تجاه داود باشا، وتمنى منها عدم التدخل بمساندة داود باشا وعدم استقباله في حال هرب إليها^(٢).

ومهما قيل عن أسباب استعمال الدبلوماسية من قبل السلطان العثماني تجاه الدولة الفارسية لحضّها على رفض مساندة داود باشا؛ وذلك للتأكيد على قدرة السلطان في تدبير شؤون ولاياته ومن ضمنها العراق عن طريق جيشها الانكشاري القادر على المحافظة على الأمن، ولابد من الدولتين بحكم حسن الجوار أن تتعاونان في معاقبة المتمردين، وعدم قبولهما لأي لجوء من قبل المتمردين، وطرد الفارين من البلاد ومن ضمنهم داود باشا^(٣).

وفي أوائل شباط عام ١٨٣١ ترك والي حلب علي رضا باشا اللار على رأس عشرة آلاف جندي مع تسعة مدافع ميدان، وفي طريقه استغل حالة الفرقة بين القوى السياسية الرئيسية في بغداد لضرب داود باشا، فضم إلى قواته مجموعة من المماليك الغاضبين؛ فضلاً عن ذلك زعماء العشائر العربية، ومنهم صفوق الفارس شيخ الجربا وسليمان الغنام أحد رؤساء عقيل كما أرسل كتباً إلى الفئات المتبرمة من داود باشا، أعلن منح العسكريين والعثمانيين والأهالي الأمان، وقد أراد من ذلك إحداث فوضى في بغداد وكسب القوى المناوئة لداود باشا إلى طرفه^(٤).

١٨٣١. عماد عبد السلام رؤوف، العراق في وثائق محمد علي، دار الزمان، مكتب التفسير، أبريل، ٢٠١٧، ص ١٩-٢٢.

(١) علي الوردي، لمحات اجتماعية...، ج ١، ص ٢٨٦. نيزك سعيد عبد الكريم، الإدارة العثمانية في إيالة بغداد (١٨٣١-١٨٦٩)، إشراف: جميل موسى النجار، رسالة تقدمت فيها لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة المستنصرية كلية التربية قسم التاريخ، ٢٠١٢، ص ٢٨-٢٩.

(٢) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٣١٨.

(٣) نوار، داود باشا...، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٤) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٣١٨. عبد الله، تاريخ العراق...، ص ٣٤٠.

وفي طريقه إلى بغداد مرَّ على الموصل، وهناك أصدر السلطان العثماني أوامر بأن يكون قائد الجيش لتقوية نفوذه كما أصدر فرماناً بالتحاق سليم محمد باشا الصدر السابق على رأس قوة عسكرية إلى حلب؛ لمساندة رضا باشا اللاز؛ فضلاً عن ذلك عين قاسم باشا العمري قائممقام ولاية بغداد^(١).

وفي الوقت نفسه استعدَّ داود باشا أمام القوات العثمانية المتجهة إلى بغداد مستعيناً بقوات شيخ المنتفق عقيل السعدون مع عدد من عشائر كثيرة^(٢)، كما انتهز علاقته مع إنكلترا التي أصبحت وطيدة بعد توقيع معاهدة تسيير السفن البخارية في نهري دجلة والفرات بأن أرسل أملاكه ونفائسه إلى الهند؛ فضلاً عن ذلك قام بتجهيز نفسه للاتجاه نحو الهند خوفاً من بطش السلطان العثماني إن احتدت الأمور أكثر من ذلك^(٣).

وعندما سمع الباب العالي ما فعله داود باشا طلب مقابلة ترجمان القنصلية الإنكليزية في إستانبول، وأخبره عن الإشاعة التي تم تداولها حول نقل داود باشا لأمواله إلى الهند، كما أن السلطان حذَّره من مغبة مساعدة داود باشا في نقل أمواله، وما ينتج عن ذلك من سوء العلاقات بين البلدين إذا أقدمت إنكلترا على مساعدته، فما كان من الترجمان الإنكليزي سوى الإنكار، وقام بدحض تلك المعلومة؛ فضلاً عن ذلك طلب من الباب العالي أن يعفو عن داود باشا، ولكن رفض ذلك؛ بحجة أن داود باشا لا بد من عقابه بينما رأى السفير الإنكليزي إلا أن ينزل الباب العالي عن عقابه، ويسلم لأمر داود باشا، وجباية الأموال منه أفضل من هدر الأموال في سبيل القضاء عليه، ولكن السلطان العثماني كان مصراً على طلبه لإعادة الحكم العثماني المباشر على العراق^(٤).

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا وقفت إنكلترا إلى جانب داود باشا في محنته مع الباب العالي؟

يمكن القول: لقد شعرت إنكلترا بضرورة الوقوف إلى جانب داود باشا في محنته؛ لكونها تعدُّ أن من مقتضيات المصلحة لديها عدم تعرض تجارتها للخطر؛ فضلاً عن قبول داود باشا التقاهم مع إنكلترا، وسمح لها بمشاريع تسيير السفن البخارية على نهري دجلة والفرات، وهذا ما دفع الترجمان إلى مطالبة الباب العالي الاهتمام بالبصرة والمحافظة على أمنها واستقرارها^(٥).

(١) ويذكر فائق في كتابه: أن قاسم باشا الموصل العُمري، وهو عم الشاعر المعروف عبد الباقي العمري، فائق بك، تاريخ الكولة...، ص ٦١.

(٢) فائق، تاريخ الممالك الكولة...، ص ٥٩.

(٣) نوار، داود باشا...، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٤) عبد الله، تاريخ العراق...، ص ٣٦٠.

(٥) عبد الله، تاريخ العراق...، ص ٣٦٠.

وقد تزامن وصول علي رضا باشا اللاز إلى العراق مع تفشي مرض الطاعون بين صفوف داود باشا؛ فضلاً عن غرق أجزاء كبيرة من بغداد نتيجة فيضان نهر دجلة. وبهذا الصدد قال العزاوي: "إن هذا الداء كان من المصائب العظيمة على بغداد محا البيوتات الكثيرة، وقضى على الآثار بل هو البلاء على الممالك. سبب انقراض حكومتهم، ولولاه لما أمكن الاستيلاء على بغداد"^(١).

وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل : ما العوامل التي أدت إلى سقوط دولة المماليك وسيطرة الجيش العثماني على بغداد؟

عانت بغداد من مشاكل داخلية خطيرة عصفت بها، وهددت دولة المماليك بانحلالها، وأتاح هذا الوضع فرصة لعلي رضا باشا اللاز التدخل في شؤون بغداد والسيطرة عليها، وأدى التدخل إلى إنهاء الوجود المملوكي في العراق، ومن أهم تلك المشاكل كما لاحظنا الوباء الذي انتشر في تبريز وكركوك عام ١٨٣٠ ثم انتقل إلى كردستان واجتاح بغداد، وإزاء هذا الواقع أصبح الوالي العثماني داود باشا في موقف حرج، فاضطر إلى طلب المساندة من الوكيل السياسي تايلر (Taylor) في بغداد ليرشده إلى الأساليب الحديثة ليستطيع السيطرة على زمام الأمور في مقاومة الطاعون من خلال الحجر الصحي إلا أن أهالي بغداد وعلماءها رفضوا حماية أنفسهم من الطاعون، واتباع كامل إجراءات الحجر الصحي؛ لاعتقادهم أن هذا أمر الله لا مفر منه، وبذلك سمح لجميع القوافل القادمة من المناطق التي اجتاحتها المرض مثل شمال الدولة الفارسية، وشمال العراق الدخول إلى بغداد وهذا بدوره زاد من أعداد المصابين بالمرض^(٢). من هنا نجد أن كافة الإجراءات التي اتبعتها باءت بالفشل، ولم تمنع من تدهور الحالة الصحية في بغداد حيث كان لها أسوأ الأثر على الأهالي، وقد اقتضى الأمر إلى ازدياد انتشار المرض بين الأهالي كما لاحظنا الذين لم يكن لديهم سوى الفرار، وكان من يفر من بغداد يقع في أيدي العشائر التي سيطرت على جميع الطرق المتجهة إلى بغداد حيث تربصت في تلك المواقع للنهب والسلب، وعلى الرغم من ذلك استمرت حركة الفرار من المدينة.

وتحدث المؤرخ عبد العزيز نوار عن مدى فداحة الإصابات التي تسبب بها مرض الطاعون في بغداد بقوله: "بينما أخذ متوسط الوفيات يرتفع بسرعة فبلغ في الأيام الثلاثة الأولى ١٥٠ ضحية في اليوم، وفي ١٠ أبريل كانت ضاحية الكرخ، قد فقدت سبعة آلاف مواطن خلال أربعة عشر يوماً... بينما ارتفعت الوفيات في يوم ١١ أبريل ١٨٣١ إلى ١٢٠٠

(١) موسوعة تاريخ العراق... ج٦، ص ٣٦٠.

(٢) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٣١٨-٣١٩.

ضحية، وبلغ في الكرخ ١٠٤٠، وكان يوم ١٣ أبريل أسوأ يوم من الأيام في الوباء فقد بلغ المعدل ١٨٠٠ ضحية^(١).

كما تحدث الرحالة الإنكليزي جيمس ولستيد عن سوء الوضع في مدينة بغداد، وما تعرضت له من دمار بسبب هذا الوباء بقوله: "يبدو أن إصبع الله كانت تشير إلى هذه المدينة المقدسة... كان يموت كل يوم ألف شخص، وندب الموتى الذي كان قبلاً يملأ الجوع بلا انقطاع، وقد خمد الآن وتحول إلى صمت وهدوء مخيفين، ذلك أن الموتى تركوا بلا دفن في كل مكان"^(٢).

وجاءت الضربة الصاعقة في أواخر شهر نيسان عام ١٨٣١ عندما فاض نهر دجلة وانهار الجسر، فانسابت المياه، وتدفقت باتجاه الشوارع في بغداد، وأدت هذه الكارثة إلى هدم سبعة، آلاف بيت؛ فضلاً عن أن سرايا الوالي العثماني أصبحت خراباً؛ بسبب المياه التي غمرت المنطقة كما أن إسطبلات خيوله دُمّرت بشكل كامل؛ بسبب غمرها بالمياه، وهربت الخيول بغير هدى خوفاً من المياه^(٣).

وعلى إثر ذلك شعر الناس بالحيرة تتملكهم، فالوباء الفتاك في المدينة، وقطاع الطرق خارجها ونهر دجلة مهدداً مدينة بغداد بالغرق.

وهذا الواقع دفع علي رضا باشا اللار إلى محاولة استباق الوالي داود باشا في استعداداته خصوصاً بعد أن تبين له صعوبة الأوضاع الاقتصادية، والأعباء الصحية التي تعرضت لها مدينة بغداد؛ الأمر الذي جعله يتواصل مع وجهاء المدينة ويستميلهم إلى جانبه لكي يمهد الطريق أمام طموحه في السيطرة على بغداد، ووضعها تحت الحكم العثماني المباشر في الوقت نفسه كان والي بغداد داود باشا يعاني من خسائر فادحة انعكست سلباً في ظل التحديات الأمنية التي عانى منها؛ بسبب الظروف الصحية والطبيعية السيئة تشكلت عصابات تجتمع كل عصابة تحت قيادة رئيس يتمتع بنفوذ كبير تجتاح شوارع بغداد وتقتل الأحياء سلباً ونهباً، ويؤكد على ذلك الرحالة الإنكليزي ولستيد بقوله: "فعملية الموت التي تعهد الطاعون بتنفيذ النصف منها قد كملت الآن بأفعال هؤلاء الأشرار"^(٤).

(١) داود باشا...، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٢) جيمس ريموند ولستيد، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي، مكتبة النهضة العربية ومكتبة دار إحياء التراث العربي، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٠٤.

(٣) نوار، داود باشا...، ص ٢٦٠.

(٤) رحلتي إلى بغداد...، ص ١٠٥.

وفي ظل تلك الظروف جاءت الأنباء عن قدوم جيش عثماني بقيادة والي الموصل قاسم باشا العمري^(١) معه صفوق وسليمان الغنام إلى بغداد بأمر من علي رضا باشا اللاز؛ لمعاينة وضع بغداد بعد ما أصابها من أهوال الواقع، وتتحية والي داود باشا عن منصبه لحين وصول علي رضا باشا اللاز مع بقية الجيش العثماني، فعندما وصل قاسم العمري إلى الكاظمية قرأ الفرمان العثماني بتتحية والي داود باشا، وبعث هذا الفرمان إلى قاضي بغداد طاهر السيروزي الذي طلب من الأهالي أن يكونوا أوفياء لمطالب السلطان العثماني، وأن يخرجوا عن طاعة والي داود باشا واستقبال قاسم العمري والالتفاف حوله^(٢).

وما لبث أن سمع دوي مدافع أطلقها رجال قاسم العمري في بغداد ليرسل رسالة إلى الأهالي أنه جاء بمهمة القضاء على حكم المماليك، وتتحية والي داود باشا من الحكم، وعلى إثر تلك الحادثة قام مجموعة من الأهالي بالهجوم على سراي والي داود باشا، وإحراق باب من أبوابه أسفر ذلك عن اختفاء داود باشا عن مسرح الأحداث الذي قرر الاتجاه إلى أحد معارفه (حبيبة خانم)^(٣) برفقة مملوكه، وترك السراي^(٤).

ولكن وجهاء المدينة لم يحبذوا فكرة ترك والي داود باشا السراي بتلك الطريقة غير اللاتقة به؛ لذا طلبوا منه الاتجاه إلى بيت صالح بك^(٥)، واتفقوا معه أن يبقى فيه مقابل أنهم لن يسلموه حتى يأتي علي رضا باشا اللاز، وأخذوا ورقة تعهد من قاسم العمري؛ لضمان سلامته عام ١٨٣١، وعلى ما يبدو أن قاسم العمري استكان إلى مطالب الأعيان ليس من أجل استقرار المدينة، وإنما لكسب قرب الناس منه، وتحقيق أهدافه وطموحه بالوصول إلى كرسي الباشوية، وهذا الحلم لن يصبح حقيقة بوجود والي داود باشا، وبالتالي عزم على قتله إذا استطاع أن يأخذه من بيت صالح بك^(٦).

(١) قاسم باشا العمري هو قاسم بن حسن بن أحمد بن علي المفتي المعروف بأبي الفضائل آل العمري، وكان ذا رأي صائب، وحزم ثاقب، استلم الحكم في الموصل بعد استقالة والي أمين باشا، وتقلد زمام التدابير، فازداد قدراً وشأناً وعند دخوله مبعوثاً من قبل علي رضا باشا اللاز نشأت خصومة بينه وبين والي؛ مما أدى إلى قتله للمزيد. انظر: سليمان صانغ الموصل، تاريخ الموصل، ج ١، القاهرة، ١٩٢٣، ص ٣٠٥. سليمان فائق، تاريخ المماليك...، ص ٦١.

(٢) فائق بك، تاريخ المماليك الكولة...، ص ٦١-٦٢. نورس، حكم المماليك...، ص ٢٥٩.

(٣) زوجة محمد آغا من ملزمي رسوم الاحتساب، والذي كان قد توفي بمرض الطاعون. فائق تاريخ بغداد...، ص ٩٣.

(٤) العزاوي، موسوعة تاريخ العراق...، ج ٦، ص ٣٥٤-٣٥٥.

(٥) ويذكر سليمان فائق بك في كتابه تاريخ بغداد أن صالح بك الابن الثالث للوالي سليمان باشا الكبير. انظر: فائق بك، تاريخ بغداد...، ص ٩٣.

(٦) نورس، حكم المماليك...، ص ٢٦٠-٢٦١.

لذا أصر قاسم العمري على تسليم الوالي داود باشا إلا أن صالح بك رفض مطلبه قائلاً له: "إني الرجل إليكم لأنني أعلم أنكم قاتلوه لامحالة إذ هو صاحب غناء وثراء، فإذا تركته إليكم قال الناس إننا تقاسمنا مالهن وقتلناه طمعاً فيما لديه فنسأل عن أمواله، ونكون عرضنا أنفسنا لأمر عظيم، فأوقد أعيناي دفعك عنه بقوة البرهان، فاسمح لي به إلى الغد أسلمه إليك على مرأى، ومسمع من الناس، فأكون قد خرجت من يوم يلحقني"^(١).

وهكذا طلب منه أن يتأجل ذلك الأمر إلى اليوم التالي أمام مرأى الجميع، فعاد قاسم باشا إلى السراي خائب الرجاء منتظراً اليوم الموعود لتسليمه إليه.

عندما سمع الأهالي بما فعله قاسم العمري ونواياه لقتل داود باشا بلغ الاستياء مبتغاه بين صفوفهم سرعان ما اجتمعوا مع بعض وجهاء المدينة حول داود باشا الذي كان بحاجة إلى مساعدتهم ودعمهم له في الوقت الذي كان فيه قاسم العمري ومن معه يفرضون الضغط والقيود على الأهالي منتظرين اليوم الموعود لتسليم داود باشا^(٢).

وفي اليوم التالي طلب العمري من صالح بك أن يرسل داود باشا له، وأنه سوف يدعو كل الوجهاء ليتم تسليمه أمام أعيان البلدة في السراي، ولكن الأهالي هاجت أمام منزل صالح بك، ورفضت تسليم داود باشا له، واتجهت إلى السراي؛ لاقتحامه، وأفضى ذلك إلى سرقة السراي، وإضرار النار فيه بعد أن تم قتل المبعوث السلطاني قاسم العمري على يد المهاجمين في حزيران ١٨٣١^(٣).

مما ترتب على ذلك الحدث الجلل قام الأهالي ببعث رسالة إلى الباب العالي عن طريق المقيم الإنكليزي تايلر، ورسالة عن طريق الدولة الفارسية؛ من أجل الموافقة على العفو عن داود باشا، وتعيينه على الباشوية، أو ترشيح صالح بك والياً على العراق على أن يلتزموا على دفع عشرين ألف كيس للسلطنة العثمانية؛ فضلاً عن زيادة الأموال التي كانوا يدفعونها للسلطنة سنوياً بدلاً من ألفي كيس أربعة آلاف كيس؛ فضلاً عن دفع كافة تكاليف حملة علي رضا باشا على بغداد، وإن لم يوافق السلطان على ماقدموه من مطالب، فتمنوا عليه ألا يعين علي رضا باشا اللازم والياً على بغداد؛ بسبب خوفهم من ردة فعله بخصوص مقتل قاسم العمري المبعوث الذي أرسله ليجهز بغداد لقدمه^(٤).

(١) فائق، تاريخ الممالك الكولة...، ص ٦٦-٦٧.

(٢) نورس، حكم الممالك...، ص ٢٦١-٢٦٣.

(٣) فائق، تاريخ بغداد...، ص ٩٤-٩٩.

(٤) فائق، تاريخ الممالك الكولة...، ص ٧٢-٧٣. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق...، ج ٦، ص ٣٥٨-٣٥٩.

عز الدين، داود باشا...، ص ٥١.

من جهة أخرى، أرسل الأهالي رسالة إلى علي رضا باشا اللار أخبروه بضرورة التآني في القوم إلى بغداد حتى يصلهم جواب السلطان من مطالبهم، كما أنهم سيناضلون بكل قوتهم إن اجتاحت مدينة بغداد، وحينما علم علي رضا باشا اللار بمقتل قاسم العمري والاضطرابات التي حدثت في بغداد قرر التحرك مع جيشه من الموصل باتجاه بغداد إلى أن وصل مع بداية شهر تموز إلى الأعظمية، وهنا قام الأهالي بإغلاق أبواب المدينة بوجهه^(١).

إذاً هذه هي التدابير التي كان الأهالي يحاولون فيها إقناع الحكومة العثمانية بقبولها عن طريق المقيم الإنكليزي روبرت تايلر (Robert Taylor)، وعن طريق الدولة الفارسية نلاحظ أنها لم تلقَ صدًى أمام السلطان العثماني محمود الثاني الذي قرر بشكل نهائي حسم مصير الحكم المملوكي في العراق، وفرض السلطنة المركزية في الوقت الذي أراد فيه السلطان العثماني جعلهم عبرة لغيرهم من الولاة الذين أرادوا الاستقلال بولايتهم بعيداً عن سلطة السلطنة العثمانية، ومن أبرزهم الوالي محمد علي باشا في مصر^(٢).

وبناءً على قرار السلطان اتجه علي رضا باشا اللار نحو بغداد لفرض حصار كبير عليها؛ بغية فتحها أمام قواته للسيطرة على الباشوية في بغداد.

ويوضح لنا لونكريك حالة بغداد في حصارها من قبل علي رضا باشا اللار بقوله: "وما حل أيلول حتى كانت النتيجة في اليد، فقد أصبحت الحالة في بغداد لا تطاق. إذ كانت المنهوبات تعرض عرضاً علناً للبيع من دون خوف ولا خجل. وقل الطعام، ولم يصبح في متناول اليد، كما لم ير أحد اللحم بعينه بتاتاً ونضبت الخزائن، فنزلت جواهر الباشا نفسه للبيع بالمزاد وقد ساق الجوع والدسائس وكل تعاسة أخرى الأهالي إلى حيث ينفد الصبر".^(٣)

وعلى إثر ذلك قام الأهالي بالاجتماع الفوري بحضور الخبير الفرنسي ديفو الذي كان يعمل لدى داود باشا وعدد من وجهاء المدينة من أجل إنهاء الاضطرابات والدفاع عن المدينة أمام قوات علي رضا باشا اللار ورغم جهودهم لم يصلوا إلى نتيجة تذكر

وهنا لابد من التساؤل: ما الأخطار التي واجهت بغداد بسبب الاضطرابات التي حصلت

فيها؟

في الحقيقة يمكن القول: إن الدولة الفارسية لها مطامع في العراق منذ غابر الأزمان، وهذا الأمر أدركه وجهاء بغداد؛ لذا تخوفوا من عمل عسكري قد تقوم به الدولة الفارسية مستغلة الاضطرابات الحالية، ولكن من خلال متابعتنا للأحداث نرى أن الدولة الفارسية؛ كانت منهكة

(١) عز الدين، داود باشا...، ص ٥١.

(٢) قائق، تاريخ الممالك...، ص ٧١-٧٢.

(٣) أربعة قرون...، ص ٣٢٦-٣٢٧.

من خلافاتها مع روسيا كالدولة العثمانية، كما أن هناك دعوة للوقوف أمام الخطر الروسي والتعاون مع الدولة العثمانية، وهذا ما أثار مخاوف روسيا أن يحدث تعاون بينهما؛ فضلاً عن ذلك أن الدولة الفارسية كان لها نفوذ متجذر بشمال العراق من خلال دعمها للأمير باباني ضد الآخر لذا حسب رؤيتنا لواقع الحال ليس هناك أي خطورة على العراق في تلك الفترة من جانب الدولة الفارسية في ذلك الوقت؛ بسبب ظروفها الداخلية والخارجية؛ فضلاً عن أن لها نفوذاً في شمال العراق من زمن بعيد، ونتيجة مخاوف المجتمعين لم يستطيعوا أن يصلوا إلى قرار نهائي في اجتماعهم وهذا سبب خسارتهم كما سنرى فيما بعد^(١).

إذاً لم يستطع المجتمعون فرض إرادتهم على الدولة العثمانية، لكنهم لم يقوموا بأي عمل ضد الدولة العثمانية؛ خوفاً من بطشها وجبروتها تجاههم، فاستغل علي رضا باشا اللاز بذلكه وشجاعته لجعل الموقف لصالحه ببذل الأموال والتقرب من وجهاء العراق؛ فضلاً عن تفوقه العددي ومعنويات جنده العالية، وهروب بعض المماليك إلى معسكره بسبب الحصار الذي دام ٣ أشهر^(٢).

حاول الأهالي كسب المزيد من الوقت لإمكان تحقيق مطالبهم، ولكن دون فائدة فقد أرسل السلطان محمود الثاني رسالة إلى علي رضا باشا اللاز يحثه على إنهاء المهمة والعودة إلى إستانبول، فاستغل ذلك وتواصل مع الوجهاء في بغداد من أجل وقف الحصار مقابل التفاوض معهم فكان الملا حسين مندوباً من قبل الأهالي وحمدى بك من قبل علي رضا باشا اللاز، كما تعهد بعودة المفاوضين سالمين لإنهاء تلك الحالة من الاضطرابات وهددهم بعاقبة التمرد على السلطان، فلابد لهم من الانصياع لأوامر السلطان العثماني^(٣) فما كان منهم سوى الاستسلام.

دخلت قوات علي رضا باشا مدينة بغداد ١٧ أيلول ١٨٣١ من دون مقاومة، وطلبوا من داود باشا مقابلة علي رضا باشا اللاز خارج المدينة، وهنا سؤال يطرح نفسه: كيف تعامل علي رضا باشا اللاز مع داود باشا؟ يمكن الإجابة عن ذلك من خلال القول: إن علي رضا باشا اللاز استقبل داود باشا بحفاوة، وأدخله خيمته، وأسقاه من الفنجان الذي شرب منه القهوة؛ ليفهمه صفاء نيته تجاهه، وأنه لن يغدر به كما طلب داود باشا منه أن يحضر له ابنه الذي لم يتجاوز الخمس سنوات من عمره، فأعطاه ما يريد ثم جهز خيمة له سمح أن يستقبل فيها من يريد، ولم يضع حرساً لحراسته بل جلب له جميع ما يلزمه للسفر إلى الآستانة^(٤).

(١) نوار، داود باشا...، ص ٢٧١-٢٧٢.

(٢) فائق، تاريخ المماليك الكولة...، ص ٧٧-٧٨.

(٣) نورس، حكم المماليك...، ص ٢٦٧.

(٤) فائق بك، تاريخ المماليك الكولة...، ص ٧٩-٨٠ العزاوي، موسوعة تاريخ...، ج ٦، ص ٢٦٩-٣٧٠.

وإيماناً من علي رضا باشا اللاز بضرورة توجيه الرأي العام والتأثير فيه أرسل رسالة إلى الباب العالي تحدث فيها عن عدم قبول الولاة في العراق أمر عزلهم؛ خوفاً من الإعدام، وطلب من السلطان العثماني أن يعفو عن داود باشا؛ لمكانته العلمية وكبره في السن وذلك؛ ليكسب الطبقة المثقفة إلى جانبه في بدايه حكمه خوفاً من أن تثور عليه؛ مما أفضى هذا الأمر إلى العفو عن داود باشا من الإعدام^(١).

ويتضح مما سبق أن علي رضا باشا اللاز حاول كسب تأييد المماليك قبل دخوله إلى بغداد، وحاول أيضاً تحقيق تسوية معهم من خلال تعيينهم بأهم مرافق البلاد، ولكن بعد أن غادر داود باشا إلى إستانبول كشف عما كان يجول بخاطره تنفيذاً لأوامر السلطان بإقامة مذبحه بالمماليك^(٢) عندما طلب من جميع المماليك الحضور لسماع فرمان تعيينه على باشوية بغداد، وفي تلك اللحظة نادى على الجنود أن يطوقوا داره وأعطاهم إشارة لقتل جميع المماليك، وكان من بينهم صالح بك الذي تخلف عن الاجتماع، فاتجهوا نحو داره وأنزلوه عن حصانه وقتلوه، وقد قرأت فيما بعد أوامر الآستانة بقتل المماليك أينما وجدوا، وكان عدد منهم لم يحضر الاجتماع، ولكن أُلقي القبض على بعضهم، فنالوا ماكان ينتظرهم من مصير، وبقي منهم حوالي خمسة عشر رجلاً كانوا قد اختفوا عن الأنظار، فعفى عنهم الباشا فيما بعد^(٣). كما أصدر علي رضا باشا أمراً بأخذ أموال المماليك وثرواتهم، وبيعها في مزاد علني ثم إرسال المبالغ الناتجة عنها إلى الجيب الهمايوني^(٤) في إستانبول^(٥).

(١) ومن الجدير بالذكر أن والي داود باشا حتى وصل إلى إستانبول رحب به بعد أن عفى عنه، وولاه ولاية البوسنة سنة ١٨٣٣-١٨٣٦، ثم قام بتعيينه رئيس مجلس الشورى، وولاية ثم عين على أنقرة سنة ١٨٣٩، وثم عزل عنها ١٨٤٠ وثم طلب من السلطان العثماني عام ١٨٤٥ كسب العطف الخاص من السلطان عبد المجيد، وفاز بمنصب حامي العتبة المقدسة في المدينة عندما اتجه إلى الحرم النبوي، وبقي هناك حتى توفي، ودفن في البقيع سنة ١٨٥٠ لونكريك، أربعة قرون...، ص ٣٢٩.

(٢) وتذكرنا هذه المذبحه بمذبحه القلعة التي حدثت في مصر على يد محمد علي باشا عام ١٨١١م، عندما أقام حفلاً بحجة توديع ابنه طوسون لمحاربة الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية، فدعا إليه أمراء وبكوات المماليك ثم قضى عليهم. يوسف نعيصة، محمد حبيب صالح، تاريخ العرب الحديث والمعاصر (مصر والسودان)، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م، ص ١٧٩.

(٣) فائق بك، تاريخ المماليك الكولة...، ص ٨٠-٨١. عزالدين، داود باشا...، ص ٥٢.

(٤) يذكر العزاوي عن الجيب الهمايوني بقوله: "تكاليف أو ضرائب تؤخذ من كل مدينة سنوياً، فترسل مبالغها إلى السلطان، ويجوز أن يكون مقدارها متساوياً أو متفاوتاً بالنظر للولايات..، العزاوي، موسوعة تاريخ...، ج ٧، ص ١٨.

(٥) الوردي، لمحات اجتماعية...، ج ٢، ص ٨٢.

وهكذا انتهى حكم المماليك الذي دام أكثر من ثمانين عاماً، فعاد العراق إلى الحكم العثماني المباشر.

رابعاً- عودة الحكم العثماني المباشر للعراق والتدخلات الأوروبية في المنطقة:

أصبحت بغداد تحت الحكم العثماني المباشر بعد انتصار علي رضا باشا اللار على المماليك الذي حكم العراق مكافأة له طوال فترة حكم السلطان العثماني محمود باشا دون الأخذ بالحسابان مدى كفاية الوالي وقدرته على الحكم؛ لأن السلطنة العثمانية عدت ذلك الانتصار ساحقاً أمام مشروعها الذي تضمن فرض سلطتها المركزية على كامل أراضيها ولاسيما العراق.

بدأ حكم علي رضا باشا اللار في العراق باتباع سياسة لا تختلف عن سابقتها في الحكم كما أن التنظيمات الخيرية لم تؤثر فيه إلا قليلاً، ولكنه تمتع بصلاحيات كبيرة جعلته يمسك بيده كافة السلطات القضائية، والإدارية، والعسكرية، والمالية كما أنه كان إلى حد ما بعيد عن الإصلاح، ومن أهم الحوادث التي جرت في عهد علي رضا باشا اللار التي أدت إلى تداعيات سياسية خطيرة وأظهرت فشله، وعدم تمكنه من إحكام السيطرة على زمام الأمور في بغداد^(١).

أثبت سياسة علي رضا باشا اللار إخفاقاً كبيراً في إحكام السيطرة على القبائل، فقد حاول استتزاز قوة القبائل من خلال تحريض قبيلة على أخرى؛ لتقتل قوتها، ووحدتها، وزرع بذور الشقاق بين أمراء العشيرة الواحدة لإضعافهم^(٢)، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: كيف تعامل علي رضا باشا اللار مع العشائر العربية؟

وفي هذا السياق يمكن القول: إن سياسة الوالي العثماني لن تسمح بوجود قوى أخرى تهدد سلطته، كالعشائر العربية لذا حاول بسط سلطته على مناطق العشائر القوية في وسط، وجنوب العراق من خلال كسب تأييد شيوخ العشائر بتعيين كل شيخ على مشيخته، وفي الوقت نفسه تحريض شيوخ العشائر على بعضها.

حدثت ثورة في جنوب العراق ضد الوالي علي رضا باشا اللار في منطقة البصرة بقيادة متسلم البصرة عزيز آغا فقد انضم إليه فلول المماليك الهاربة من الوالي العثماني؛ فضلاً عن العشائر القوية التي دانت بالمذهب الشيعي المدعومة من قبل السلطة الفارسية التي ناصرت قضيته، وهي عشائر الفيليه الفارسية، وقام ابن شيخ تلك العشائر بتقديم المعونة والمساعدة لعزيز آغا الذي عمل على دعوة أهالي العراق للثورة ضد علي رضا باشا اللار؛ لعدّه اغتصب

(١) العزاوي، موسوعة تاريخ...، ج٧، ص١٥-١٦.

(٢) لونكريك، أربعة قرون...، ص٣٤٨-٣٤٩.

الحكم، وقام بتدبير مذبحه بحق المماليك الذين لهم الأحقية في الحكم إلا أن علي رضا باشا اللار لم يقف مكتوف الأيدي أمام هذا الخطر الداهم^(١).

وعلى ضوء معطيات الأحداث نرى أن علي رضا باشا اللار عين درويش آغا على البصرة؛ لأنه على عداوة ونزاع مع عزيز آغا، وله مركز قوي بين العشائر العربية في البصرة، كما أن علي رضا باشا اللار طلب من الدولة الفارسية بناء على معاهدة أرضروم الأولى المعقودة بين الطرفين؛ بضرورة الالتزام بحسن الجوار، وعدم مساندة المتمردين لدى كلا الطرفين، ونتيجة ذلك وقعت الدولة الفارسية بين أمرين: إما دعم ذلك المتمرّد وإثارة القلاقل ضد الدولة العثمانية، أو الوقوف على الحياد واحتواء الموقف^(٢).

في الواقع أن الدولة الفارسية وقفت على الحياد، واحتوت الموقف لصالح الدولة العثمانية ويرجع ذلك إلى وفاة شيخ عشائر الفيليه الفارسية التي كانت أكبر داعم للثورة؛ مما أصابها ضربة قوية في الصميم؛ فضلاً عن ذلك ضغط إنكلترا على الدولة الفارسية بوجوب الوقوف على الحياد أمام مشاكل الدولة العثمانية، ولاسيما الأزمة التي وقعت بينها وبين محمد علي، فعندما التجأ إليها الناصر عزيز آغا اضطرت الدولة الفارسية إلى تسليمه لعلّي رضا باشا اللار متمنية ألا يقوم بقتله، ولكنه عندما عاد إلى العراق قام بقتله ليظهر قوة السلطة العثمانية، وبذلك فشلت الثورة في تحقيق مطالبها بموت ذلك الناصر^(٣).

وتفيد المصادر أن علي رضا باشا اللار انهمك في البحث عن الأموال لدفع مرتبات جنوده المتأخرة؛ فضلاً عن الأموال التي وعد السلطان العثماني بدفعها، فما كان من جنوده إلا القيام بعمليات السلب، والنهب، والدخول إلى بيوت الأهالي بحثاً عن مصادر الثروة والأموال؛ مما أثار غضب الشارع العراقي للحكم العثماني المباشر على الرغم من أن المفتي عبد الغني زادة قد نصحه بالكفّ عن تلك الأفعال المشينة من قبل رجاله^(٤).

كما تأثر العراق بواقع جديد هزّ أركان السلطنة العثمانية وهي الانتصارات والتوسع المصري في بلاد الشام على الجيش العثماني، فظهرت الحاجة الملحة إلى إعداد مستلزمات للوقوف بوجه التوسع المصري، ولاسيما بعد أن طلب الوالي المصري من مدن العراق بالثورة على السلطنة العثمانية، وبذلك بدأ عدد كبير من العراقيين الالتحاق بتلك الثورة كالوالي يحيى الجليلي الذي سيطر على الموصل باسم الدولة المصرية، وأعلن صفوق شيخ عشائر شمر

(١) نوار، تاريخ العراق...، ص ٦١-٦٢.

(٢) نوار، تاريخ العراق...، ص ٦٢. عبد العزيز نوار، ثورة ١٨٣٢ في العراق، مجلة الهلال، العدد ٢، فبراير، ١٩٦٥، ص ٢٤.

(٣) عبدالله، تاريخ العراق...، ص ٤١٩.

(٤) نوار، ثورة ١٨٣٢...، ص ٢١.

الجريا أيضاً انضمامه لتلك الثورة، فما كان من أهالي بغداد سوى البحث عن قائد ليجمعوهم في تلك الظروف السيئة، فوقع اختيارهم على عبد الغني زادة^(١)؛ للوقوف بوجه الوالي علّهم يتخلصون من الوجود العثماني عن طريق انضمامهم للتوسع المصري^(٢)، وهذا ما أثار مخاوف إنكلترا التي وجدت نفسها أمام مفترق طرق لا بدّ من تقويض الحركة الشعبية؛ لمنع اختلال التوازن الدولي في المنطقة، فقامت من خلال دبلوماسيتها بالضغط على الدولة الفارسية بالوقوف على الحياد أمام تلك الثورات^(٣).

كما حضت إنكلترا الدولة العثمانية على إنهاء تلك الثورات وتشتيت شملها؛ لأن من مخاطر تلك الثورات تهديد مصالح إنكلترا في العراق.

والسؤال الذي يطرح نفسه، ما أهداف إنكلترا في العراق خلال فترة الحكم العثماني المباشر له أيام حكم الوالي علي رضا باشا اللاز؟

يمكن الإجابة عن ذلك بالقول: إن إنكلترا بدأت تتغول في العراق من الناحية الاقتصادية والسياسية خلال فترة حكم المماليك، ولكن نشاطاتها أخذت تتوسع بحرية أكثر من ذي قبل، ولاسيما أيام حكم الوالي علي رضا باشا اللاز، فقد قامت بالتدخل في شؤون العراق وربطه بسياساتها في المنطقة كما أن الوالي العثماني علي رضا باشا اللاز أصدر مرسوماً أشار فيه إلى التزامه بالاتفاقيات المعقودة بين الدولة العثمانية وإنكلترا.

وبذلك نرى أن حكم علي رضا في العراق جعل من العراق ساحة للمصالح الإنكليزية، ولاسيما في نهري دجلة والفرات، فقد قامت عام ١٨٣١ بإصدار أمر لإعداد دراسات مهمة من قبل ضباطها في البحرية عن العراق لإمكانية تأسيس ملاحية في نهري دجلة والفرات من أجل استعمال العراق كطريق إلى الهند^(٤).

(١) السبب المباشر للانتفاضة: أن جلاوزة الوالي لم يحترموا حماية المفتي لأرملة رضوان آغا، وكانت سيدة مملوكية، فقبضوا عليها وعذبوها، لأخذ المشارب النحاسية المليئة بالذهب، وهذا الأمر أغضب المفتي فقدم احتجاجاً لدى الوالي عما فعله الجلاوزة بحق المرأة المملوكية، ولكن لم يلقَ آذاناً مصغية، خرجت مظاهرة من محلة قنبر علي باتجاه السراي في عام ١٨٣٢م. الورد، لمحات اجتماعية...، ج٢، ص ٩٠.

(٢) أشار تقرير هيأته الإدارة المصرية في حلب عن الانتفاضة التي حصلت في بغداد ضد علي رضا باشا اللاز التي قادها مفتي بغداد عبد الغني آل جميل الذي يكشف فيها عن انحياز أهل بغداد للانتفاضة، وأن السكان كانوا ينتظرون الانضمام والتنسيق مع الإدارة المصرية، وكما أن التقرير يوضح موقف العشائر التي انحازت للقيادة المصرية. للرجوع إلى نص الوثيقة رقم ١٧ترجمة الوثيقة رقم ٦٨ من المحفظة رقم ٢٣٨ عابدين بتاريخ الإثنين ٨ ربيع الآخر ١٢٤٨ رؤوف، العراق في وثائق...، ص ٣٥-٣٧.

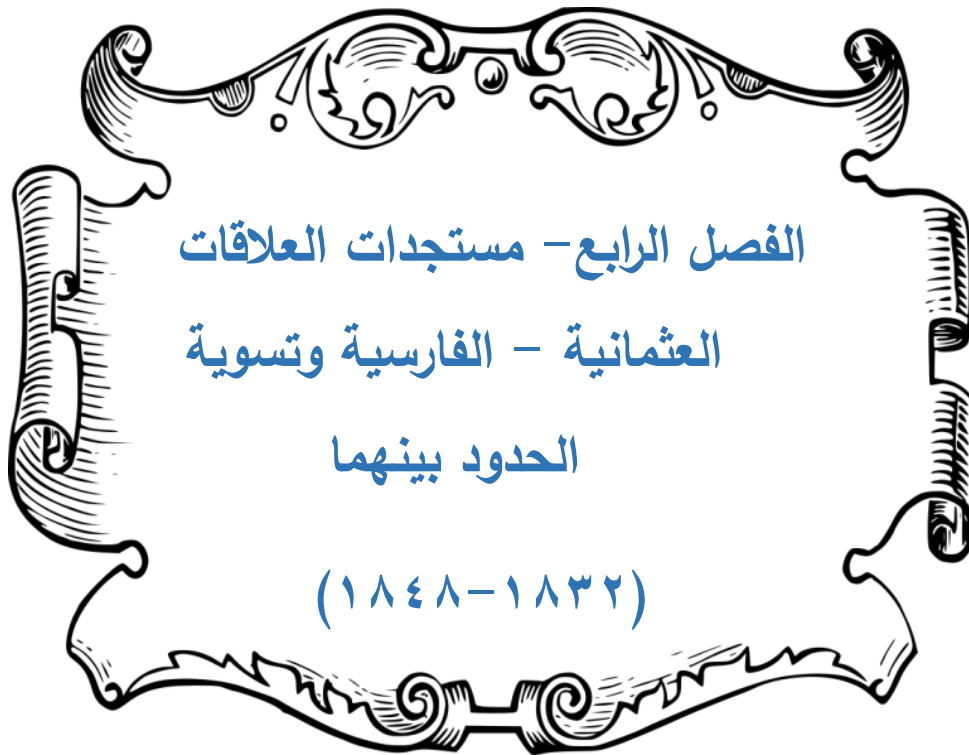
(٣) عبدالله، تاريخ العراق...، ص ٤١٩-٤٣٠.

(٤) المحمدي، النشاط الملاحي...، ص ٤٢.

لذا كان من مصلحة إنكلترا إنهاء تلك الخلافات العشائرية والثورات التي قامت ضد الباشا كما لاحظنا، ومن ضمنها ثورة المفتي التي استطاع فيها الوالي أن يشتت شمل المتظاهرين من خلال تسليط مدافعه على محلة قنبر علي فأشعل فيها النار، وقد نهبت دار المفتي، وأحرقت مكتبته الثمينة. هرب المفتي لمدة سنة ثم عاد إلى بغداد، وظل طيلة حياته ساخطاً، وعبر عن غضبه بقصائد شديدة اللهجة، ولم يقبل المساومة مع الوالي^(١).

إذاً استطاع الوالي القضاء على الثورات التي طالت البصرة وبغداد، وعدداً من المناطق العراقية، فأصبح العراق بيد الباشا العثماني علي رضا باشا اللاز الذي لم يكن بمنأى عن الأوضاع الإقليمية والدولية، وكان ساحة صراع للدول الأجنبية، والدولتين العثمانية والفارسية.

(١) الوردي، لمحات اجتماعية...، ج٢، ص ٩٠.



- أولاً- توتر العلاقات العثمانية - الفارسية وأثرها على العراق ١٨٣٧-١٨٤٢ .
- ثانياً- أزمة كربلاء التي عدت عقبة أمام التسويات السلمية بين الدولتين العثمانية - الفارسية ١٨٤٣
- ١-أسباب أزمة كربلاء.
 - ٢-مجريات الأزمة.
 - ٣-أبرز المواقف الإقليمية والدولية من أزمة كربلاء وأثرها على العلاقات العثمانية - الفارسية.
 - أ- موقف الدولة العثمانية.
 - ب- موقف الدولة الفارسية.
 - ج- موقف إنكلترا.
 - د- موقف روسيا.
- ٤-نتائج أزمة كربلاء وأبعادها في تاريخ التنافس العثماني - الفارسي.
- ثالثاً- الأسباب التي أدت إلى عقد معاهدة أرضروم الثانية بين الدولتين العثمانية والفارسية ١٨٤٣-١٨٤٨ .
- رابعاً- النتائج التي تمخضت عن معاهدة أرضروم الثانية بين الدولتين العثمانية - الفارسية ١٨٤٣-١٨٤٨. وأثرها على العراق.

أولاً-توتر العلاقات العثمانية الفارسية وأثرها على العراق (١٨٣٧-١٨٤٢):

اجتاحت السلطنة العثمانية في القرن التاسع عشر أحداثاً عاتيةً هي قيام دويلات مستقلة عن السلطنة العثمانية كما لوحظ، فقد هبت ضدها ثورات من أجل الاستقلال أسوة بولاية مصر، وطالبت تلك العشائر بالاستقلال، أو بالحكم اللامركزي يدفعها لذلك تشبعها بتلك الروح الجديدة ألا وهي روح الحرية، وإنشاء دولة مستقلة عن السلطنة العثمانية إلا أنها فشلت في تحقيق ذلك الاستقلال بعد أن قام الوالي العثماني علي رضا باشا بالازم بإنهاءها عن طريق سياسة فرق تسد بين العشائر، ومساندة إنكلترا له^(١).

وكرر فعل لسياسة الدولة العثمانية في العراق حاولت الدولة الفارسية التدخل لدعم تلك الثورات، إلا أن إنكلترا وقفت بوجهها وأجبرتها على الوقوف على الحياد؛ فضلاً عن أوضاعها التي جعلتها تقف على الحياد في ظل الأزمات التي مرت بها السلطنة العثمانية. وفي الوقت نفسه عانى الأهالي من الضرائب الباهظة التي فرضت عليهم؛ فضلاً عن نظام الالتزام^(٢) الذي أرهقهم فجعلهم بحالة من عدم الاستقرار^(٣).

وفي تلك الأثناء بدأت قوة كعب الفلاحية بالضعف والاندثار، فقام بعض عشائرها الاتجاه إلى مصب نهر كارون، وأدى هذا الأمر إلى انقسام بني كعب إلى قسمين: القسم الأول تواجد في الفلاحية، والقسم الثاني أسس مدينة المحمرة واستقر بها وبذلك أصبحت إمارة المحمرة^(٤) لها كياناً في عهد الشيخ جابر استطاع أن يثبت دعائم إمارته؛ إذ استطاع أن يتماهى مع الدولتين

(١) عبد الله، تاريخ العراق...، ص ٤١٦-٤١٨.

(٢) الالتزام: يعني نظام الالتزام في جباية الضرائب قيام الدولة بمنح أحد الأشخاص يسمى الملتزم حق جباية ضريبة الضرائب لقاء مبلغ معين متفق عليه، يقوم بدفعه لها سنوياً، وقد اتبعت الدولة العثمانية هذا النظام منذ زمن بعيد وحاولت إبطاله في عهد التنظيمات ولكنها لم تفلح إلا في إلغائه لبعض الضرائب والرسوم، ولكن استمر بعضها الآخر يستوفي بطريقة الالتزام. للمزيد: جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٩٩١، ص ٣٨٠.

(٣) عبد الله بن علي آل خليفة، دراسات التنافس التركي - الإيراني على العراق من القرن الخامس عشر حتى معركة الموصل، مكتبة الملك فهد، الرياض، ٢٠١٧، ص ١٤-١٥.

(٤) المحمرة أبدل الفرس اسمها إلى خرمشهر، وتقع عند مصب نهر كارون في شط العرب، شيدها يوسف بن مرداد، وهو من شيوخ قبيلة البوكاسب عام ١٨١٢ على بقايا مدينة كانت قائمة هناك قبل ستة قرون، هي مدينة خاراكس التاريخية، واشتقت تسمية المحمرة من كون أرضها نتيجة تسربات الغرين الأحمر عند مصب نهر كارون، فأصبح ترابها أحمر، ومنه أخذ اسمها. مصطفى عبد القادر النجار، إمارة المحمرة دراسة لتاريخها العربي ١٨١٢-١٩٢٥، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١، ص ٧. عائدة العلي سري الدين، الأحواز عريستان إمارة دائرة النسيان، بيسان، بيروت، ٢٠١٦، ص ١٩.

العثمانية والفارسية إلا أن علي رضا باشا اللار قام بحملة على المحمرة^(١) وهنا يدفعنا إلى التساؤل: ما أسباب حملة علي رضا باشا اللار على المحمرة؟

يمكن إجمال تلك الأسباب بالآتي:

١- تأسيس ميناء تجاري مهم في المحمرة أصبح يضاهي ميناء البصرة على شط العرب وبندرعباس؛ لكونه ترسو فيه السفن القادمة من الدولة الفارسية والكويت، وهذا لم يُرضِ الولاة العثمانيين؛ لأن ذلك يؤدي إلى خفض مكانة ميناء البصرة، ويذكر لوريمر ذلك بقوله: "وكان الدافع الذي ينسب عادة له هو الغيرة من ازدهار المحمرة التي كانت بسبب عدم فرضها ضرائب جمركية تستحوذ على تجارة البصرة؛ مما أضر بالدخل التركي العام"^(٢).

٢- النزاع المستمر بين الدولة العثمانية والفارسية على تبعيتها لكل منهما، وتأكيد السيادة عليها ومن الادعاءات العثمانية أن بني كعب عند قدومهم من نجد أخذ ولاية البصرة وبغداد وضعهم في مكان يدعى السابلة الذي يبعد حوالي كم عن الجهة الشرقية من المحمرة؛ فضلاً عن وجود سندات طابو البصرة تؤيد ملكية تلك الأراضي لولاية البصرة العثمانية، كما قام الباب العالي بإصدار عدة فرامات سلطانية؛ فضلاً عن ذلك أن أهالي مدينة المحمرة لهم أراضٍ واقعة في الجانب الشرقي منها يؤدون الضرائب إلى الدولة العثمانية في أثناء دفعها بخزينة البصرة^(٣)، وكان الشيخ جابر يتماشى مع كل من الوالي العثماني والشاه الفارسي؛ ليكسب تأييدهما وثقتهم، كما أنه كان يسكن في كوت الزين في البصرة، إلا أن هذه السياسة لم تدم طويلاً؛ بسبب التنافس بين الدولتين، ولكنهما لم يمارسا الحكم الفعلي فيها بقدر ما كانت سلطة اسمية عليها^(٤).

٣- الغارات المستمرة على ميناء البصرة من قبل بني كعب، ومنها الغارة التي شنوها على إثر عزل الوالي المملوكي داود باشا؛ مما أثار حفيظة السلطنة العثمانية ضدهم^(٥).

٤- انشغال الدولة الفارسية بأمورها الداخلية، ومنها حصار مدينة هرات^(٦).

(١) محمود عبدالله، كشف الأحواز من الإنكليز تقرير عسكري حول عربستان (المنطقة رقم ١٣) تم جمعه من قبل القيادة الجوية في العراق، دار دجلة، عمان، ط١، ٢٠١٩ ص ٧٧.

(٢) دليل الخليج القسم التاريخي، ج ٤، ص ٢٤٣٧.

(٣) النجار، إمارة المحمرة...، ص ٩-١٠.

(٤) علي نعمة الحلو، المحمرة مدينة وإمارة عربية، مديرية الإعلام العامة، دائرة شؤون الخليج العربي، العراق، د.ت، ص ٥٨ إبراهيم خلف العبيدي، الأحواز أرض عربية سليبية، ص ٢٧. علي نعمة الحلو، الأحواز عربستان، ج ٣، ص ١٣. العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٧، ص ٤٨.

(٥) الحسناوي، إمارات شمال الخليج...، ص ٧٧-٧٨.

(٦) يرجع حصار مدينة هرات إلى عهد محمد شاه بن عباس حيث اعتدى حاكم هرات الأفغاني على بعض الأراضي الفارسية، فساق الشاه عساكره لتأديب هذا المعتدي، وفتح بطريقه عدد من المدن، وأخيراً حاصر مدينة هرات، وكاد أن يفتحها لولا دعم إنكلترا للحاكم الأفغاني التي دعت أن هرات مفتاح الهند، فجاءت السفن

٥- تحريض القنصل الفرنسي فونتاييه^(١) للوالي العثماني للاستيلاء على المحمرة كما ساندته في إدارة المعركة، وتجهيز الخرائط له؛ خوفاً من أن تقوم إنكلترا بذلك، وتجعلها من مناطق نفوذها؛ بسبب المنافسات الفرنسية الإنكليزية للوصول إلى الهند ذرة التاج الإنكليزي^(٢).

٦- الخلاف القائم بين كل من شيخ كعب وشيخ المحمرة على سيادة المنطقة^(٣).

تولّى الحاج جابر رئاسة الإمارة بين عامي (١٨٢٩ - ١٨٨١)، فقد استطاع أن يكسب ثقة رعاياه وتأييد الدول المجاورة له إلا أنه تعرض لهجوم الوالي العثماني علي رضا باشا اللاز بمساندة عدد من القبائل العربية، مثل عقيل، وطبي، وزيد، وعدد من القبائل الجنوبية والنجدية،^(٤) واتجه الشيخ جابر الصباح شيخ الكويت^(٥) مع قواته إلى البصرة، ثم باتجاه المحمرة لمساندة الوالي العثماني في هجومه على مدينة المحمرة، فقد نصب جسراً على شط العرب قريباً من معسكره، وأمر جنوده بالعبور، والتوجه نحو المحمرة، ولما وصلت الجيوش إلى نهر الدربند قسم جيوشه إلى قسمين:

القسم الأول: يقوم باحتلال المحمرة عن طريق البر.

الإنكليزية، وضربت بعض الثغور الفارسية، فاضطر الشاه رفع الحصار عن مدينة هرات في ٩ سبتمبر ١٨٣٨. آشتياني، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ٨٠٢. علي اصغر شميم، إيران در دوره سلطنت قاجار، انتشارات بهزاد، تهران، ١٣٨٧، ص ٧٩. بيتر آروى، تاريخ معاصر إيران از تأسيس تا انقراض سلسله قاجاريه، ترجمه: محمد رفيعى مهر آبادى، انتشارات عطايى، تهران، ١٣٧٣، ص ١٠٧-١٠٨.

(١) فونتاييه: تم تعيينه قنصلاً لفرنسا في البصرة بعد القضاء على المماليك في العراق، وكان له دور كبير في إيصال المعلومات عن العراق وعربستان ومدى تقدم الإنكليز فيها. النجار، التاريخ السياسي لإمارة عربستان، ص ٥٥.

(٢) النجار، التاريخ السياسي...، ص ٥٥-٥٦. سري الدين، الأحواز عربستان...، ص ١١٦. محمود طلوعى، هفت پادشاه: ناکفته ها از زندگى و روزگار سلاطين قاجار، جابخانه مهارت، جلد اول، تهران ١٣٧٧ هـ، ص ٥٥.

(٣) سري الدين، الأحواز - عربستان في...، ص ١١٥.

(٤) خير الله طلفاح، الأحواز عربية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٢، جزء ٢٧ قسم الثاني، ص ٢٥.

(٥) جابر بن عبد الله الصباح: ثالث حكام الكويت من أسرة آل صباح تولى الحكم بعد وفاة والده الشيخ عبد الله بين عامي ١٨١٥-١٨٥٩، ويقدر عدد سنوات حكمه مع حكم ابنه صباح أكثر من خمسة وخمسين عاماً، ولقب بجابر العيش؛ لكرمه إذ كان يفرش البسط في الأسواق، ويطعم المحتاجين من الرز، وتميز بطول حكمه للكويت. أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث ١٧٥٠-١٩٦٥، ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٨٤، ص ١٦٩. عبد الله بن محمد البسام، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، دراسة وتحقيق: إبراهيم الخالدي، شركة المختلف للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١، ٢٠٠٠، ص ٢٦٥.

الفصل الرابع - مستجدات العلاقات العثمانية - الفارسية وتسوية الحدود بينهما ١٨٣٢ - ١٨٤٨ ١٥٩

أما القسم الثاني: يقوم باحتلال المحمرة عن طريق البحر، وانضمت إليه قوة الشيخ جابر شيخ الكويت^(١).

فتم لهم ذلك بدك حصونها من البر والبحر، ودام القتال ثلاثة أيام، وتم بعدها لعللي باشا الاستيلاء على مدينة المحمرة في عام ١٨٣٧ بعد أن تراجعت قوات الحاج جابر بن مردادو شيخ المحمرة، كما أن مدينة الفلاحية تعرضت لهجوم من قبل قوات علي رضا باشا اللار اضطر شيخها ثامر بن غضبان (١٨٣٧-١٨٣٢) إلى تركها إلى هنجيان، وعين بدلاً عنه عبد الرضا بن بركات^(٢) بعد أن أنزل فيهم أقسى العقوبات عدا عن السلب والنهب الذي اباحه في المدينة^(٣).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المحمرة تركها علي رضا باشا اللار دون أن يعين عليها حاكماً عثمانياً، كما أنه لم ينظم إدارتها، أو يربطها بالبصرة، وهذا ما حدا ببعض الباحثين توجيّه اللوم له، ووصف حملته أنها ليست سوى سلب ونهب وغزو ثم رجع إلى الكويت مع الشيخ جابر الصباح الذي ساعد على إرساء دعائم حكمه ونفوذه في منطقة الأحواز، وإنهاء تواجد بني كعب في البصرة^(٤).

ولم تستطع إجراءات علي رضا باشا أن تدوم طويلاً في الأحواز، فسرعان ما رجع الحاج جابر إلى المحمرة، ومنها عقد العزم لمقاتلة علي رضا في الكويت، فتمت المقاتلة، وتفاهما على تولي الحاج جابر شؤون المحمرة دون أن تعرض له الدولة العثمانية في المستقبل ولاءً رمزياً، وبذلك قام الحاج جابر ببنائها بعد خروج العثمانيين منها وعادت إلى سابق عهدها^(٥).

اقتربت تلك السنوات التي قضاها شيوخ الأحواز بالدبلوماسية بين الطرفين بنتائج خطيرة حيث رفضوا التنازل عن سيادتهم لإحدى الدولتين؛ الدولة الفارسية والدولة العثمانية كما أن

(١) علي نعمة الحلو، الأحواز عريستان إمارة كعب العربية في المحمرة، ج ٣، ص ١٣-١٤.

(٢) وعن تلك الحادثة يقول الشاعر عبد الباقي العمري:

فتحنا بحمد الله حصن المحمرة فأضحت بتسخير الإله مدمرة
بسيف علي ذي الفقار الذي لنا لقد أخلصت صقلايد الله جوهرة
وجابر أورثناه كسراً بكعبه وليس لعظم قد كسرنه مجبرة

تجدر الإشارة إلى أن علياً ذي الفقار المقصود به علي رضا باشا اللار. للمزيد والاطلاع على كامل القصيدة انظر الأحواز عريستان إمارة كعب العربية في المحمرة، ج ٣، ص ١٤-١٨.

(٣) العزاوي، موسوعة تاريخ العراق....، ج ٧، ص ٤٨.

(٤) العزاوي، موسوعة تاريخ العراق....، ج ٧، ص ٥٠.

(٥) النجار، التاريخ السياسي لإمارة عريستان....، ص ٥٧. ج، لوريمر، عريستان في الوثائق البريطانية ١٦٠٠-١٩٠٠ من دليل الخليج للوريمر، إعداد وتقديم، ماجد شبر، الوراق للنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٢، ص ١٢٢-١٢٣.

الوعي القومي قد زاد بترايط بين الإقليم، وبقية المدن العراقية، ولاسيما البصرة، وذلك ناتج عن ضريبة الدم؛ فضلاً عن العوامل الجغرافية والتاريخية والبشرية.

وشكّل احتلال المحمرة من قبل الوالي العثماني علي رضا باشا اللاز ضريبة مؤلمة تركت آثاراً عميقة في الدولة الفارسية، وأول هذه الآثار هو ازدياد النعمة على الدولة العثمانية؛ لكونها أفقدتها ميناء مهماً لمنافسة ميناء البصرة.

وكان رد فعل الدولة الفارسية إزاء حملة علي رضا باشا اللاز هذه عنيفاً، فقد بادر السفير الفارسي في الدولة العثمانية الاحتجاج لدى الدولة العثمانية على سماحها لعلي رضا بإرساله تلك الحملة على المحمرة واحتلالها، وأبلغهما بضرورة إعادة المحمرة للدولة الفارسية مؤكداً حق الدولة الفارسية في الإقليم، وإن لم تستجب الدولة العثمانية لذلك سوف تتوتر العلاقات بينهما وتؤدي إلى حرب فيما بينهما^(١).

ومما يذكر أن الباب العالي كان قد أرسل قاسم أفندي إلى بغداد للتأكد من الادعاءات الفارسية؛ لكونها لم ترد تصعيد الأزمة بين الدولتين أكثر من ذلك^(٢).

وكان قاسم أفندي زار بغداد ناقلاً إلى الوالي احتجاج الحكومة الفارسية، وتعليمات الدولة العثمانية بضرورة التعامل مع زوار العتبات المقدسة بال صداقة والأخوة، وأكد ضرورة الالتزام بعدم فرض ضرائب غير القانونية.

ونتيجة ردود الفعل الفارسية اجتمع علي رضا باشا اللاز مع الوفد الفارسي، وقد أبدى ذلك الوفد امتعاضه الشديد من الحملة على المحمرة، ولكن علي رضا باشا اللاز أكد تبعية المحمرة للدولة العثمانية؛ لكونها جزءاً من ولاية بغداد، كما طلب من السفير الفارسي معاينة المنطقة والاستفسار من السكان المحليين أصحاب الأرض لمن عائدة بالقول: "الآن وقد ادّعت الدولة الفارسية ملكيتها للمحمرة، وطالبت تبعاً لذلك بالتعويض والإرضاء، فإن هناك نقطتين محل خلال عليهما، الأولى هي الحال، والثانية هي المحل. فإذا ثبت أن المحل وهو المحمرة وتوابعها تعود إلى الحكومة الفارسية، حينئذ سيكون الحال أيضاً تابعاً لمحل ادعاء الحكومة الفارسية، وسيكون حقاً مسجلاً؛ لذا يجب التحقق من موضوع (المحل) ثم يصار إلى مناقشة الحال"^(٣). ولكن الوفد الفارسي رفض ذلك الاقتراح وظلت المسألة عالقة بين الطرفين.

(١) R. K. Ramazani, The Persian Gulf Iran's Role, University of Virgian, 1972.p55

(٢) نيزك سعيد عبد الكريم، الإدارة العثمانية في إيالة بغداد (١٨٣١ - ١٨٦٩) إشراف: د. جميل موسى النجار، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية التربية، جامعة المستنصرية، قسم التاريخ، ٢٠١٢، ص ١٠٨

(٣) ميرزا جعفر خان (مشير الدولة)، رساله تحقيقات سرحدیه، باهتمام محمد مشیری، انتشارات بنیاد فرهنگ ایران، ١٣٥٠هـ، ص ٣٤.

لم يقتصر رد فعل الدولة الفارسية على هذا الأمر فقط بالاحتجاجات السلمية؛ بل كُلف معتمد الدولة منوشهر خان بالسيطرة على منطقة جنوب غرب الدولة الفارسية، فزحف نحو عريستان، واستولى عليها وعلى المحمرة، وزحف صوب البصرة وأجبر عشائر بني لام الفرار إلى داخل الأراضي العثمانية تاركة مراعيها عند سفوح جبال لورستان^(١).

كلّفت الحكومة الفارسية قنبر علي خان أحد رجال البلاط بالتوجه إلى بغداد لمطالبة والي علي رضا بدفع تعويضات مالية نظير الخسائر التي لحقت بالمحمرة وسكانها، وأكدت عليه بأن الدولة الفارسية ستجد نفسها مضطرة لأخذها بقوة السلاح في حال عدم رضوخه لمطالبه^(٢).

ومما زاد من المواقف الساخنة تمرّد حاكم السليمانية عبد الله باشا بابان والمعروف بتعاطفه مع الدولة الفارسية عليها وتضامنه مع والي بغداد علي رضا لما قدمه من مواقف صلبة تخصّ التعويضات المالية التي طلبتها الدولة الفارسية، وما عبرت عنه من استنكار وامتناع لحملته على المحمرة، وعلى إثر ذلك قامت الدولة الفارسية بتجهيز حملة عسكرية على منطقة السليمانية للقضاء عليه، وتعيين محمود باشا، ولكن سرعان ما انتهت الحملة باندحار القوات الفارسية إلى داخل حدودها، وقد أدى هذا القتال إلى قيام الدولتين باستنفار قواتهما^(٣).

لقد أكد علي رضا باشا اللازم أن الدولة الفارسية حاولت دائماً خلق اضطراب في العلاقات العثمانية الفارسية وإثارتها للمشاكل؛ بسبب احتجاجها على الاستيلاء العثماني غير المشروع؛ لأنها أرادت أن تتملص من الالتزام بالمعاهدات السابقة .

(١) نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ٣٣٢.

(٢) حسن مجيد الدجيلي، إيران والعراق في خمسة قرون، دار الأضواء، بيروت، ط ١، ١٩٩٩، ص ٨٧.

(٣) اشتياني، تاريخ إيران بعد الاسلام...، ص ٨٠٢.

ثانياً- أزمة كربلاء التي عدت عقبة أمام التسويات السلمية بين الدولتين العثمانية - الفارسية ١٨٤٣:

١- أسباب أزمة كربلاء:

لا يمكن حصر أسباب حصر أزمة كربلاء واختزالها بنقاط محددة؛ إذ تتعدد الأسباب نظراً؛ لتعقدها وتشابكها منها على مستوى الإيديولوجيات لدى الدولتين، وأخرى تتعلق بالمصالح الدولتين الفارسية والعثمانية، حيث أرادت كل من الدولتين السيطرة على المنطقة للحيلولة دون صعود الأخرى على الساحة، ولاسيما في مناطق العتبات المقدسة، وكان الخاسر الأكبر تلك المناطق التي عانت من عدم استقرار.

ومن هذه الأسباب يمكن الإشارة إلى الآتي:

أ- أبدت الدولة الفارسية خيفة من النفوذ الإنكليزي في العراق التي عدته مركزاً استراتيجياً لها؛ لكونه طريقاً برياً إلى الشرق، ومنعت من توغل أي دولة في منطقة العراق والخليج العربي، ولاسيما بعد حصولها على امتيازات كبيرة من الدولة العثمانية، وأصبحت لها الكلمة العليا في تجارة بغداد والبصرة؛ لحرصها على ابقاء نفوذها في منطقة الخليج العربي عن طريق شركة الهند الشرقية، وهذا مآشكلاً خطراً كبيراً على الدولة الفارسية التي كانت تتربص الأوضاع عن كثب، وأرادت أن يكون لها موطئ قدم في المنطقة^(١).

ب- تحقيق هيمنة مطلقة على مدينة كربلاء لما تتمتع به من مكانة مهمة في العراق؛ فضلاً عن ذلك لما تتوفر فيها من مزايا دينية وعلمية لذلك حرصت كل من الدولتين العثمانية والفارسية على إمساك زمام الأمور في تلك المدينة، فقد كانت مدينة كربلاء يجتمع فيها عدد من رعايا الدولة الفارسية ما بين تجار وزوار وطلبة العلوم الدينية؛ فضلاً عن ذلك رجال الدين المجتهدين والهدف من هذا الأمر زيادة عدد رعاياها في المنطقة، وتحدث ذلك قايماً عن ذلك بقوله: "الأغلبية العظمى من الفرس الشيعة، المنتسبون لهذا المذهب في الجغرافيا العراقية عدد لا يستهان به، ولهذا كان الشيعة في الدولة الفارسية يحرضون شيعة العراق ويستعملونهم كآلة لأهدافهم ومصالحهم، أو على الأقل القيام بنشاطات تهدد وحدة الدولة وكيانها المتكامل بتصغيرهم من شأن من ليس على مذهبهم واستثمار دينهم واعتقادهم"^(٢).

ج- شكاوى الدولة الفارسية عن سوء معاملة رعاياها من قبل الدولة العثمانية منذ أواخر سنة ١٨٤٢. فقد تشددت إدارة بغداد في جباية الرسوم مع التجار والزائرين الفرس للعتبات المقدسة في العراق، والمارين منهم به في طريقهم إلى الديار المقدسة في الحجاز تشدداً بالغاً.

(١) قايماً، كربلاء في الأرشيف...، ص ١٨٤.

(٢) كربلاء في الأرشيف...، ص ١٨٣.

فقد فرضت الدولة العثمانية على جميع رعايا الدولة الفارسية حمل جوازات سفر أسوة بغير المسلمين؛ فضلاً عن عدم توفير الحماية لهم من قطاع الطرق وزيادة رسوم دفن رفات الفرس في كربلاء والنجف وإضافة رسوم جديدة على الدفن^(١) وبهذا الصدد قال قايا: "بخلاف هذا كان يفد آلاف الفرس كل عام في أيام محددة إلى الأماكن المقدسة عند الشيعة كالنجف وكربلاء ، وكان هؤلاء الزوار القادمون من الدولة الفارسية سبباً في ظهور المشكلات بين الدولتين ، خاصة، وأن الفرس كانوا يعانون بشدة في أثناء مجيئهم بموتاهم لدفنهم في الأماكن المقدسة هذا؛ فضلاً عن الضرائب الباهظة التي كانوا يؤدونها؛ مما جعلهم يخرجون عن طورهم ، وكانت هذه المعاناة التي شهدها الإيرانيون سبباً مستمراً لتوتر العلاقات بين الدولتين"^(٢).

د - اختراق الدولة العثمانية أراضي الدولة الفارسية بشكل متكرر، فقد قام والي وان محمود باشا باختراق أراضي الدولة الفارسية من ناحيتي قطور وخوي في أذربيجان؛ فضلاً عن عمليات السلب والنهب في منطقة تابعة لرضائية من قبل جنوده، وتصديه للقوافل التجارية المارة بأراضي ولايته؛ مما زاد ذلك من حدة التوتر بين الدولتين^(٣).

هـ - شكاوى الدولة العثمانية من سياسة الدولة الفارسية وهي انسحاب الفرس من المحمرة وعن زهاب، وأن يوافق الشاه على معاهدة بلطة ليمان المعقودة بين الدولتين العثمانية والإنكليزية واحترام المعاهدات السابقة^(٤).

و - خصوصية مدينة كربلاء؛ كونها إحدى مدن العتبات المقدسة، فقد أخضعتها الدولة العثمانية لنظام حكم غير مباشر بحيث لم يفرضوا إدارة حكومية مباشرة عليها، وقد تركوا أمر الإدارة الذاتية إلى بعض الأسر المحلية يترأسها نقيب الأشراف، وسادن الحضرة الحسينية، وحاكم يعينه والي بغداد ومهمته لا تتعدى الإشراف على الأمن، والقضاء، وجمع الضرائب، وهذا مايسمى بنظام الالتزام. اعتمدته الدولة العثمانية في معظم الوحدات الإدارية التابعة لها^(٥)؛ وهذا ما جعل الأهالي يشعرون بخصوصية منطقتهم، ورفضوا الانصياع للحكام التابعين للدولة العثمانية، كما أنهم امتنعوا عن دفع الضرائب في عهد والي علي رضا باشا اللاط، كما اهتمت الدولة العثمانية بتوطين العشائر العربية قسراً في منطقة الفرات الأوسط، وبذلك انتقلت الدولة العثمانية إلى مركزية الدولة، والأخذ بسياسة ربط المدن العراقية بولاية بغداد إدارياً كمدينة كربلاء لكونها لم تُرد أن تتكرر حادثة محمد علي باشا كما أسلفنا بالذكر فقد أدركت الدولة العثمانية أن

(١) النجار، العلاقات العثمانية...، ص ٥٠.

(٢) كربلاء في الأرشيف...، ص ١٨٣.

(٣) النجار، العلاقات العثمانية...، ص ٤٩-٥٠.

(٤) نوار، تاريخ العراق...، ص ٣٣٨.

(٥) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٣٤٥-٣٤٦. النجار، العلاقات العثمانية...، ص ٥٨-٥٩.

وضعها بحالة يرثى لها؛ لذا فهي بحاجة إلى دعم أجنبي للسيطرة على ولايتها، وتحقيق مركزية الدولة، وفي حقيقة الأمر أن المشكلة الحقيقية لدى أعيان مدينة كربلاء هي الاستيلاء على السلطة السياسية إلى جانب العسكرية بدلاً من الذين تولوا باسم السلطنة العثمانية المعينين من قبل الوالي العثماني، ولكن كانت تنقصهم قوة مسلحة تعلن تبعيتها لهم؛ فضلاً عن أن القوة المسلحة المنضبطة وافتقارهم لتقليد الحكم الشرعي^(١).

ز - عانت كربلاء من اضطرابات ولاسيما بعد أن عادت العراق إلى الحكم المركزي المباشر عندما استطاع السلطان محمود الثاني إزاحة داود باشا عن العرش عام ١٨٣١، واستلم علي رضا باشا اللاز الحكم؛ مما فتح الباب لكثير من الفوضى والاضطرابات بسبب تعرضها لعمليات النهب والسرقه، وقطع الطريق، وهذا ما جعل أهالي كربلاء يرفضون تبعيتهم للدولة العثمانية؛ فضلاً عن تعرضهم لتأخر في مجال الزراعة والانخفاض في الإنتاج الزراعي والصراعات على المياه التي أحدثت نوعاً من عدم الاستقرار في المنطقة، وسبباً كافياً لعدم الوثوق برجال الحكم التابعين للدولة العثمانية، كما أن سوء الأوضاع الاقتصادية التي مرت بها كربلاء من أهم الأسباب التي ولدت نفوراً من الدولة العثمانية^(٢). ولا بد من الإشارة إلى أن المحور الرئيس في اقتصاد المدينة وثروتها ما يكون عن طريق الحج وبعضها من التجارة؛ فضلاً عن المتطلبات الأمنية، وهذا ما سمح للأعيان الاستعانة بطبقة من الخدم أو المستخدمين الأجراء بين شريحة قطع الطرق، ويقال عنها اليرمازية^(٣)، وعلى نحو غير متوقع برز على السطح الأشرار وشريحة من الهاربين اليائسين من أبناء الأحياء الذين سبق وأن استأجرهم الأعيان امتلكوا زمام أمورهم كقوى فاعلة، فأصبحت عاصية على وزراء بغداد حيث انتشر خطرهم في المنطقة، وبلغ بهم الأمر إلى حدّ اختطاف السيد إبراهيم الموسوي القزويني^(٤) الأستاذ

(١) كريم مطر حمزة الزبيدي، فاطمة حسين فاضل المفرجي، واقعة كربلاء عام ١٨٤٣ دراسة تاريخية، مجلة السبّط، مركز كربلاء للدراسات والبحوث في الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، العدد ٤، السنة الثانية، ربيع الثاني ١٤٣٨- كانون الثاني ٢٠١٧، ص ١٤٩-١٥٠. احسان علي سعيد الغريفي، علاء حسين احمد آل طعمة، واقعة الوالي العثماني محمد نجيب باشا وأثرها على أهالي مدينة كربلاء المقدسة، مجلة تراث كربلاء، العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية مركز تراث كربلاء، العدد ٣، السنة الثانية، المجلد ٢، ١٤٣٧-١٤٣٦، ٢٠١٥، ص ١٠٣-١٠٥.

(٢) ديلك قايا، كربلاء في الأرشيف...، ص ١٩١-١٩٣.

(٣) وهي لفظة تركية معناها الذين لاينفعون شيئاً ويقصد بهم الأشرار من طبقات المجتمع. جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر إلى بغداد سنة ١٨٣٤، ترجمة: جعفر الخياط، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ٢٠٠٦، ص ١٨١.

(٤) السيد إبراهيم ابن السيد محمد باقر الموسوي القزويني الحائري: كان من علماء أواسط القرن الثالث عشر، وكان يسكن في الحائر المقدسة. إن والده كان من محالات قروين، فانقل مع أبيه إلى كرمانشاه وسكن والده هناك، وارتحل هو إلى الحائر المقدسة، واشتغل بها عند الفاضل شريف الدين محمد بن المولى حسن علي

صاحب قصص الانبياء، ولم يطلقوا سراحه إلا بعد دفع فدية لهم؛ فضلاً عن ذلك قاموا باختطاف بنتاً من بنات الأسرة القاجارية الحاكمة في الدولة الفارسية أيام الوالي داود باشا مما شكل توتر في العلاقات بين الدولة العثمانية والفارسية نتيجة هذا الفعل المشين من قبلهم فاضطر العلماء إقامة علاقات مع هؤلاء اليامراز لاتقاء شرهم وخطرهم^(١)، وكان في كربلاء السيد ابراهيم الزعفراني^(٢)، وهكذا نلاحظ أن اليرمازية تجمعوا في كربلاء منذ عهد المماليك لعدم وجود قانون يحاسبهم؛ لتواجد العتبات المقدسة في كربلاء التي كانت مزار لكل الشيعة وهذا بدوره لم يتدخل فيها الوزراء احتراماً لقدسية تلك المدينة، وفي عهد محمد علي رضا باشا اللاز استفحل خطرهم مستفيدين من ترهل الادارة ولهذا أصبحت مدينة ملجأ للفارين^(٣) وبهذا الصدد يقول العزاوي: "بلدة كربلاء كانت عاصية على وزراء بغداد، فسير نجيب باشا العساكر إليها، وحاصرها وكان بها السيد ابراهيم الزعفراني، وأصله عجمي، وترأس على أوياشها وسفهاها، وأطاعه أراندل البلد والمفسدون وهم يتولون الحرب، وعامتهم من أيام داود باشا وكانوا عاصيم إلا أنهم لم يؤدوا شيئاً قليلاً عوض خراجها، وكان يعمل مفسدة من العراق، أو يأمل أموال الناس، يذهب إلى كربلاء ويجار بهؤلاء الأرذال حتى اجتمع عندهم مقدار عشرة آلاف مقاتل

الماندراني في الأصول، و أخذ الفقه عن فقهاء النجف الأشرف، خصوصاً عن الشيخ الأفخم الشيخ موسى بن جعفر حتى صار مرجعاً للعباد ومقصداً عن أقاصي البلاد، وتتلذذ عنده جمع كثير بلغوا درجة الاجتهاد. ويذكر: أن تلميذه الحاج ميرزا محسن الأردبيلي تجاسر عليه في درسه وأعرض عنه أستاذة، فابتلاه الله من يومه بوجع شديد في ظهره عجز عن معالجته حتى توفي الأستاذ. ثم نذر الحاج المذكور زيارة العتبات العاليات فلم ينفعه، وأعان أولاد السيد وعين لهم وظائف في كل سنة فلم ينفعه، وهو إلى الآن مبتلى بهذا المرض - وأقول: ابتلاؤه بهذا المرض لا أصل له أصلاً، وقد سألت عنه بعض أولاده فعجب من ذلك، وكذلك سائر أهل بلده، وكان وفاته - كما ذكره في القصص - سنة أربع وستين ومائتين بعد الألف في الحائر المقدسة. ثقة الإسلام التبريزي علي بن موسى بن محمد بن شفيع، مرآة الكتب، تحقيق: محمد علي الحائري، ٥ ج، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ١٢٩-١٣٣.

(١) محمد زكي ابراهيم، المدرسة الشيعية، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١٥٩-١٦٠. الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، ج ٨، ص ٢٧٦-٢٧٨.

(٢) ابراهيم الزعفراني: تزعم الحركات اليارماز في العراق، وتعود أصوله من أب فارسي من باكو وأم عراقية من كربلاء كان أبوه قد استقر في كربلاء وعمل في بيع الزعفران، ويذكر أن الصناعة الأوروبية أسهمت في تدمير مكانة المواد الداخلة في صناعة النسيج العراقي خلال ثلاثينات القرن التاسع عشر، وكان الزعفران يستخدم في الأكل والنسيج العراقي خلال ثلاثينات القرن التاسع عشر، وهذا مايدل على تدهور الزعفران في تلوين الأقمشة فضلاً عن استخدامه في المجالين الغذائي والطبي وقد يكون سبباً من أسباب التي سببت خسائر تجارية لتلك العائلة للمزيد: خوان كول، موجان مومن، العثمانيون وشيعة العراق كربلاء أنموذجاً ١٨٤٣، ترجمة: نهار محمد نوري، دار الوراق للنشر، بغداد، ٢٠١٦، ص ٨١.

(٣) فريزر، رحلة فريزر...، ص ١٧٥.

من أجلاف الناس وعصت أيام داود باشا، وزمان علي باشا أيضاً، فهم عصاة، بغاة، يؤذون... وكانوا مفسدين، ذوي جرأة على أعراض الناس، وأهل البلد يهابونهم، ويخافون على أنفسهم، لأنهم متى أرادوا، هجموا على بيت أحدهم ونهبوه والحاكم الذي هو من أهل البلد طوع أيديهم ولايعارضهم بما يفعل هؤلاء الباغون الفجرة"^(١).

ح- إن توجهات الدولة العثمانية باتجاه إحداث تغيير جذري في المنطقة من خلال واليها نجيب باشا التي نصبتة على بغداد أدى إلى تصعيد التوتر في المنطقة، ووضعها على شفير الحرب مع الدولة الفارسية؛ فضلاً عن ذلك فقد أسهمت عوامل كثيرة إلى حالة التوتر الشديد، وكان من تلك الإجراءات المتشددة التي وضعها نجيب باشا ذات طبيعة تسمح بسوء الاستعمال من قبل الموظفين القائمين على تطبيقها؛ مما لم يكن للحكومة المركزية في إسطنبول رغبة في حدوثه تجنباً بعد أن كان والياً على الشام وكان سفاكاً غداراً معروفاً بالمكر، ولم يكد يستقر في مركز ولايته فهو من الوزراء الذين اختارته الدولة للمهمة، ومآثره لا تنكر بلغ في أيامه في ولاية الظلم والتعسف بالأهالي حداً فائقاً، وكان والي على علم مسبق بوضع مدينة كربلاء، وقد أدرك نجيب باشا والي بغداد أهمية استقرار مدينة النجف وكربلاء وضرورة تطمين السكان المحليين وإظهار نوايا والي الطيبة تجاه المتمردين إذا وقفوا موقفاً ودياً، ولكنهم أظهروا عكس ماتوقعه والي العثماني حيث تفاجأ بالجلالة التي استقبلوه بها وطلبوا منه ألا يزيد عدد مرافقيه عن خمسة أشخاص كما أنه طلب منهم أن يتزود معسكر المسيب من كربلاء القريبة منه بالمؤنات، ولكنهم رفضوا ذلك، فكان لابد من إعادة الأمن والنظام إلى بغداد، فأرسل رسالة إلى الدولة العثمانية طالباً بتزويده بمدفعين مختصين لعمل قواعد؛ لأن جنود المدفعية الستة مائة الموجودين في بغداد تنقصهم الكفاية لأداء تلك المهمة"^(٢).

ط- وهناك أسباب أخرى، منها تحول مياه الفرات إلى شط الهندية وانحساره عن شط الحلة، بسبب تصدع سدة الهندية، وهذا ما أدى إلى خلافات بين العشائر، واتخذ ذلك السبب حجة في تحريك قواته العسكرية من بغداد إلى المسيب القريبة من السدة وكربلاء معاً، وكان هدفه المعلن تسوية تلك الخلافات وحمل العشائر على معالجة ثغرات الحلة لكي يحصل شط الحلة على نصيب من المياه إلا أن الهدف الأساسي للوالي كان هو الاقتراب بقواته من كربلاء التي انطلقت إليها بعد ذلك هذه القوات من قاعدة المسيب بوقت قصير"^(٣).

(١) موسوعة تاريخ العراق...، ج٧، ص٧٨-٧٩.

(٢) النجار، العلاقات العثمانية...، ص٦٢. الغريفي، آل طعمة، واقعة والي العثماني...، ص١٠٥.

(٣) النجار، العلاقات العثمانية...، ص٦٣. الغريفي، آل طعمة، واقعة والي العثماني...، ص١٠٦. الوردي، لمحات اجتماعية...، ج٢، ص١٢٠.

وفي مجمل الأسباب نرى مسألة في غاية الأهمية، وهي أن هناك بعض الباحثين اندفعوا لتسويق حملة محمد نجيب باشا على كربلاء، وبعضهم الآخر أشار إلى أن الأسباب التي فرضت على محمد باشا تلك الحملة باطلة، وأرجعوها إلى أسباب دينية أو سياسية كما لاحظنا، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن المصادر التاريخية تناولت تلك الحملة بشكل مقتضب؛ مما ترك فجوة في معرفة معظم الظروف التي أدت إلى تلك الحملة.

٢- مجريات الأزمة:

قرر الوالي نجيب باشا بعد أن اطلع على الوضع العام لكربلاء أن يقوم بحملة تقضي على اليامازر، وفرض التبعية العثمانية على مدينة لو أدى ذلك إلى استخدام السلاح؛ متجاهلاً قدسية المكان^(١).

بعد أن بدأ في تجهيزات الحملة، وإخبار الدولة العثمانية عما يريد فعله أرسل إنذاراً إلى رؤساء الحركة يندبرهم فيه بوجوب الخضوع ونزع السلاح المدافع، وقد حاصرت تلك القوات بلدة كربلاء بينما ازداد خصومه عناداً وإصراراً على القتال^(٢).

كان نجيب باشا قد اتخذ مدينة المسيب قاعدة له، وجعل قيادة القوات المحاصرة بيد القائد مصطفى باشا، ثم اتصل بالقنصل الإنكليزي، والقنصل الفرنسي، وبالوكيل في الدولة الفارسية وبعض الشخصيات المهمة في الدولة الفارسية الذين يسكنون كربلاء طالباً منهم أن يساعده على تسوية الأزمة، وكأنه أراد أن يظهر أمامهم أنه غير مسؤول عما سوف يجري في البلدة المقدسة من إباحة وسفك الدماء، وقد حاول بعض هؤلاء التوسط بين الفريقين دون جدوى؛ بسبب تعنت كلٍّ من الوالي نجيب باشا والمتمردين على مطالبه فأندرت الأوضاع بدق طبول الحرب وفشل المفاوضات القائمة بين الفريقين^(٣).

وبعد أن أتم نجيب باشا الاستعدادات كافة للهجوم على المتمردين من خلال خطة الهجوم وقوى كافية من الجنود تتألف من كتيبة من الفرسان، وثلاث كتائب من المشاة وعشرين مدفعاً؛ فضلاً عن القوات المرابطة في مدينة المسيب بدأ بعملياته الحربية^(٤).

في ١٣ كانون الأول ١٨٤٢ سلطت القوات العثمانية مدافعها على سور كربلاء من ناحية باب النجف، ففتحت فيه ثغرة واسعة، فبدأ الأهالي والمتمردين في الدفاع عن المدينة إلا أن

(١) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية...، ج ٢، ص ١١٩.

(٣) علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج ٢، ص ١٢٠. كول، مومن العثمانيون وشيعة العراق...، ص ١١١-١١٢.

(٤) الزبيدي، المفرجي، واقعة كربلاء...، ص ١٥٢. كول، مومن، العثمانيون وشيعة العراق...، ص ١٠٣.

وسائلهم الدفاعية ضعيفة بالمقارنة لما يستعمله الجيش العثماني الذي استطاع سحق المتمردين والتوغل في المدينة بين قتل ونهب وسلب بشكل يدمي له القلب^(١).

ومن الجدير بالذكر أن الأوامر صدرت إلى الجنود باحترام بيت السيد كاظم الرشتي^(٢) ألا يمسوه بالأذى، وحين علم الأهالي بذلك أخذوا يتوافدون إلى بيته طلباً للنجاة، ولكن لكثرة ازدحامهم منهم من مات تحت وطأة الزحام، فاضطر إلى أن يضم بيوتاً إلى بيته لإيواء الأهالي، وقدرت أعدادهم بعشرين شخصاً، وبذلك نجا كل من دخل بيت السيد كاظم الرشتي^(٣).

وكذلك نجا من اتجه إلى ضريح الحسين، وكان سبب نجاتهم أن نائب الكليدار الحاج مهدي كمونة^(٤) خرج إلى القائد مصطفى باشا، ومعه بعض السدنة، وكانت عمامته حول رقبتة، وهو يطلب الأمان ويبكي ويلطم ثم خاطب القائد العثماني باللغة العثمانية قائلاً له: "أفندم، إننا لم نخلع الطاعة ولم نفارق الجماعة فلا تأخذنا بذنوب المفسدين، وترحم علينا بالأمان"^(٥)، ثم، ذهب القائد العثماني مصطفى باشا، ومن معه بعد ذلك إلى صحن العباس، وكانت أبوابه مغلقة ولم يفتحها أحد له فأمر الجنود بخلع الأبواب ثم هجم الجنود على الأهالي المتواجدين في صحن العباس بشكل كبير بازدهام كبير الصحن وحول الضريح وأخذوا فيهم تقتيلاً وقد وجد فيما بعد في السرداب الذي هو تحت رواق العباس مايزيد على الثلاثمائة قتيل^(٦).

في الصباح التالي وصل نجيب باشا إلى البلدة، وعندما اقترب بموكبه من صحن الحسين ترجّل عن جواده، فاستقبله الحاج محمد مهدي كمونة ومن معه من السدنة، وهم يحملون القرآن،

(١) الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة كربلاء، مجلد ٨، ص ٢٧٩. كول، مومن، العثمانيون وشيعة العراق...، ص ١١١-١١٢.

(٢) كاظم الرشتي: كاظم بن قاسم الحسيني الموسوي الكربلائي الحيلاني الرشتي (١٧٩٧-١٨٤٣)، عالم إمامي من أهل رشت في بلاد فارس، سكن في كربلاء، ومن علماء الكشفية، ومن أهم مؤلفاته: أسرار العباد، المرأة الجديدة في رد ردود العلماء الإسماعيلية، مقامات العارفين، دليل المتحيرين، وشرح القصيدة البائية من شذور الذهب واللامية. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ١٣ ج، مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ت، ج ٨، ص ١٣٨-١٣٩.

(٣) علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج ٢، ص ١٢٠.

(٤) مهدي كمونة: هو ابن محمد بن إبراهيم بن عيسى بن كمونة، من كبار شخصيات مدينة كربلاء المقدسة، تولّى سدانة الروضة الحسينية بعد خروج السيد عبد الوهاب آل طعمة السادن السابق إلى بغداد، وتوفي فيها، ودفن في مقبرة آل كمونة الواقعة في الرواق الشمالي للحرم الحسيني. آل طعمة، مشاهير المدفونين...، ص ٨٧.

(٥) علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج ٢، ص ١٢٠.

(٦) علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج ٢، ص ١٢١.

وأعلام الروضة الحسينية، وأخذ بعض الشعراء بمدح الوالي العثماني، وذم سكان المدينة، وبذلك انتهت المعركة بانتصار الوالي العثماني، وفرض التبعية العثمانية على مدينة كربلاء^(١).

بعد انتهاء المعركة صدرت الأوامر باعتقال السيد إبراهيم الزعفراني رئيس اليامازر والمحرض الرئيس للمعركة، وقد اقتيد به إلى بغداد، ولكن أصيب بمرض خطير أودى بحياته، وبالنسبة لسادن الروضتين السيد عبد الوهاب آل طعمة أُعفي عنه، وأُطلق سراحه بمعية نقيب بغداد السيد علي الكيلاني وشفاعته، أما أشرف مدينة كربلاء المقدسة فقد قُبض عليهم بتهمة التحريض على الحركة والمقاومة، مثل: السيد صالح الداماد وعلي كشمش وطعمة العيد وبعض السادة من آل نصر الله وآل النقيب^(٢).

يجدر بالذكر أن بعض الشعراء قاموا بمدح الوالي على فعلته، ومنهم الشاعر عبد الغفار الأخرس^(٣).

وأخيراً يمكن القول إن مدينة كربلاء حظيت بمرارة الحادثة الدموية التي سطرها نجيب باشا لفرض التبعية العثمانية رغم محاولات الأهالي إيقاف تلك الحملة إلا أن محاولتهم آلت إلى الفشل.

٣- أبرز المواقف الإقليمية والدولية من أزمة كربلاء وأثرها على العلاقات العثمانية- الفارسية:

تباينت ردود الفعل الدولية والإقليمية بشأن الأزمة التي شهدتها مدينة كربلاء بعد حملة الوالي نجيب باشا، فمنهم من رآها حملة مشروعة من أجل فرض التبعية العثمانية على أراضيها، ومن عدّها مؤشراً على سياسة الاضطهاد التي قامت بها الدولة العثمانية تجاه رعاياها.

أ- موقف الدولة العثمانية:

يمكن الاطلاع على الموقف العثماني من تقرير المندوب نامق باشا^(٤) الذي أرسلته الدولة العثمانية لاستجلاء الحقائق في حادثة كربلاء حيث قال المندوب العثماني: "أثناء دخول سعد الله باشا والفريق محمد باشا قلعة كربلاء قاموا بتنبيهه على الجنود الموجودين في معيهم ألا

(١) الدجيلي، إيران والعراق ...، ص ١٥٧.

(٢) جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، مطبعة دار الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٧١، ج ١، ص ٣٠٨. الخليلي، موسوعة العتبات ...، ج ٨، ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٣) ياسين، تاريخ العنف الدموي ...، ص ٢٥٠.

(٤) محمد نامق باشا (١٨٠٤-١٨٩٢) سياسي عثماني، يُعدُّ من أهم رجال الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر، أنشأ الأكاديمية الحربية العثمانية، شغل منصب والي بغداد مرتين. للمزيد من التفاصيل ينظر: عباس العزاوي، موسوعة تاريخ العراق ...، ج ٧، ص ٩٣-١٠٠.

ينهبوا أية أموال أو متعلقات، وبالرغم من ذلك قام بعض الجند بالاستيلاء على بعض المتعلقات والأموال، إلا أن الباشاوات المذكورين عرفوا بالأمر، وأعادوا تلك الأموال لأصحابها، وقد قتل ٥٠٠ شخص في أثناء اقتحام القلعة، ولكن ثبت أن قتلهم لم يكن بالرصاص أو النار، أما الثوار المقبوض عليهم فلم يتم قتلهم؛ بل تم استجواب ٥٠-٦٠ شخصاً منهم ثم أرسلوا إلى بغداد لمحاكمتهم^(١).

فقد قدر عدد القتلى من الأهالي ما يقرب ٢٥٠ شخصاً، وجعل أكثرهم من بلاد فارس بينما قدر خسائر القوات العثمانية ٤٠٠ قتيل، و ٢٠٠ جريح، وهذا يدل على أن خسائر الأهالي أقل من خسائر الحكومة^(٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدولة العثمانية حاولت تخفيف وطأة الحملة من خلال تقرير المندوب العثماني نامق باشا، حيث أوحى من خلال التقرير أن الوالي العثماني ليس له ذنب في حوادث السلب والنهب، كما أن التقرير رفع من أعداد وحجم قتلى الدولة العثمانية، وقّص من قتلى الدولة الفارسية^(٣).

وفي الحقيقة نرى أن الوالي العثماني أخذ على عاتقه تغيير الإدارة التي كان فيها خلل من قبل أسلافه في الحكم؛ وهذا السبب الأول والرئيس الذي أدى إلى رجحان كفة الثورة لدى الأهالي؛ ولكن بسبب سوء العلاقات العثمانية الفارسية في ظل الأوضاع السيئة داخل الدولتين أرادت الدولة العثمانية التقليل من حجم الكارثة؛ لعدم قدرتها على خوض حرب شاملة مع الدولة الفارسية.

ب- موقف الدولة الفارسية:

يمكن تلخيص موقف الدولة الفارسية من خلال مشاعر الحزن والأسى الذي اعتري عامة الناس في الدولة الفارسية على الرغم من أن المدافع سكنت في كربلاء إلا أن دويها لا يزال يتردد في أعماق الأهالي؛ خصوصاً أن القصف والقتل تجاوز مداه الأهداف المدنية، وتم استهداف العتبات المقدسة حتى أن بعض رجال الدين، ومن بينهم مفتي أصفهان السيد محمد باقر الشفتي^(٤) طالب بالحرب انتقاماً لما جرى في مدينة كربلاء من خلال ممارسة الضغط على

(١) ديلك قايا، كربلاء في الأرشف...، ص ٢٠٤.

(٢) علي الوردي، لمحات اجتماعية...، ج ٢، ص ١٢٥.

(٣) نوار، تاريخ العراق...، ص ٣٣٦-٣٣٧.

(٤) محمد باقر الشفتي: هو السيد محمد باقر الموسوي الرشتي حجة الإسلام (١٧٦٦-١٨٤٤)، ولد في شفت قرية من قرى رشت، ذهب إلى العتبات المقدسة في العراق ١٧٨٣ ليدرس على يد وحيد البهباني والشيخ جعفر كاشف الغطاء، ثم عاد ليستقر في أصفهان أثرى من بعد فقر مدقع، وصار عظيم الثراء، وامتلك القرى والضياح في أصفهان ويزد وبروجرد وشيراز كان يحصل على أموال الخمس الهائلة داخل الدولة الفارسية

رجال الحكم والشاه إلا أن محمد شاه كان مريضاً، وعندما علم بما آل إليه الوضع غضب بشكل كبير إلا أنه تأتى في إرسال حملة إلى كربلاء^(١).

وهنا يجدر بنا التساؤل: ما الأسباب التي جعلت الشاه محمد يتأتى في إرسال حملته إلى كربلاء؟

يمكن القول: إن السبب الرئيس؛ يرجع إلى سوء الوضع الاقتصادي لدى الدولة الفارسية؛ بسبب الحملات التي قادها الشاه محمد ضد منافسيه في الحكم؛ مما جعل خزينته فارغة من الأموال، وأصبح غير قادر على تمويل أي مغامرة جديدة؛ فضلاً عن ذلك تخوفه من ازدياد نفوذ رجال الدين وتدخلهم في الحكم؛ مما سيشكل خطراً كبيراً على ملكه وأخيراً إن إنكلترا وروسيا لن تسمحا للدولة الفارسية بإحداث أي خلل في توازن القوى يؤدي إلى ضرر في مصالحهم داخل المنطقة^(٢).

ج - موقف إنكلترا:

أدركت إنكلترا أن عليها الوقوف بشكل حازم أمام أي خطر يهدد وجودها في المنطقة، ويؤدي إلى خلل في توازن القوى؛ لذا بدأت تتفحص بعناية الحوادث الدموية التي جرت في كربلاء؛ لكونها زادت من حدة التنافس بين الدولتين العثمانية - الفارسية في العراق. وبالتالي فإنه من الصعب أن تترك إنكلترا الوضع على شفير هاوية الاشتباك بين الدولتين على حد سواء رغم حدته إلا أن ابتداء المحادثات فيما بينهما عن طريق مساعي إنكلترا الدبلوماسية هي أفضل طريقة لتجنب كلا القوتين الانحدار إلى الحرب. ولذلك بذلت جهود دبلوماسية من أجل احتواء نشوب نزاع في العراق، فقد تألفت لجنة من مجموعة دول للتحقيق في واقعة كربلاء اشترك فيها مندوب عن الدولة العثمانية أنور أفندي ومندوب عن الدولة الفارسية ميرزا تقي خان^(٣) ومندوب عن إنكلترا الكولونيل فارانت (Colonel Farrant) و مندوب عن روسيا دانيزي (Danese).

وخارجها بما في ذلك الهند، وضع رسالة في ضرورة مباشرة المجتهدين. جلال الدين محمد صالح، ولاية الفقيه وإشكالية السلطة السياسية في الفقه الشيعي: المنطلقات الفكرية، الأسس الاستراتيجية الآثار الأمنية، مكتبة الاقتصاد، الرياض، ٢٠١٥، ص ١٧٦.

(١) الوردي، لمحات اجتماعية...، ج ٢، ص ١٢٤.

(٢) كول، مومن، العثمانيون وشيعة العراق...، ص ١١٩.

(٣) ميرزا تقي خان: ميرزا تقي خان بن محمد باقر الفراهاني، ولد سنة ١٨٠٧ في هزاوة. وهي إحدى قرى أرك ينحدر ميرزا محمد تقي خان من عائلة كادحة، إذ كان والده طباحاً في منازل الأثرياء والأشراف إلى أن عمل طباحاً لدى عائلة ميرزا عيسى المعروف بميرزا برزك قائممقام وتدرج محمد تقي خان في المناصب حيث عمل كاتباً لأبي القاسم قائممقام ثم عين لاستيفاء الضرائب والرسوم لدى محمد خان زنكنة تولى محمد تقي خان قيادة

وتجدر الإشارة أن تايلر (Taylor) الوكيل السياسي في بغداد قد وقف إلى جانب الوالي العثماني في حملته على كربلاء؛ لذا قامت إنكلترا بإرسال مندوب بدلاً عن الكولونيل فارانت (Colonel Farrant)؛ لكي تقف على أرض ثابتة في إنهاء ذلك الصراع حفاظاً على مصالحها الحيوية في المنطقة^(١).

د- موقف روسيا:

سعت روسيا إلى تبوء مركز القوى العظمى من خلال منافستها لإنكلترا في المنطقة، وتأمين الوصول إلى مصالحها الاستعمارية ولكنها سرعان ما تعاونت مع إنكلترا لمنع خروج الوضع عن سيطرتها وقطع الطريق أمام أي خلل يهدد وجودها بسبب الضجة الكبيرة التي أثارها حملة والي نجيب باشا على كربلاء.

فقد طالبت روسيا الدولة الفارسية بالتوقف عن صبّ الزيت على النار، وقامت بمساعدة إنكلترا بالتدخل بشكل دبلوماسي بين الطرفين.

كما لاحظنا شاركت روسيا في اللجنة الدولية التي أُلِّفَتْ للبحث في مذبحة كربلاء حيث أرسلت مندوبها فارانت (Colonel Farrant) إلى هناك لوضع تقريره بخصوص هذه المذبحة، حيث جاء في تقرير الكولونيل فارانت (Colonel Farrant): "أن القتلى لا يزيدون على خمسة آلاف قتيل، منهم ثلاثة آلاف داخل المدينة معظمهم من العرب لا من الفرس، وأن آلافاً من الفرس فروا من المدينة قبل اقتحام القوات العثمانية لها. أما من قتل من الهنود، فكانوا ثلاثة، وفقد حوالي ٢٠-٣٠ من البنجابيين ومن أهل كشمير، وأكد فارانت أنه لم يُقتل

الجيش في أذربيجان بدلاً عنه ولُقِّب بوزير نظام وعين ناصر الدين شاه الميرزا تقي خان فرهاني أمير نظام في منصب الوزارة؛ أي الوزير الأعظم، ولقبه بلقب الأتابك الأعظم، واستطاع القضاء على التمرد الذي قام به قائد الجيش، قام بإصلاحات عدة في الدولة الفارسية، فرُتّب الأمور الداخلية للبلاد، وحسّن وضع الصناعة فيها ونشّط التجارة وقلل من اعتداءات الدول الأجنبية الطامعة، لكن "مهد عليا" أم ناصر الدين شاه والميرزا آغا خان النوري والإنكليز حثوا الشاه على عزل أمير كبير، ففعل ذلك ورحب رجال القصر بعزله؛ لأن أمير كبير كان قد قطع عنهم إيراداتهم المالية غير المشروعة ومنعهم من الذهاب إلى السفارات الأجنبية، بل ربما كان رجال القصر هم من المشجعين والمؤيدين لمرسوم العزل الذي أصدره الشاه بحق أمير كبير. وفي نهاية المطاف أصدر ناصر الدين شاه مرسوماً بقتل أمير كبير في حمام فين في كاشان حيث قتل هناك في ١٨ ربيع الأول سنة ١٢٦٨، ووقعت البلاد بأيدي رجال يَعْدُونَ تبعيتهم للأجانب للمزيد. شعباني، المنتخب في تاريخ...، ص ٣٤٨-٣٤٩.

(١) الزبيدي، المفرجي، واقعة كربلاء...، ص ١٥٣-١٥٤.

من الرعايا الروس في هذه المعارك سوى شخص واحد بعكس ما قيل من قبل من أن عدداً من هؤلاء لقي حتفه خلال الصراع"^(١).

إذاً، في ظل الظروف الصعبة التي مرّت بها كل من الدولتين العثمانية والفارسية نجد أنه تمت الموافقة على المحادثات بين الدولتين بمعية كلٍّ من روسيا وإنجلترا، حيث كانت الدولة الفارسية تلحّ في مطالبها، وبالتالي وافقت الدولة العثمانية على جميع مطالبها ماعدا مطلب واحد وعدّته تدخلاً في شؤونها الداخلية، ومن أهم تلك المطالب التي طرحت بين الطرفين:

- أن يدفع السلطان تعويضاً لمنكوبي كربلاء.
- أن يعلن الباب العالي عدم رضاه وموافقته على حملة نجيب باشا.
- أن يعيد نجيب باشا ما تخرب من العتبات المقدسة.
- أن يحكم نجيب باشا بالعدل، ويحمي أتباع الدولة الفارسية في كربلاء وزوارها.
- أن يكون نجيب باشا مهذباً بالعزل إن هو أساء التصرف فيما بعد.
- أن تعلن هذه القرارات لجميع السفراء"^(٢).

وهكذا نجد أن كلاً من روسيا وإنجلترا نجحت في السياسة التي اتبعتها تجاه حل المشكلة دبلوماسياً بعد أن وافقت الدولة العثمانية على هذه المطالب ماعدا المطلب الخاص بعزل نجيب باشا، إذ عدّت ذلك تدخلاً في شؤون الدولة الداخلية، وأيد السفير الإنكليزي في إستانبول موقف الدولة العثمانية، وانتهى الأمر أخيراً بتصفية الأزمة بين الدولتين. ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن: ما النتائج التي ترتبت على أزمة كربلاء؟ وهذا ما سنتحدث عنه الآن بعد الاطلاع على الوضع العام في تلك الفترة.

(١) نوار، تاريخ العراق ...، ص ٩٢-٩٣، لوريمر، دليل الخليج، ج ٤، ص ١٩٩٤.

(٢) نوار، تاريخ العراق ...، ص ٣٣٧، الوردی، ج ٢، ص ١٢٦، لوريمر، دليل الخليج، ج ٤، ص ١٩٩٥.

٤ - نتائج أزمة كربلاء وأبعادها في مسيرة التنافس العثماني - الفارسي:

في تناولنا لقضية كربلاء وضّحت النتائج أن حملة الوالي نجيب باشا دمّرت مدينة كربلاء لما ارتكبه عسكريه من بشاعات طالت السكان قتلاً ونهباً وسلباً، وخير من وصف تلك الحادثة وآثارها عالم الآثار الإنكليزي وليم كنت لوفتس^(١) الذي زار كربلاء عام ١٨٥٢ بعد عشرة أعوام من الواقعة من خلال قوله: "فقد تهدّمت الدور للسراي، ولم يُعدّ تشييدها فبقيت دلائل للخراب والتدمير بصورة خطيرة...، فظلت آثار القنابل والشظايا واضحة للعيان في قبابها وجدران البلدة التي تسدّ الفجوات الحاصلة فيها، ولم يسلم حتى النخيل في البساتين"^(٢).

ومن هنا نجد أن الاسترأبادي وجّه اللوم إلى السلطان العثماني عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٩١) على إعطائه قرار الهجوم على مدينة كربلاء، كما وجّه اللوم إلى محمد باشا شاه الدولة الفارسية؛ لعجزه عن تقديم المساعدة للرعايا، والأهالي في كربلاء، بينما الرشدي علّل تلك الحادثة بأنها عقاب على السكان لعدم التزامهم وتقبل تعاليمه؛ وبالتالي نرى أن المجتمع الكربلائي كان مستنزفاً بانقسامات فكرية، وتعزّزت بين رجال الدين والفكر؛ فضلاً عن النزاعات العشائرية التي أرهقت المجتمع الكربلائي، وفككت العلاقات الاجتماعية ومن هنا ندرك حجم المأساة التي لحقت بكربلاء التي أصبحت تابعة للوالي العثماني بشكل مباشر بعد أن كانت مستقلة في شؤونها من قبل اليامارزية ورجال الدين وعلمائها ووجهائها^(٣).

وبينت النتائج أن الدولة العثمانية استطاعت النجاح بشكل نسبي في إخضاع تجار الدولة الفارسية للرسوم الجمركية التي فرضتها بمجمل مناطق ولاياتها؛ فضلاً عن ذلك إزالة مصدر قلقها وهواجسها من تحول ديمغرافي خطير في المنطقة، وهو تكاثر رعايا الدولة الفارسية في العراق بشكل عام، وكربلاء بشكل خاص عن طريق شراء عدد من الأملاك في العراق لتمكين وجودهم في المنطقة مما شكل مصدر أزمات سياسية للدولة العثمانية.

(١) وليم بن كنت لوفتس (William Kennet Loftus)، ولد عام ١٨٢٠ وتوفي في عام ١٨٥٨ في البصرة التي توجّهت من الهند إلى بلاده، كان عضواً دولياً في لجنة ترسيم الحدود الدولية وتثبيتها بين العراق والدولة الفارسية، وقد رافقه درويش باشا العضو العثماني في لجنة ترسيم الحدود الدولية وطاهر بك الحاكم العسكري في الحلة مع ثلة من الجنود العثمانيين وهو الذي اكتشف مدينة أور في العراق عام ١٨٤٠ حيث كان من علماء الآثار البارزين، عنوان رحلته سياحة تنقيب في كلدة والسوس من ١٨٤٩-١٨٥٢ محمد صادق محمد الكرياسي: نظرة المستشرقين والرحالة إلى الروضة الحسينية، إهداء: د. جليل عطية، بيت العلم للنابهين، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٥٢-٥٣.

(٢) الزبيدي، المفرجي، واقعة كربلاء...، ص ١٥٥.

(٣) كول، مومن، العثمانيون وشيعة العراق...، ص ١١٩-١٢٢.

وبعد حادثة كربلاء عام ١٨٤٢-١٨٤٣ فإن الدولة العثمانية لن تتيح الفرصة أمام الفرس للاستقرار في الأراضي العثمانية من خلال بذل جهود كبيرة لإعاقة خططهم عن طريق شراء أملاك رعايا الدولة الفارسية في العراق إلا أن الوالي العثماني نجيب باشا أشار إلى ضرورة التأني في ذلك لما سبب هذا الحل من إرهاب للخزينة العثمانية؛ لكونها ملزمة بدفع تعويضات لمنكوبي كربلاء من رعايا الدولة الفارسية، وما سينجم عن ذلك من ضائقة مالية خانقة للخزينة، فلا بد من الأخذ بالحسبان وضع الدولة المتأزم وهذا سوف يفرض عليها تحسين علاقتها بالدولة الفارسية، وفي الوقت نفسه الاستيلاء على تلك الأملاك .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن الوالي العثماني نجيب باشا ركز على ضرورة إبقاء أملاك رعايا الدولة الفارسية لهم ممن تجاوزت مدة إقامتهم في العراق من ٤٠-٥٠ عاماً، وانتقلت أملاكهم بالوراثة إليهم شرط أن يعلنوا تبعيتهم للدولة العثمانية لما له من آثار إيجابية في تقليص عدد رعايا الدولة الفارسية في العراق^(١).

على إثر ذلك قامت الدولة العثمانية بإصدار فرمان عام ١٨٤٦ بعدم المساس بأملاك رعايا الدولة الفارسية وأراضيهم الخاصة، والذين سينتقلون إلى التبعية العثمانية.

وفي عام ١٨٤٧ أُصدرَ فرمانٌ عثمانيٌّ يقضي بمنع رعايا الدولة الفارسية والأجانب من الجنسيات غير العثمانية من امتلاك الأراضي، وإعطاء مهلة مدتها ستة أشهر للمتملكين قبل عام ١٨٤٧ لبيع ما بحوزتهم من الأملاك والأراضي^(٢).

إذا كانت قضية كربلاء أحد المسببات التي ستؤدي إلى بحث قضايا عدة ، وأولها المشكلات الحدودية بين الدولتين بدلاً من دق ناقوس الحرب، وهذا ماسنلاحظه في دراستنا لمعاهدة أرضروم الثانية.

(١) قايا، كربلاء في الأرشيف، ص ٢٥٨.

(٢) يجدر الذكر أن هناك وثيقةً تتحدث عن رسالة بعثها القنصل الإنكليزي في بغداد إلى والي بغداد محمد نجيب باشا بخصوص قرار الدولة العثمانية بمنع رعايا الدول الأجنبية من امتلاك الأراضي والعقارات في الدولة العثمانية وثيقة انظر الملحق رقم ١٤.

BOA,IRD,MUM,NO965 Tarih:1264\ 1847 سنان معروف أوغلو، العراق في الوثائق العثمانية الأوضاع السياسية والاجتماعية في العراق خلال العهد العثماني ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، ٢٠٠٦. ص ٢٥٩ وترجمتها ص ١٦٨.

ثالثاً- الأسباب التي أدت إلى عقد معاهدة أرضروم الثانية بين الدولتين العثمانية- الفارسية (١٨٤٣-١٨٤٨):

أنتجت التحديات والمعوقات الداخلية والخارجية التي عانى منها العراق حالة من عدم الاستقرار؛ مما أدى إلى انهيار الوضع في مجالات الحياة المختلفة دون اكتراث الولاة العثمانيين لما آل إليه الوضع؛ لارتباطهم بالدولة العثمانية بشكل كبير، وإن سوء الأوضاع السياسية والصراعات المستمرة بين العشائر والقبائل على الأراضي الزراعية والمياه زادت من تدني المستوى المعيشي، ولاسيما بعد فشل الدولة العثمانية في إنهاء حالة الصراع بين تلك القبائل عن طريق ولايتها، حيث وصل الأمر إلى حدٍّ لا يحتمل؛ بسبب أعمالهم العدوانية ضدها، كما شكّلت تلك القبائل حالة من الصراع بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية على الحدود المشتركة بينهما، ولاسيما في شمال العراق^(١).

وشهد القرن التاسع عشر في كلٍّ من الدولتين العثمانية والفارسية نقطة تحول؛ بسبب أطماع الدول الأوروبية التي سعت نحو التنافس على الطرق التجارية، وانتشار وسائل النقل السريعة بفضل المحركات البخارية^(٢).

إزاء هذه المستجدات والطموحات الدولية سعت الدول الكبرى كإنكلترا وروسيا إلى أخذ الريادة في المنطقة؛ لذا منعت أي خطر يهدّد التوازن الدولي، ووقفت بوجه المنازعات بين الدولتين لإجبارهما على الصلح؛ خوفاً على مصالحهما الاقتصادية في أراضي البلدين. وبناءً على وساطة إنكلترا وروسيا عقدت معاهدة أرضروم الثانية ١٨٤٧^(٣) أيام السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٩١) ومحمد شاه القاجاري، وقد استندت تلك المعاهدة إلى معاهدة أرضروم الأولى التي عقدت ١٨٢٣.

يمكن إجمال أسباب معاهدة أرضروم الثانية بالآتي:

١- إن معاهدة أرضروم الأولى لم تضع حداً لمشاكل الدولتين اكتفت فقط بعرضها حيث ظلّت محطّ خلافات بينهما^(٤).

(١) جميل، تكوين العرب...، ص ٤١٩-٤٢٠.

(٢) نجيب صالح، تاريخ العرب السياسي ١٨٥٦-١٩٥٦، دار اقرأ، بيروت، ط ١، ١٩٨٥، ص ٣١-٣٢.

(٣) جميل موسى النجار، معاهدة أرضروم الثانية بين الدولة العثمانية وإيران دراسة لعلاقات الدولتين خلال حقبة تبلور المعاهدة ١٨٤٣-١٨٤٨، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، ع ١، مج ٦، ٢٠١١، ص ٢.

(٤) الراوي، الحدود الدولية...، ص ٢٤٧.

٢- حملة علي رضا باشا اللاز ١٨٣٧ على المحمرة؛ مستغلاً انشغال محمد شاه بحصار مدينة هرات^(١)؛ مما أثار خوف الدولة الفارسية من إحاطتها من الجنوب والغرب من قبل القوات العثمانية، فما كان منها إلا أن قدمت احتجاجات للدولة العثمانية ضد حملة واليها ثم وجهت معتمد الدولة الفارسية منوچهر خان^(٢) إلى عريستان (١٨٤٠-١٨٤٢) وفي سنة ١٨٤٢ اشتدت الخلافات بين الدولة العثمانية والفارسية على منطقة المحمرة، فما كان من الدولة الفارسية إلا المطالبة بالضفة الشرقية من شط العرب حتى مدينة القرنة ليغض العثمانيون الطرف عن وجودهم في المحمرة، وعندما أحس الفرس بإلحاح الدولة العثمانية ومتابعتها لأمر المحمرة قام الفرس ببناء قلعة لهم على أسوار مدينة المحمرة؛ مما أثار حنق العثمانيين من هذا الإجراء وذلك باعتبار المحمرة تتبع للبصرة التي يفصلها عن نهر كارون، وأن الحفار الذي تقع عليه المحمرة ليس منفذاً طبيعياً؛ وإنما هو قناة اصطناعية تابعة للدولة العثمانية، ولكن الفرس أصروا على مطالبتهم بالمنطقة، وأضافوا مطالبتهم بمدينة السليمانية، ورفضوا مطالبات الدولة العثمانية، الأمر الذي جعل القوات العثمانية تحشد جيوشها على الحدود^(٣).

٣- احتجاج الدولة الفارسية على إثارة الفتن من قبل الدولة العثمانية حسب قولها عن طريق التجاء عدد من أمراء الفرس وقادتها من وجه الدولة الفارسية؛ بسبب نزاعات على الحكم، فقد حذرت من التداعيات الخطيرة الناتجة عن ذلك، فيقول الدجيلي بهذا الصدد: "وجهت الحكومة الفارسية، عقب هذه التطورات احتجاجاً إلى الباب العالي تحذراً فيه من عواقب إيواء اللاجئين السياسيين لحبك المؤامرات ضد الدولة الفارسية بعد أن تناهى علمها أن بعض الأمراء الذين فروا من الدولة الفارسية عقب القتال الذي نشب في عام ١٨٣٧ والمتعاونين مع إنكلترا آنذاك قد لجأوا إلى العراق، وأجروا اتصالات جديدة بالإنكليز؛ لتنصيب أحدهم على

(١) محمد أعظم بني عباسيان بستكي، بر فارس أحداث ووقائع ومشايخ بستك وخنج ولنجة، ترجمة: محمد وصفي أبو مغلي، إعداد: محمد إبراهيم بشمي، مؤسسة الأيام للصحافة والنشر، بحرین، ١٩٩٣، ص ١٠٣. مصطفى عبد القادر النجار، إمارة المحمرة دراسة لتأريخها العربي ١٨١٢-١٩٢٥، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١، ص ١٠-١١.

(٢) منوچهر خان (معتمد الدولة): وهو رجل مسيحي جورجى الأصل من أبوين مسيحيين دخل الإسلام، وارتفع شأنه، وعيّن من قبل الحكومة الفارسية عام ١٨٣٩ على عدة مناطق: على أصفهان ولورستان وعريستان، وكان معروفاً باسم معتمد الدولة؛ فضلاً عن ذلك كان خصباً وجعل سلطانه يمتد على الأراضي التي كان حاكماً عليها للمزيد. انظر: ج، ج، لوريمر، عريستان في الوثائق البريطانية ١٦٠٠-١٩٠٠ من دليل الخليج للوريمر، إعداد وتقديم، ماجد شبر، الوراق للنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٢، ص ١٢٣.

(٣) مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب دراسة وثائقية، تقديم: أحمد عزت عبد الكريم، مطبعة الموائى العراقية، ١٩٧٤، ص ٦٢-٦٦.

عرش الدولة الفارسية، وادعت السلطات الفارسية كذلك أن السلطات العثمانية قد أخذت تزودهم بالمال وتدفع لهم مرتبات من خلال إقامتهم... وهددت باحتلال الكويت والبحرين^(١).

٤- حملة نجيب باشا على مدينة كربلاء المقدسة لإحكام السيطرة العثمانية عليها، وما نتج عنها من اشتداد التآزم في العلاقات بين الدولتين الفارسية والعثمانية لادعاء الدولة الفارسية أن معظم القتلى من رعاياها^(٢)، وكتب القنصل الروسي في تبريز إلى حكومته يقول: "إن جرائم الباشا التركي قوبلت في الدولة الفارسية بالحداد الديني، وهي الآن تهدد مجدداً باندلاع الحرب بين الباب العالي والدولة الفارسية"^(٣). وعلى إثر ذلك تم الاجتماع بين الدولة الفارسية والعثمانية بوساطة إنكلترا وروسيا للحد من الآثار الخطيرة لحادثة كربلاء وما يمكن أن يخفف من وطأتها حيث عقدت جلساتها في أرضروم^(٤).

٥- التهم المتبادلة بين الدولتين الفارسية والعثمانية حول مشاكل الحدود وهجوم قبائل الطرفين على الأخرى وما يترتب على ذلك من عمليات سلب ونهب وقطع الطرق^(٥).

٦- سوء معاملة العثمانيين للحجاج والتجار الفرس في العراق: عدت الدولة الفارسية العراق مجالاً حيوياً حيث وطدت نفوذها في المنطقة من خلال زيادة أعداد الجالية الفارسية في العراق كما لاحظنا سابقاً؛ وبالتالي أثرت بشكل كبير على الاقتصاد العراقي؛ كونها تصدر منتجاتها من ميناء كرمنشاه إلى العراق عن طريق ميناء البصرة؛ مما حدا بالدولة العثمانية لإحكام قبضتها عن طريق ولايتها سياسياً وإدارياً، وكلما توترت العلاقات بين الدولتين (العثمانية والفارسية) أخذت فارس تعمل على تغيير خط تجارتها من ميناء كرمنشاه إلى ميناء بوشهر؛ بدلاً من ميناء البصرة. أما السلطات العثمانية أخذت تفرض ضرائب كبيرة على بلاد فارس وتجارها وتعامل الحجاج الذين يأتون من بلاد فارس إلى العتبات المقدسة في العراق على أنهم تجار وهذا ما أثار امتعاض الدولة الفارسية وكان أحد جذور الصراع مع الدولة العثمانية، ولكن الدول الأوروبية كانكلترا وروسيا التي لها مصالح استراتيجية واقتصادية في المنطقة سعت إلى فرض كلمتها بين المتنازعين؛ لأنها لن ترضى بإخلال الاستقرار وتوازن القوى في المنطقة، فاتجهت إلى مناقشة هذه المواضيع الخلافية على طاولة مفاوضات أرضروم^(٦).

(١) إيران والعراق...، ص ١٥٣.

(٢) العزاوي، موسوعة العراق...، مج ٧، ص ٧٨-٨٢.

(٣) الدجيلي، إيران والعراق...، ص ١٥٨.

(٤) النجار، العلاقات العثمانية...، ص ١١٢-١١٧.

(٥) الراوي، الحدود الدولية...، ص ٢٤٧.

(٦) مجموعة مؤلفين، العلاقات العربية الإيرانية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٧٨-

٧- المشاكل التي أثارها الدولة الفارسية للدولة العثمانية في منطقة السليمانية شمال العراق من خلال التدخل بشؤونها عن طريق واليها محمود باشا الذي التجأ إلى الدولة الفارسية في عام ١٨٤٢ بعد عزله من منصبه، وأخذ يرسل الدولة العثمانية لإعادته إلى الحكم بمعوية الشاه الفارسي إلا أن الدولة العثمانية لم تقبل أن تعيده إلى عرشه؛ مما أثار غضب الشاه الذي طالب محمود باشا بمهاجمة العثمانيين إلا أنه فشل أمام القوات العثمانية، ولقي هزيمة كبيرة؛ لذلك أصدر الشاه أوامره بحشد القوات الفارسية في همدان استعداداً لاجتياح العراق من الشمال؛ مستغلاً الظروف وهذا ما تم ذكره سابقاً^(١).

وأمام تلك المسائل الخلاقية قررت كلٌّ من إنكلترا وروسيا تحطيم الواقع المتشدد بين الطرفين (الدولة العثمانية والدولة الفارسية) للوصول إلى حلول تنهي الصراع؛ وبالتالي يكون مقدمة للتوسع الأوروبي في كلا البلدين سواء بشكل مباشر أو غير مباشر وبدا ذلك واضحاً في اتفاق تلك الدول واجتماعها على مصلحة واحدة، وإن تمسك روسيا بمواقف الدولة الفارسية واتجاهاتها لكونه يتيح لها إرساء أقدامها في المنطقة. أما الدافع الكامن وراء وقوف إنكلترا مع وجهة النظر الفارسية ودعمها أكثر من وجهة النظر العثمانية في المفاوضات هو أن إنكلترا أرادت أن تفتح نهر كارون أمام الملاحة الدولية؛ فضلاً عن ذلك المشاريع التجارية التي هيأتها إنكلترا في جنوب و جنوب شرقي فارس^(٢). وفي الحقيقة أن الخاسر الأكبر في تلك المفاوضات هو العراق.

كان لدى الدولة الفارسية والدولة العثمانية مطالب أساسية من أجل إحراز تقدم في مفاوضات أرضروم وفي سبيل إنجازها.

ومن أهم المطالب الفارسية:

١- التزام السلطة العثمانية ألا تدعم أمراء الفرس المتمردين على الدولة الفارسية ولا سيما في الأراضي العراقية.

٢- السماح للدولة الفارسية أن يكون لها اليد الطولى في تعيين حاكم السليمانية.

٣- إجبار العشائر الفارسية التي نزحت إلى الأراضي العراقية على العودة إلى موطنها الأصلي في بلاد فارس والعمل على معاقبتها.

٤- مطالبة القناصل الفرس بحماية رعايا الدولة الفارسية بأطيافهم ومذاهبهم كافة.

٥- التزام السلطنة العثمانية بدفع التعويضات كافة التي ترتبت عليها بسبب حملات ولايتها، ومنها: حملة نجيب باشا على كربلاء ١٨٤٢ وحملة حاكم مدينة راوندوز علي باشا على

(١) اشتياني، تاريخ إيران...، ص ٨٠٢.

(٢) مجموعة مؤلفين، العلاقات العربية...، ص ٧٥-٧٦.

الأراضي الفارسية وما لحق بها من أضرار مادية، وحملة علي رضا على مدينة المحمرة عام ١٨٣٧ .

٦- السماح لحجاج الدولة الفارسية بزيارة العتبات المقدسة في العراق والأراضي المقدسة في الحجاز وتقديم التسهيلات كافة، وإلغاء جميع القيود المفروضة عليهم ورفع القيود المفروضة على الزواج المختلط بين أبناء الطائفتين.

٧- التزام السلطنة العثمانية بإلغاء جميع الضرائب المفروضة على دفن رفات رعايا الدولة الفارسية في العتبات المقدسة؛ فضلاً عن ذلك إلغاء جميع الضرائب المتعلقة بعبور الأنهار ودخول الخانات والحصول على تذكرة السفر.

٨- إلغاء القيود على التجارة الفارسية في الدولة العثمانية بشكل عام والعراق بشكل خاص ولاسيما الضرائب التي فرضت عليها إلا ضريبة ٤% على البضائع المصدرة إلى الدولة العثمانية.

٩- أن تلتزم السلطنة العثمانية بأن تدفع ما عليها من مستحقات تأخرت فيها تتعلق بإيجار المراعي في الأراضي الزراعية التابعة للدولة الفارسية.

١٠- رفع القضايا التجارية أمام المحاكم التي لا تتعامل مع القوانين العثمانية الجديدة وإنما التي تعتمد على الشريعة الإسلامية في فض النزاعات^(١).
أما المطالب العثمانية فتمثلت ب:

١- أن تتخلى الدولة الفارسية عن ادعائها بمدينة المحمرة وزهاب، وإعادة تلك الأراضي إلى الدولة العثمانية.

٢- التزام الدولة الفارسية بمواد المعاهدات السابقة زهاب ١٦٣٩ ومعاهدة كردان ١٧٤٦ ومعاهدة أرضروم الأولى ١٨٢٣.

٣- تسوية مشكلة العشائر الموجودة على الحدود بين الدولتين بإعادة تحديدها.

(١) نوار، تاريخ العراق...، ص ٣٣٧-٣٣٨. الدجيلي، إيران والعراق...، ص ١٦٢-١٦٣.

٤- الاعتراف بتبعية سنجابی^(١) والهورمان^(٢) والكلهر^(٣) والجاف^(٤) والمحيسن ومنكور^(٥) وبني لام^(٦) للدولة العثمانية.

(١) سنجابی: هي من العشائر الكردية تشكلت العشيرة في نهاية القرن السادس عشر من الكاشكاين والشهروربين والور. وهي متحضرة وتسكن في مناطق قريبة من الحدود مع الدولة الفارسية كرمناش وغيرها. ولها فروع تسكن في الدولة الفارسية م.س لازاريف، المسألة الكردية ١٩١٧-١٩٢٣، ترجمة عدي حاجي، دار الفارابي، بيروت، دار أراس للطباعة، أربيل، ط٢، ٢٠١٣، ص ٨٠. عباس العزاوي، موسوعة عشائر العراق، ج٤، الدار العربية للموسوعات، بيروت- العراق، ٢٠٠٥، ج٤، ص ٩٠-٩٢.

(٢) الهورمان: تسكن هذه القبائل في جبال هاورمان الكائنة بين العراق والدولة الفارسية، والقسم المطل منها على شهرزور كانت تابعة للعراق؛ بموجب المعاهدة الفارسية العثمانية أيام السلطان مراد. أما الحدود الفاصلة بين الدولة الفارسية والعراق كانت تمرّ بمنتصف تلك الجبال، وهذه العشيرة تقسم إلى شعبتين؛ اللهون: ويسكنون غرب سلسلة جبال هورمان في العراق، والتخت يسكنون شرق السلسلة في الدولة الفارسية، وتخضع هذه العشيرة لمؤثرات شيوخ الطريقة النقشبندية؛ وبخاصة الشيخ علاء الدين والشيخ حسام الدين للمزيد مؤلف مجهول، سري العشائر الكردية في العراق، مديرية الاستخبارات العسكرية المعاونة الأولى، د.م، د.ت، ص ٢١.

(٣) الكلهر: هي قبائل يقال لها كلهور وكلور وهي متفرقة في أماكن كثيرة من العراق بالقرب من الأودية في السليمانية وكركوك وديالى مجاورة في الأصل لمندلي ومواطنها الأصلية في الإيوان وماقربها، وتقع على الحدود، ويوجد بعض منها في الدولة الفارسية بالقرب من العراق، ويدعون أن نسبهم يعود إلى كودز بن كيو، وقد سماه المؤرخون بخت نصر. للمزيد: انظر: العزاوي، موسوعة عشائر...، ج٤، ص ٢٤٢.

(٤) الجاف: عشيرة الجاف تُعد من أكبر العشائر الكردية وأكثرها انتشاراً كانت هذه العشيرة أيام الأردلانية تقيم في منطقة حوانرو التي كانت تمثل إحدى المقاطعات الأردلانية، وكان بكواتهم حتى عام ١٧١٨ يتمتعون باستقلاليتهم، ولكن حصلت معركة بين عشيرة الجاف والأردلانيين، ومن نتائجها قتل رئيس عشيرة الجاف، وألقي القبض على شقيقته وابنته، ومن ثم نفذ حكم الإعدام فيهم، وفرّ عدد كبير من زعمائها وأفخاذها، واحتموا لدى الباشا الباباني، ومنهم من بقي في أردلان. للمزيد: انظر: مؤلف مجهول، العشائر الكردية في العراق...، ص ٢٧.

(٥) عشيرة منكور: هؤلاء يُعدون قبيلة بحد ذاتها لكنّهم وتوسعاتهم تميل في الصيف إلى صفوف بولاك، وفي الشتاء إلى بشدر التابعة إلى السليمانية يمتدون من دريند رانيه إلى بسوه لقد كانت بسوه للعراق وثم أصبحت للدولة الفارسية، وكان رئيسهم بايز آغا ابن كاكل ابن بابير آغا وبعده ولده حسن آغا. ويذكر أنه في إبان الحرب العالمية الأولى استعملت الدولة العثمانية هذه القبيلة لمنع تجاوز الروس على الموصل. للمزيد: انظر: مؤلف مجهول: العشائر الكردية في العراق...، ص ٢٤.

(٦) بني اللام: هم من العشائر الطائية القحطانية وترجع نسبهم إلى الجد الأعلى وهو أبو السكين زكريا بن يحيى حصن بن عمر بن حميد بن منهب بن حارثة بن خريم بن أوس بن حارثة بن لام الطائي اللامي الكوفي، وسكنت هذه القبيلة في المدينة المنورة ويثرب، وبطون منها دخلت في أسرة آل ربيعة من عرب سورية وبطون أخرى نزحت إلى ميسان والأحواز وغيرهما من المناطق الجنوبية والفراتية. وكان انهيار سد مأرب في اليمن هو السبب الرئيس لهجرتها إلى سورية والحجاز وعدة مناطق في العراق كالبصرة والكوفة... إلخ. للمزيد: انظر: ثامر

٥- التزام الدولة الفارسية بدفع التعويضات كافة التي ترتبت عليها؛ بسبب هجومها على لواء السليمانية عام ١٨٤٠.

٦- قبول الشاه وموافقته على معاهدة بلطة ليمان التي وقعت بين الدولتين الفارسية والعثمانية^(١).

أمام هذه المطالب حصلت تشنجات كبيرة بين الطرفين، ومن البديهي التساؤل: ما التشنجات التي حصلت خلال المفاوضات بين الدولتين العثمانية والفارسية، وهل تدخلت الدول الأوروبية روسيا وإنكلترا في إنهاء تلك المشاكل ؟

وفي الواقع حصلت خصومات كبيرة ومشادات بين الدولتين، وكادت تؤدي إلى إنهاء المؤتمر وفشل المفاوضات لولا توسط الدول الأوروبية بينهما، ومن هذه المشاكل أن مندوب الدولة الفارسية ذكر بعض الملاحظات التي تتصل بصفة أساسية بأمر عدّها بعض أهالي أرضروم إهانة لهم، وأخذوا بالهجوم على معسكر مندوب الدولة الفارسية، وقاموا بقتل عدد من حاشيته، وأرادوا إنهاء حياته، ولكن تمّ إنقاذه من قبل حاشية المندوب العثماني، كما أن الدولة العثمانية أخذت تُهدّئ من خطورة الموقف بأن أرسلت اعتذارها للمندوب الفارسي، ودفعت للدولة الفارسية مبلغ بقيمة ١٥ ألف تومان لإنهاء الخلاف وتعويضها عن الحادث^(٢).

فضلاً عن ذلك اشتدّت الخصومة بين المندوبين الفارسي والعثماني حول منطقة المحمرة، وكاد الأمر يؤدي إلى نهاية مأساوية، فقد قامت الدولة العثمانية بالضغط على الدولة الفارسية في منطقة شط العرب من خلال إرسال سفينة حربية عند مدخل نهر الحفار مصبّ نهر كارون في شط العرب لترسو هناك؛ بحجة أنها تقوم بأعمال حماية السفن التجارية العثمانية من اعتداءات قبيلة كعب العربية القاطنة على الضفة الشرقية، ولكن الباطن لتعيق حركة الملاحة في المحمرة ولتحويل سيرها إلى ميناء البصرة لتسيّد ماعليها من رسوم قبل التوجه إلى ميناء المحمرة، واعترضت كل من الدولة الفارسية وإنكلترا على تلك الإجراءات بشدة؛ لأنها ستؤثر سلباً على تجارتهم في تلك المنطقة فلن تسمح إنكلترا بأي طارئ يهدّد مصالحها الحيوية وتجاريتها وبالتالي مارست كل أنواع الضغوط على الدولة العثمانية للعدول عن قرارها، فنجحت بذلك وأصدرت الدولة العثمانية أوامرها، وأبلغت والي بغداد نجيب باشا بأن يسحب السفينة إلى الشمال من الحفار، ولكنها ظلت تتجول في المناطق القريبة لكي تستطلع الأوضاع^(٣).

=عبد الحسين العامري، موسوعة العشائر العراقية، ج٩، مكتبة الصفا والمروي، لندن، ١٩٩١، ج٢، ص٢٢٦-٢٢٧.

(١) نوار، تاريخ العراق...، ص٣٣٩. الدجيلي، إيران والعراق...، ص١٦٣.

(٢) الوردي، لمحات اجتماعية...، ج٢، ص١٢٧.

(٣) النجار، التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية...، ص٧٤. نوار، تاريخ العراق...، ص٣٣٤-٣٤٠.

وهكذا بدأت المساعي الجدية لعقد الاتفاقية بعد مضي أربع سنوات من المفاوضات بين الدولتين العثمانية والفارسية بمعية روسيا وإنكلترا. وبالتالي نتجت عن تلك المفاوضات معاهدة أرضروم الثانية ١٨٤٧^(١).

بعد إنهاء المباحثات بين الأطراف الوسيطة والمتازعة وموافقة الطرفين على مسودة بنود المعاهدة عقد المؤتمر الختامي لإبرام المعاهدة وتوقيعها في أرضروم، وذلك في ٣١ أيار ١٨٤٧ وبحضور كل من المندوب العثماني أنور أفندي^(٢)، والمندوب الفارسي ميرزا تقي خان^(٣) الرائد وليامز والرائد رينير كمفوضين لدولتي الصلح إنكلترا وروسيا^(٤). وبعد تفحص مواد المعاهدة التسعة ومقارنة النسخة العثمانية والفارسية مع النسخة الأصلية لمشروع المعاهدة حسبما اقترحه مندوبا الصلح، وتمّ تصحيح بعض الأخطاء الكتابية الصغيرة والتي وجدت واحدة منها في الوثيقة العثمانية؛ الأمر الذي أدى إلى احتجاج مندوب الدولة الفارسية على ذلك^(٥).

ومن الجدير بالذكر أن الدولة العثمانية وقبل توقيع معاهدة أرضروم الثانية، قد استوضحت في رسالة وجهها وزير خارجيتها نيابة عنها إلى سفيرتي الدولتين الوسيطتين (إنكلترا وروسيا)، بخصوص تفسير بعض الأمور التي جاءت في نصوص المعاهدة السابقة، كشرط من شروط الموافقة على توقيعها^(٦)، وهي :

١- أن تُترك مدينة المحمرة ومينائها ومرساها وجزيرة عبادان لبلاد فارس، أن تشمل أراضي الباب العالي الواقعة خارج المدينة، وموانئه الأخرى في هذا الإقليم أم لا، وأن العشائر

(١) د.ك. و ملفات وزارة الخارجية، مجموعة محاضر جلسات قوميون تحديد الحدود التركية - الفارسية، ص ٣-٤ وانظر: الملحق كما جاءت بين الدولتين. مؤلف مجهول، ملف وثائقي فصول من النزاع العراقي الإيراني، د.م، ١٩٨١، ص ١٢٠-١٢٤.

(٢) يذكر أن المندوب العثماني كان نيازي أفندي الذي عمل دبلوماسياً وسفيراً لدى الباب العالي في لندن وفيينا، ولكنه توفي قبل بدء المفاوضات بين الطرفين في أرضروم فحلّ محله أنور أفندي في المفاوضات، حيث كان يعمل سكرتيراً لدى نيازي أفندي لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، ج ٤، ص ٢٠٢٥.

(٣) كان المندوب لدى الدولة الفارسية في البداية ميرزا جعفر الذي عمل دبلوماسياً وسفيراً لبلاده في الدولة العثمانية، لكنه توفي على إثر مرض في أثناء توجهه إلى أرضروم فتولى المفاوضات ميرزا تقي خان. لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، ج ٤، ص ٢٠٢٥.

(٤) أنعام مهدي علي السليمان، حكم الشيخ خزعل في الأحواز، ١٩٢٥-١٨٩٧، مكتبة دار الكندي، بغداد، ٢٠٠٦، ص ٣٨-٣٩.

(٥) F.O. 78/2715 . Annx Zin No4. Tradution of the Ldentic Tukish and Persian nine Articles Proposed for Treaty.P. 24;

(٦) عبد الإله بدر علي الأسدي، العلاقات العراقية - الإيرانية ١٩٢٠ - ١٩٣٧ - دراسة تاريخية سياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ٩.

الفارسية التي يسكن نصفها في أراضٍ عثمانية ، هل ستبقى خاضعة لفارس؟ وبالتالي هل يترك لفارس الأراضي التي تحت تصرفها ؟ وهل سيكون للحكومة الفارسية الحق يوماً من الأيام التصرف في هذه الأراضي ؟

٢- هل تدخل الحكومة الفارسية التعويضات المالية التي تنازلت عنها كلتا الدولتين ضمن الادعاءات الشخصية التي تشمل رسوم الرعي والخسائر التي تكبدها رعايا الدولتين من جراء الأعمال التي ارتكبها قطاع الطرق وغيرهم ؟

٣- طلب الباب العالي الحصول على موافقة الحكومة الفارسية على مسألة المعاملة المتبادلة لكل من الدولتين فيما يتعلق برعاياهما ووزرائهما وقناصلهما ، وكذلك منع إقامة الاستحكامات والحصون على الضفة اليسرى من شط العرب من قِبَل فارس، وعلى الضفة اليمنى من قبل الدولة العثمانية، وإضافتهما إلى المعاهدة السابقة^(١).

ويجدر ذكره هنا : أنه وخلال المدة التي مُنحت للطرفين لدراسة المعاهدة وإظهاراً لحسن النية تجاه عملية السلام والمعاهدة التي اتفق على إبرامها ، أرسل الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا أمراً وزارياً إلى والي بغداد محمد نجيب باشا في ١٩ شباط ١٨٤٦ جاء فيه : " إن الباب العالي بصدد إبرام معاهدة سلام عبر تسوية ودية للنقاط والمسائل التي كانت إلى وقت قريب تمثل مصدر نزاع بينه وبين بلاط الدولة الفارسية؛ وبالتالي فإن مقتضيات الأمور تجعل الباب العالي يبدي رغبته أكثر من أي وقت مضى على إرساء المشاعر الكريمة والمبادئ السلمية التي ينطلق منها في التعامل مع ممثلي هذه المسائل . لهذا السبب فإن سعادتكم راغب بتوزيع عادل للهبات التي يتوجب منحها في قضية كربلاء ، ووفقاً للتعليمات الواردة لدى الدفتردار السابق واستناداً للآراء التوافقية مع القنصل الفارسي في بغداد . وكذلك منع التجاوزات والمضايقات الصادرة من الثكنة العسكرية الموجودة في البصرة إزاء السفن الفارسية ومراقبة القبائل الحدودية والإبقاء على حالة من النظام والأمن بغية عدم تكرار أية أعمال عدائية ضد الأراضي الفارسية^(٢).

وقد أجابت الدولتان الوسيطتان في مذكرة إيضاحية في ٢٦ نيسان عام ١٨٤٧^(٣). واجهت معاهدة ارضروم تحديات كثيرة تمثلت في المذكرة الإيضاحية. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: هل وافقت الدولة الفارسية على تلك المذكرة الإيضاحية ووقعت عليها ؟

(١) ينظر ملحق رقم ١٥ للاطلاع على بنود المذكرة الإيضاحية

(٢) F.O. 78/2714. Annx 5 in No.3. Tradution de la Copie a une Depehe Uizirielle Adressee au Pacla de Bagdad (Piece Communiquée le 5 fevrier (17) mars, 1846 . P. 13.

(٣) أسود، الحدود العراقية الإيرانية...، ص ١١.

يمكن الإجابة عن السؤال بالآتي:

ذكر عدد من الباحثين أن الدولة الفارسية لم تكن على علم بما جاء بالذاكرة الايضاحية وتذكرت ذلك بقولها أن المندوب لديها ارتكب تجاوزات بأنه أيد الذاكرة الايضاحية وصادق عليها من دون إن يملك صلاحيات بذلك حيث طلب منه محمد شاه في أثناء سفره إلى العاصمة باريس التوجه إلى إستانبول لتبادل نسخ المعاهدة فيها بعد مصادقة السلطان العثماني عليها، وعلى إثر ذلك اتجه المندوب الفارسي إلى إستانبول، فقامت كل من إنكلترا وروسيا بعرض الذاكرة الايضاحية عليه^(١) ويقال إنه رفض تلك الذاكرة في البداية، ولكن الضغوط الأوروبية عليه وقيام الدولة العثمانية بدفع رشوة له تقدر بحوالي أربعة آلاف تومان وافق على تلك الذاكرة، وقام بإرسال رسالة إلى كل من السفيرين الإنكليزي والروسي في ٣١ كانون الأول ١٨٤٨ يخبرهما فيها عن موافقته على تلك النقاط التي تم استعراضها، وليس لدى محمد شاه مانع بعدم إقامة تحصينات على الضفة الغربية لشط العرب بما أن الدولة العثمانية تعامل بالمثل؛ وبالتالي تم مبادلة نسخ معاهدة أرضروم ومصادقتها بين الدولتين، وهذا مانال ارتياح لدى الدولة العثمانية. وبعد ذلك قام مندوب الدولة الفارسية بإرسال نسخة من المعاهدة التي وقع السلطان العثماني عليها مع الذاكرة الايضاحية التي بعثها سفيراً إنكلترا وروسيا إلى السلطان العثماني مع موافقته عليها إلى دولته بعد وفاة محمد شاه واعتلاء ناصر الدين شاه الحكم في الدولة الفارسية، حيث إن الدولة الفارسية رفضت هذه الذاكرة الايضاحية؛ لأنها ستفقد امتيازاتها التي حصلت عليها من المعاهدة؛ فضلاً عن ذلك عدت عمل مندوبها اجتهداً شخصياً وتجاوزاً للمهمة التي أرسل من أجلها، وأسفر هذا إلى إجراء تحقيق معه على ما قام به لكونها صدرت دون علم الشاه عندما عاد إلى طهران^(٢).

وهكذا نجد أن الدولة الفارسية قامت بوضع العراقيل أمام تعديل المعاهدة؛ وبالتالي استغلت الدولة العثمانية هذا الأمر، وطالبت بإعادة النظر في موضوع المحمرة وعدم سرمان المعاهدة إلا بعد موافقة الدولة الفارسية على الذاكرة الايضاحية^(٣). وبدأت بعملية عسكرية للضغط على الدولة الفارسية باحتلال منطقة فطور، ولكن الدولة الفارسية لم تقف مكتوفة

(١) النجار، العلاقات العثمانية...، ص ١٣٣.

(٢) النجار، العلاقات العثمانية...، ص ١٣٤-١٣٥.

(٣) ويذكر أن وزير الخارجية الإنكليزي بالمرستون تنبه على أن الدولة العثمانية قادرة على المطالبة بالمحمرة وجزيرة الخضروالضفة الشرقية لشط العرب بما أنهم كانوا مثاراً للجدل مع الدولة الفارسية؛ بحجة الذاكرة الايضاحية التي طالبت الدولة العثمانية بها وعلى إثرها قامت كل من إنكلترا وروسيا بإيضاح النقاط التي استفسرت الدولة العثمانية عنها للاطلاع على الذاكرة الايضاحية انظر: ملحق رقم ١٥.

الأيدي، فقامت باحتلال مدينة المحلة التابعة للعراق، وطالبت الدولة الفارسية بأراضي الضفة الغربية لشط العرب.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل سيكون هذا الخلاف حاسماً بين الطرفين (الدولة العثمانية والفارسية) للتملص من معاهدة أرضروم أم أن إنكلترا وروسيا ستمنعان ذلك من المجابهة الحربية، وتعيد المفاوضات بين الطرفين؟

وفي الحقيقة من خلال اطلاعنا على المشهد السياسي تبين لنا أن إنكلترا وروسيا قامتا بمواجهة هذه الحرب، وأخذتا تبحثان عن حلٍّ للمشكلات القائمة بين الطرفين إلى أن تمّ التوصل إلى اتفاق جديد. ومن أهم ما صدر عن هذا الاتفاق:

١. أن تتنازل الدولة العثمانية عن فكرة وجودها من منطقة المحمرة.

٢. أن تتنازل الدولة العثمانية عن مطالبتها في الأراضي الواقعة شرقي جزيرة الخضر.

٣. استمرار محلة داخل الأراضي الفارسية^(١).

وهكذا نجد أن معاهدة أرضروم لم تُلَبَّ جميع المطالب لدى الدولتين، ولكنها أحدثت حلولاً وسطيةً ولها دورٌ أساسيٌّ في انفراج تلك العلاقات. فقد توجّهت الدولة الفارسية إلى بناء دورها الإقليمي في المنطقة من خلال إثارته للمشاكل الحدودية والمنازعات على العشائر وما خلفته من فوضى في المنطقة مع الدولة العثمانية إلا أن المتغيرات الدولية جعلت كلاً من الدولة الفارسية والعثمانية تعمل على إعادة صياغة مشاكلهما بطريقة سليمة؛ لتفادي أي تصعيد في المنطقة؛ لأن الدولة العثمانية حاولت إيجاد آلية للتعامل مع الدولة الفارسية لتحقيق أهداف لها في المنطقة.

وبعد توقيع المعاهدة المبرمة وتصديقها في أرضروم بين الطرفين المتنازعين؛ الدولة العثمانية وبلاد فارس، صار لزاماً على الدولتين ترسيم الحدود على أرض الواقع، ووضع الخرائط اللازمة لها، ولزم هذا الأمر الاستعانة بأصحاب الخبرات من مسّاحين ومهندسين وجيولوجيين، ليقوموا بهذا العمل على أتم وجه؛ ليكون مرضياً للطرفين، وللحيلولة دون تجدد النزاع بين الطرفين مستقبلاً، فتشكلت لجنة رباعية عرفت بـ (لجنة الحدود المشتركة)^(٢).

(١) مجموعة مؤلفين، العلاقات العربية...، ص ٨١-٨٢.

(٢) تألفت لجنة الحدود المشتركة من: الكولونيل فنويك وليامز (Fenwick Willims) ١- مندوب إنكلترا. ب- الكولونيل جريكوف (Tcherikoff) مندوب روسيا ودرويش باشا مندوب الدولة العثمانية وميرزا جعفر خان مندوب بلاد فارس. للمزيد من التفاصيل ينظر: كاميران عبد الصمد الدوسكي، كوردستان العثمانية، ص ١٦٦-١٦٥. ونوه بأن: لجنة الحدود المشتركة قد باشرت أعمالها في كانون الثاني عام ١٨٥٠، في المحمرة، وقد شهدت اللجنة مناقشات وخلافات عديدة بين المندوب العثماني وأعضاء اللجنة الآخرين ولعدم

جاء توقيع معاهدة أرضروم الثانية عام ١٨٤٧، لاعتبارات عدة يأتي في مقدمتها، المصالح المتنامية لكل من إنكلترا وروسيا في كل من بلاد فارس والدولة العثمانية^(١)، ورغبتها في حسم الصراعات العثمانية - الفارسية، لكي لا يؤثر الصراع بين هاتين الدولتين على المصالح الاقتصادية لكل من إنكلترا وروسيا؛ لذلك سَعَوْا لمنع قيام أي حرب بينهما؛ ومن هنا نرى اضطرار الدولتين الكبيرتين إلى مساندة الفرس أو العثمانيين؛ وبالتالي ستتدلع حربٌ جديدة تؤثر على مصالحهما في الشرق الأوسط؛ فضلاً عن ذلك فإن توقيع تلك المعاهدة جاء لتنظيم عمل القناصل الفرس والعثمانيين في كلا الدولتين^(٢).

رابعاً-النتائج التي تمخّضت عن معاهدة أرضروم الثانية (١٨٤٣-١٨٤٨) وأثرها على العراق:

شكّلت معاهدة أرضروم الحلقة الفعلية والأساسية الرابطة الدبلوماسية في العلاقات العثمانية الفارسية، لاسيما أن الحرب كادت تدق طبولها بين الدولتين الفارسية العثمانية إلا أن الدول الأوروبية؛ متمثلة بإنكلترا وروسيا لم تقبل أي خلل في موازين القوى خصوصاً بعد سعيهما لجعل العراق ضمن مناطق نفوذهما؛ لذا توسطتا بين الدولتين العثمانية والفارسية، كما لاحظنا لتحقيق مكاسب سياسية وتأمين مصالحهما الاستعمارية.

وفي الواقع إن معاهدة أرضروم الثانية نقطة تحول في العلاقات العثمانية الفارسية إلا أنها تركت تبعاتٍ ثقيلةً على العراق، وأحدثت فجوة عميقة من خلال ترسيم الحدود بين الدولتين على أساس عشائري ومذهبي، وليس على أسس جغرافية ووسائل حديثة يعتمدونها في تحديد الحدود

الاستجابة لطلبات المندوب العثماني درويش باشا، انسحب من اللجنة، وقدم تقريراً لحكومته ضمن رأيه في قضية شط العرب. وقد استمرت لجنة تخطيط الحدود في عملها، ولكنها جابهت مشاكل كثيرة منها:

١- قيام حرب القرم بين عام ١٨٥٣ - ١٨٥٦ بين الدولة العثمانية وروسيا، ثم دخول إنكلترا الحرب إلى جانب الدولة العثمانية، لذا توقفت أعمال اللجنة

٢- نشوب حرب بين إنكلترا وفارس عام ١٨٥٦.

وبعد حرب القرم قام ممثلون عن إنكلترا وروسيا برسم خريطة مفصلة ودقيقة للحدود المشتركة بين الدولة العثمانية وفارس، وتم إنجاز الخريطة المتفق عليها بعد جهود مضيئة في عام ١٨٦٩ وجرى تزويد الدولتين المتنازعتين بنسخة من الخريطة المتفق عليها في عام ١٨٧٠ وطلب إليهما تثبيت الحدود بموجبها. للمزيد من التفاصيل ينظر: الراوي، الحدود الدولية...، ص ٢٤٠.

(1) Todd Walter Ruffner, Identity and Border Relations between Iraq and Iran in the 20th Century: The Cases of Khuzestan and Shatt al-Arab, Presented in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree Master of Arts in the Graduate School of The Ohio State University, 2010, P.25

(2) عبود، الصراع الفارسي - العثماني ...، ص ٣١٣.

الفصل الرابع - مستجدات العلاقات العثمانية - الفارسية وتسوية الحدود بينهما ١٨٣٢ - ١٨٤٨ ١٨٨

كروسيا وإنكلترا اللتين تملكان أحدث الوسائل والخرائط والمعلومات، فنتج عن ذلك تغيير في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتلك العشائر؛ لكونها أجبرت على العيش في إحدى الدولتين^(١)؛ وبالتالي لم تختلف معاهدة أرضروم عن المعاهدات السابقة فقد ضمت منطقة السليمانية إلى الدولة العثمانية؛ لأن أغلب سكانها يدينون بالمذهب السني؛ لكونها حامية المذهب السني. أما منطقة عريستان فأعطيت إلى فارس باعتبار أن سكانها من المذهب الاثني عشر، وهي حامية المذهب الاثني عشري على الرغم من أن عشائرها لم تعترف بسيادة الفعالية لها، وإنما بالولاء الرمزي^(٢).

في تسوية معاهدة أرضروم الثانية تنازلت الدولة العثمانية إلى الدولة الفارسية عن إقليم عريستان بسبب الضغوط التي مارستها كل من إنكلترا وروسيا عليها؛ فضلاً عن ذلك أرادت التخلص من مشاكلها في عريستان من ثورات العشائر حيث إن قبضتها ليست فعالية، وأن يكون هذا التنازل شكلياً لايعني إنهاء السيادة العثمانية؛ وإنما تبقى الأرض لأهلها^(٣) ولكن كل هذه الأمور أفضت إلى خسارة العراق لجزء من أرضه، ونقل هذا النزاع إلى وقتنا الحاضر لعدم اعتراف الدولة الفارسية بحقوقهم.

أما تنازل الدولة الفارسية عن منطقة السليمانية، لأن منطقة السليمانية كانت ورقة ضغط على الدولة العثمانية للحصول على مكاسبها التوسعية فقد أرادت السيطرة على الولايات التي توجد فيها العتبات المقدسة في العراق (النجف وكربلاء) ولكي تكسب المزيد أرادت أن تبادل بها، وتضغط على الدولة العثمانية للحصول على منطقة المحمرة أيضاً^(٤).

وكان تدويل النزاع العثماني - الفارسي على العراق من خلال معاهدة أرضروم الثانية قد سمح للدول الأوروبية بالتدخل المباشر في منطقة العراق؛ وبالتالي أصبح العراق يعاني من تعاظم نفوذ الدول الأوروبية للسيطرة على الطرق التجارية الدولية من دون منازع. ومن هنا ستكون قرارات حكومته ليست لمصلحة العراق بقدر ما هي تنفيذ لأوامر الجهة المتحكمة بسياسته واقتصاده من خلال الامتيازات والضغوط السياسية والعسكرية في المنطقة؛ للحصول على أكبر قدر من ممتلكات الدولة العثمانية أو مكاسب من الدولة الفارسية؛ خصوصاً بعد التطور الكبير في وسائل المواصلات البرية والبحرية لاستعمال البخار، فأُنشئت السكك الحديدية؛ فضلاً عن استعمال البخار في تسيير السفن واستعمال الصلب في بنائها والمخترعات

(١) الدوسكي، كوردستان العثمانية...، ص ١٦٧-١٦٨.

(٢) النجار، التاريخ السياسي لإمارة عريستان، ص ٦٥-٦٦.

(٣) مجموعة مؤلفين، العلاقات العربية...، ص ٨٣.

(٤) حسين أمين، شط العرب ووضعه التاريخي، دار الحرية للطباعة، بغداد - ١٩٨١، ص ٦-٧. النجار، التاريخ السياسي لإمارة عريستان، ص ٦٥-٦٦.

في مجالات عدة، فتوجهت أنظار الدول الأوروبية إلى تنظيم خطوط الملاحة البحرية لتثبيت أقدامها في المنطقة^(١).

ومن الطبيعي أن يحدث استغلال من قبل إنكلترا لتلك الخلافات بين الدولتين لقد كانت إنكلترا سبباً في ترك مشاكل الدولتين؛ العثمانية والفارسية معلقةً من دون إنهائها بشكل جذري لتتمكن من التدخل خصوصاً أن العراق كان ومازال محطّ خلاف بين الدولتين؛ الأمر الذي أدى إلى رغبة إنكلترا في متابعة مشروعها الاستعماري ومصالحتها، وقد مهّدت إلى استعمار العراق لاحقاً^(٢) ويذكر الباحث محمد علي عامر: "أن إنكلترا تحرص على الهند أكثر من حرصها على جزائرها البريطانية؛ لأنها مصدر ثروتها ومظهر مجدها وما أقامت تلك الحصون والقلاع في عدن إلا لحفظ طريق الهند وما احتلت الحصون والقلاع في عدن إلا لحفظ طريق الهند، ورسخت قدمها إلا لحفظ الهند وما بذلته من أموال وفيرة في خليج فارس إلا لحفظ الهند، ومارضيت بقسمة الدولة الفارسية على أن تكون حصتها من النفوذ على القسم الجنوبي إلا لحفظ الهند وأنها تريد أن تكون كل الطرق الموصلة إلى الهند، ويمكن أن يسلكها أعداؤها في قبضتها"^(٣).

كما أن روسيا القيصرية سعت لتنفيذ حلم بطرس الأكبر ووصيته ومشروعه الاستعماري الذي يهدف للوصول إلى أعماق الهند ومن وصيته: "إذا ماسرى الانحلال في فارس توغلوا حتى تبلغوا سواحل الخليج فتعيدوا الحياة إلى الطرق التجارية القديمة مع الشرق الأدنى إن استطعتم، ثم واصلوا السير إلى الهند فهي محطّ كنوز العالم"^(٤).

بدأت بوادر الوعي القومي لأهالي العراق تطفو على السطح لما واجهته من سوء الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ فضلاً عن التفرقة العنصرية والمذهبية لدى كل من الدولتين؛ وبالتالي شكّلت انتفاضات وأزمات كبيرة لما قام به العشائر من حركات تحررية من الوجود العثماني والفارسي سواء في منطقة المحمرة من خلال ثورات العشائر ضد الوجود الفارسي^(٥). وبهذا الصدد أكد النجار ذلك بقوله: "إن تنازل الدولة العثمانية عن إقليم عربي تسكنه قبائل كعب العربية إلى فارس يعني أن تلك المناطق لم تكن تابعة لفارس من قبل وقد جرى تبادلها باعتبارها مناطق متنازعةً عليها في وقت لم يكن يمارس حق الشعوب في تقرير

(١) صالح، تاريخ العرب ...، ص ٣١-٣٢. لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية...، ص ١٦٠.

(٢) العلاقات العثمانية...، ص ١٣٥.

(٣) المحمرة والوحدة العثمانية، إعداد: أحمد أمين غزي، ترجمة: محمد صالح، الهلال، مصر، ٢٠١٥، ص ٥٥-٥٦.

(٤) السليمان، حكم الشيخ...، ص ٣٧.

(٥) الحلو، المحمرة مدينة وإمارة...، ص ٥٨.

المصير على نطاق واسع"^(١). أو منطقة السليمانية أيضاً ضد الوجود العثماني وقد أشارت إحدى الوثائق إلى تقرير الوالي نجيب باشا الذي أرسله إلى الصدارة العظمى بخصوص فتن بعض القبائل في شمال العراق وسعيه إلى إخمادها من خلال القوات العسكرية لديه بقوله: "...لأحاجة للبيان والتعريف لدى مقامكم العالي بأن طائفة الأكراد تتشكل من مختلف القبائل والعشائر، وإذا نظرنا إلى صنوف الأهالي في المنطقة التي يعيش فيها الأمير المذكور، وكذلك جهات العراق لوجدنا أن ثلثي أهلها هم من تلك الطائفة، بحيث تجعلهم رابطتهم القومية وكأنهم جسد واحد إذا لامست طرفاً منهم شعرت باقي الأكراد بالقلق، وسيكونون قلباً واحداً وهذا أمر لا يغيب عن ملاحظة أحد ... وعلى نحو ما بينا أعلاه فإن المناطق المحيطة ببغداد التي هي بمنزلة مهد وخاصة ألوية السليمانية وكوي وحرير وراوندوز أصبحت بفضل قوة مولانا السلطان ضمن دائرة الانقياد قبل وقت قصير وبات الحاكم السابق لراوندوز الخبيث يجول في تلك المنطقة، كما أن الخبيثين سعدون شيخ العبيد وصفوق الشيخ السابق لشمر الجربا ليسا ضمن دائرة الطاعة حيث يضيقان على جهات بغداد والموصل بصورة مستمرة ويتعاونان مع الأمير المذكور في السر والعلن، لذلك وجدنا أعداداً كافية من القوة العسكرية هناك ليكون الأمير المذكور تحت طائلة الأخذ والتأديب في حال قيامه بأي تحريض أو إفساد"^(٢).

وبلاحظ من خلال الوثيقة أن الوعي القومي كان واضحاً لتلك العشائر الكردية، فهي لم تهدأ تأثرتها ضد الوجود العثماني والفارسي.

يذكر أن معاهدة أرضروم نظمت عمل القناصل بين البلدين وبعض الأمور المتعلقة بين الطرفين بخصوص التجار والحجاج، وأصبحت أساس التعامل، ولكن هل نظمت هذه المعاملات بشكل جدي أو ظلت حبراً على ورق؟

في الحقيقة كانت هذه المعاهدة التي تخص تنظيم عمل القناصل لم يتغير من الواقع المفروض على البلدين شيئاً حيث أن الدولة الفارسية قامت بتعيين قنصل لها في الدولة العثمانية عام ١٨٤٩ إلا أن أوراق اعتماده لم تعطه الحقوق التي يتمتع بها القناصل الأوروبيين وامتيازاتهم فضلاً عن ذلك أجبر الدولة العثمانية رعايا الدولة الفارسية الحكم ضمن محاكمها التي تتخذ من المذهب السني دستور لها في تنظيم العلاقات وبالتالي ظلت العلاقات متوترة نوعاً ما فقد منعت

(١) النجار، التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية، ص ٨٠.

(٢) للمزيد: انظر إلى نص الوثيقة رقم ٥٩ في الكتاب ورقمها الأصلي ١٥ ١٢٦٦ بتاريخ ١٣ جمادى الأولى سنة ١٢٦٣ هـ ٢٩١ نيسان ١٨٤٧م بالرجوع إلى كتاب خليل علي مراد، عبد الفتاح علي البوتاني، صفحات من تاريخ الكرد وكوردستان الحديث في الوثائق العثمانية ١٨٤٠-١٩١٥، مطبعة الحاج هاشم، أربيل، ٢٠١٥. ص ٢٠٥-٢٠٩.

الدولة الفارسية رعاياها من عبور الحدود إلى بغداد بسبب الاضطرابات والفوضى في ولاية بغداد عدا عن الأزمة الدبلوماسية بين البلدين^(١).

وهكذا نجد أن معاهدة أرضروم أكدت على بنود المعاهدات السابقة كما أنها أعادت رسم الحدود بين البلدين ولكن على أساس مذهبي وعشائري كما لاحظنا ولاشك أن هذه البنود تبدو كأنها حققت مكاسب للدولة الفارسية وذلك لوقوف الدول الأوربية إلى جانبها خلال المفاوضات أكثر من الدولة العثمانية وبالتالي انفتح الطريق أمام الدول الأوربية للسيطرة على مقدرات العراق؛ فضلاً عن تحمل العراق هذا العبء الثقيل وإرث للنزاعات المذهبية والعشائرية التي نخرت بأجزائه لكونه لم يكن صاحب القرار، وإنما كان مغلوباً على أمره.

(١) لوريمر، دليل الخليج القسم التاريخي، ج ٤، ص ٢٠٣٩.



الخاتمة:

إن وقوع العراق بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية جعل مصيره ساحة للتنافس بينهما لغناه بالموارد الاقتصادية ومكانته في التجارة الدولية حيث تناوبتا على احتلال العراق وتمزقت ما بين أطماعهما التوسعية الهوية العربية وتوزعت الولاءات للسلطان العثماني والشاه الفارسي باسم المذهب والطائفة حيث إنه لم يكن دولة بالمعنى الحديث؛ وإنما مجموعة ولايات تحت السيطرة العثمانية خلال فترة الدراسة؛ فاتخذ هذا التنافس أبعاداً سياسية اقتصادية اجتماعية مختلفة، وأورثته صراعات مذهبية وطائفية لا يزال أهلها يعيشونها حتى اللحظة الحاضرة.

ومع بدايات القرن التاسع عشر تشكلت متغيرات سياسية حديثة أثرت بشكل كبير في معطيات التنافس بين الدولتين على العراق حيث تصاعدت المؤامرات الأجنبية ممثلة؛ بفرنسا وإنكلترا وروسيا التي أخذت تسعى في مشاريعها الاستعمارية بالتمدد على حساب الضعف في المنطقة؛ لتقاسم تركة الرجل المريض والدولة الفارسية.

والجديد في هذه الدراسة أنها بينت أن العراق دفع باتجاه التشرذم والاصطفافات، وهذا الأمر ليس وليد الصدفة، وإنما كان الحلقة الأضعف بين الدولتين بين مشروع الدولة الفارسية التي أرادت جعل الخليج العربي بحيرة فارسية تحيط به شعوب ضمن مناطق نفوذها كالعراق؛ فضلاً عن ذلك وجود العتبات المقدسة فيه التي كانت جلّ اهتمامها السيطرة عليها بادعائها أنها حامية المذهب الاثني عشر وبين مشروع الدولة العثمانية؛ كونها أرادت أن تكون خليفة المسلمين وجمع الشعوب الاسلامية كافة ضمن مناطق نفوذها كالعراق بادعائها أنها حامية المذهب السني؛ مما جعل الاستقرار هدفاً محالاً في المنطقة إلا أن الهدوء النسبي خفف من حدة التوترات عن طريق عقد المعاهدات بينهما لكنها فشلت في التوصل إلى حلول مرضية للطرفين.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

١- لقد كانت العلاقات العثمانية- الفارسية ذات طابع محلي ودولي منذ القرن السادس عشر، فقد كان ظهور الدولة الصفوية في فارس من جملة الأسباب التي أحدثت انقلاباً في استراتيجية الدولة العثمانية، فتوقفت زحفها باتجاه أوروبا، وبدأ صراع بين الدولتين يأخذ طابعاً حاداً في العلاقات المتوترة التي أدت إلى نشوب الحرب بينهما. وكانت هذه الحروب على أرض العراق؛ وبالتالي شكّلت كل واحدة منهما خطراً على الدولة الأخرى.

٢- على الرغم من عقد سلسلة من المعاهدات بين الدولتين العثمانية والفارسية إلا أنها لم يكن لها تأثير كبير في إنهاء حالة التنافس والصراع بينهما.

٣- إن عدم تدخل الدولة العثمانية بالشؤون الداخلية للدولة الفارسية على إثر مقتل نادر شاه ١٧٤٧؛ عندما طلب منها ذلك سفير الدولة الفارسية مصطفى خان؛ نظراً لانشغالها في

أمور أخرى، كحروبها مع روسيا؛ فضلاً عن أن أنها كانت تعيش أوضاعاً متردية، فأرادت الحفاظ على معايير السلام من خلال التأكيد على أهمية بنود المعاهدة التي أبرمتها مع الدولة الفارسية سنة ١٧٤٦ ، فهي لا تريد زج نفسها بحرب خارجية مع الدولة الفارسية. كونها كانت قلقة من ظهور شخصية قوية تجعلها تتكبد خسائر كبيرة لا تُحمد عقباه.

٤- أدرك كريم خان الزند أن السيطرة على العراق بداية السيطرة على الخليج العربي، وهذا المشروع كان حاضراً في ذهن كريم خان الزند، وأرسل جيشاً ضخماً بقيادة أخيه صادق خان، فحاصر البصرة ثلاثة عشر شهراً ثم دخلها بمفاوضات انتهت بتسليم البصرة للدولة الفارسية فهتك الأعراس، وأحدث بالبصرة خراباً وضرراً كبيراً في اقتصادها؛ فضلاً عن ذلك كان احتلال البصرة عاملاً مهماً أسهم في النمو الاقتصادي والسياسي للكويت.

٥- استطاعت الدولة الفارسية التغلغل في شمال العراق والتحكم به عن طريق خلق فوضى سياسية جعلت أمراء أدوات للضغط على الدولة العثمانية بما يتوافق مع مصالحهم، وتحقيق مكاسب لهم في المنطقة.

٦- تدخلت الدول الأوروبية في التنافس العثماني الفارسي؛ خوفاً على مصالحها ومن إخلال موازين القوى ولحماية الطريق الواصل إلى الهند. ومع نهايات القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر وجّهت الدول الأوروبية أنظارها نحو الدولة العثمانية والدولة الفارسية؛ بسبب تغييرات الاقتصادية والاجتماعية في وسائل الإنتاج، فبدأ التنافس والتصادم بين الدول الأوروبية للسيطرة عليهما إما عن طريق المعاهدات والدبلوماسيين أو الاحتلال، حيث أضحت كلا الدولتين كمستعمرة للدول الكبرى، واشتدت المنافسة الإنكليزية مع الدول الأخرى (فرنسا - روسيا) على العراق التابع للدولة العثمانية لأهميته كطريق بديل عن المواصلات العالمية بين الشرق والغرب، وتسابقت كل من إنكلترا وفرنسا للاستحواذ على ثرواته، فقامت فرنسا في إقناع السلطان العثماني التحالف معها من أجل ضرب المصالح الإنكليزية على طريق الهند، ولاسيما بعد حملتها على مصر، كما حاولت إنكلترا اجتثاث الوجود الفرنسي من المنطقة وإنهاء وجودها في المنطقة بطرق عدة، ومنها عزل الولاة في العراق المؤيدين لها، وعقد معاهدات مع الدولة العثمانية والفارسية لاستمالتهم بإخراج النفوذ الفرنسي ومنعه من الحصول على الامتيازات. وقد مهدت الأوضاع أمام روسيا القيام بخوض عدة حروب مع الدولة العثمانية والفارسية من أجل ضمان سيطرتها على المناطق الاستراتيجية لها.

٧- ومن أعقد المشاكل التي واجهت الدولة العثمانية نشوء الحركة الوهابية وتشكيل الدولة السعودية التي هاجمت الأماكن المقدسة في كربلاء والنجف وغيرها من المناطق حيث تأزمت العلاقات مع الدولة الفارسية إلى درجة أن الشاه الفارسي فتح علي شاه هدد بالهجوم على العراق

وقتال الحركة الوهابية؛ بحجة الدفاع عن زوار العتبات المقدسة إلا أنه لم ينفذ ذلك إلى أن انتهت على يد محمد علي باشا وتم تدمير عاصمتها الدرعية عام ١٨١٨ .

٨- استغلت كل من الدولة العثمانية والفارسية المشاكل الحدودية والعرقية والطائفية في العراق على شكل منازعات من خلال الطرق السلمية تارة، والطرق العسكرية تارة أخرى من أجل توسيع الهيمنة والنفوذ في المنطقة.

٩- سعى السلطان محمود الثاني إلى تقليص نفوذ القوى المحلية وإعادة الحكم المباشر للدولة العثمانية على ولاياتها، ومنها بغداد حيث أرسل حملة إليها بقيادة علي رضا باشا اللار الذي قام بمحاصرتها، وعانى أهلها من الطاعون؛ فضلاً عن الفيضانات وثورات العشائر، فاستطاع الوالي العثماني دخول بغداد وإنهاء حكم المماليك والقضاء على الوالي داود باشا الذي حاول الاستقلال بولايته، فأكرم السلطان العثماني الوالي علي رضا باشا اللار بجعله والياً على بغداد، ولكن العراق عانى من الفوضى والاضطرابات التي سهلت من عملية تكريس النفوذ الأجنبي في المنطقة مع بقاء التنافس العثماني الفارسي في أوجه

١٠- برزت الخلافات العثمانية الفارسية في العراق وتفاقت بشكل كبير بعد حملة علي رضا باشا اللار على المحمرة عام ١٨٣٧ التي ادعت كل من الدولتين أنها لها والسبب في تلك الحملة أن الدولة العثمانية أرادت تخريب ميناء المحمرة لضرب التجارة الفارسية وفي نفس الوقت تأمين التجارة في ميناء البصرة؛ فضلاً عن أنها أرادت فرض سيادتها في المنطقة وتأكيد تبعيتها عليها.

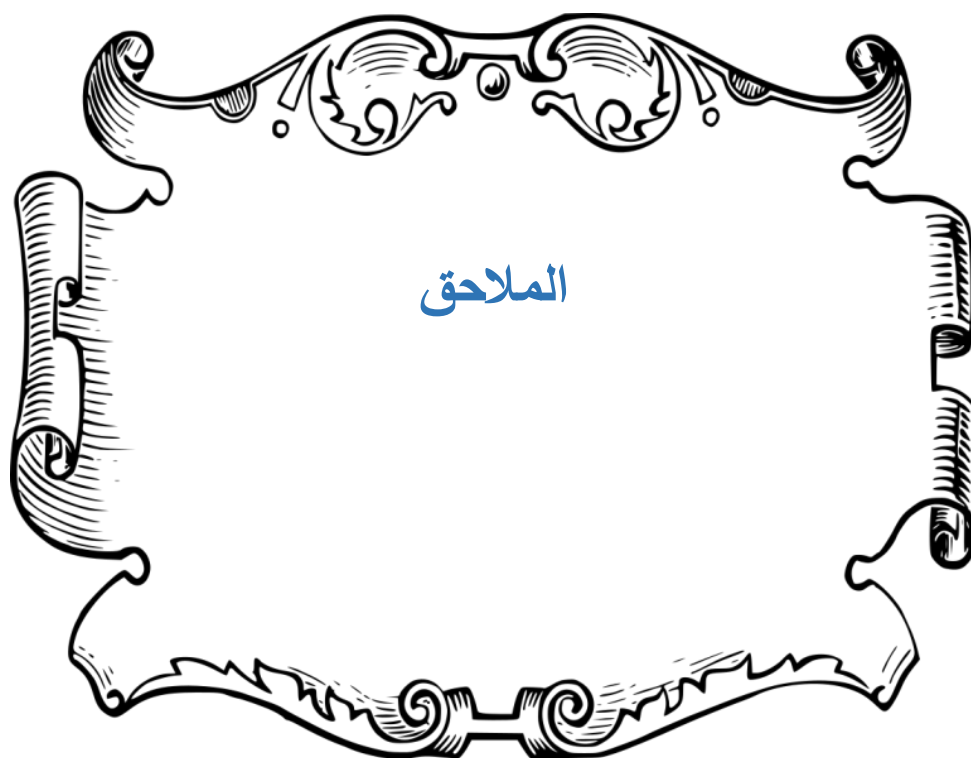
١١- ازدادت الأمور تعقيداً وتفاقماً بين الدولتين العثمانية والفارسية بسبب قيام الوالي العثماني نجيب باشا باقتحام مدينة كربلاء على إثر التمردات التي حصلت من قبل البرمازية الذين سيطروا على المدينة وتدخلوا في شؤونها الداخلية بشكل كبير حتى وصلت الأمور إلى درجة كادت الحرب وشيكة بين الدولتين بعد هذا الاقتحام الذي استتكر من قبل الدولة الفارسية؛ بحجة قتل عدد كبير من رعاياها وطلبت الدولة الفارسية من الدولة العثمانية دفع الأموال اللازمة للمتضررين من رعاياها بهذا الاقتحام فما كان من الدول الأوروبية إنكلترا وروسيا سوى التدخل لحل المشاكل دبلوماسياً بين الطرفين

١٢- اتسمت سياسة إنكلترا بالازدواجية للحفاظ على سياسة الأمر الواقع حيث وقفت إلى جانب الدولة العثمانية في صراعها مع الدولة الفارسية إلا بالقدر الذي يخدم مصالحها الاستعمارية في المنطقة أما روسيا فوقفت بجانب الدولة الفارسية لأنها أرادت تحقيق حلم بطرس الأكبر للوصول إلى المياه الدافئة.

١٣- جاءت معاهدة أرضروم عام ١٨٤٧ لوضع حد للخلافات القائمة بين الدولتين ومن أجل رسم الحدود ومعالجة الأمور الخلافية بحضور الوسيطيين الدبلوماسيين إنكلترا وروسيا

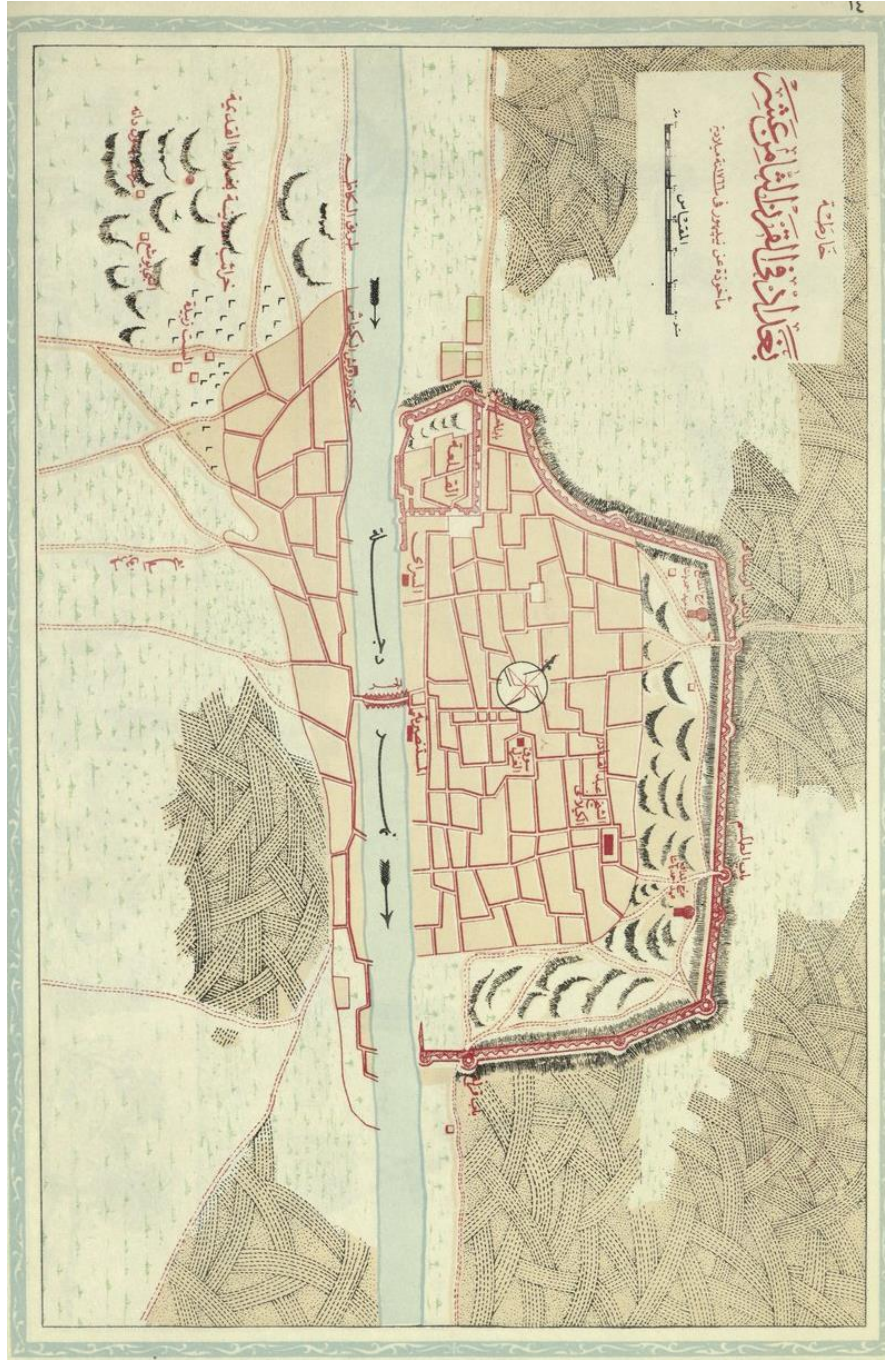
ومهدت تلك المعاهدة لتنازل الدولة العثمانية عن منطقة عريستان مقابل اعتراف الدولة الفارسية بتبعية السليمانية للدولة العثمانية.

١٤- كان من المفترض أن تتم عملية دراسة منطقة التخوم بين الدولتين العثمانية الفارسية دراسة جغرافية وبشرية وأن تقدم جميع الأوصاف والملكيات قبل أن تطرح أوراق الحدود على مائدة مفاوضات أرضروم، غير أن رسم الحدود بين الدولتين العثمانية والفارسية اعتمد على ادعاءات ومطالبات بين الطرفين، وكان التقسيم على أساس عشائري؛ الأمر الذي ترتب عليه نتائج خطيرة، إذ إن الخاسر الأكبر في معاهدة أرضروم الثانية ١٨٤٧ والتي صودق عليها ١٨٤٨ هو العراق؛ لكونه ورث النزاع والتنافس الذي كان قائماً بين البلدين؛ فضلاً عن اقتطاع أجزاء منه لمصلحة الدولتين .



ملحق رقم (١)

خريطة بغداد في القرن الثامن عشر^(١)

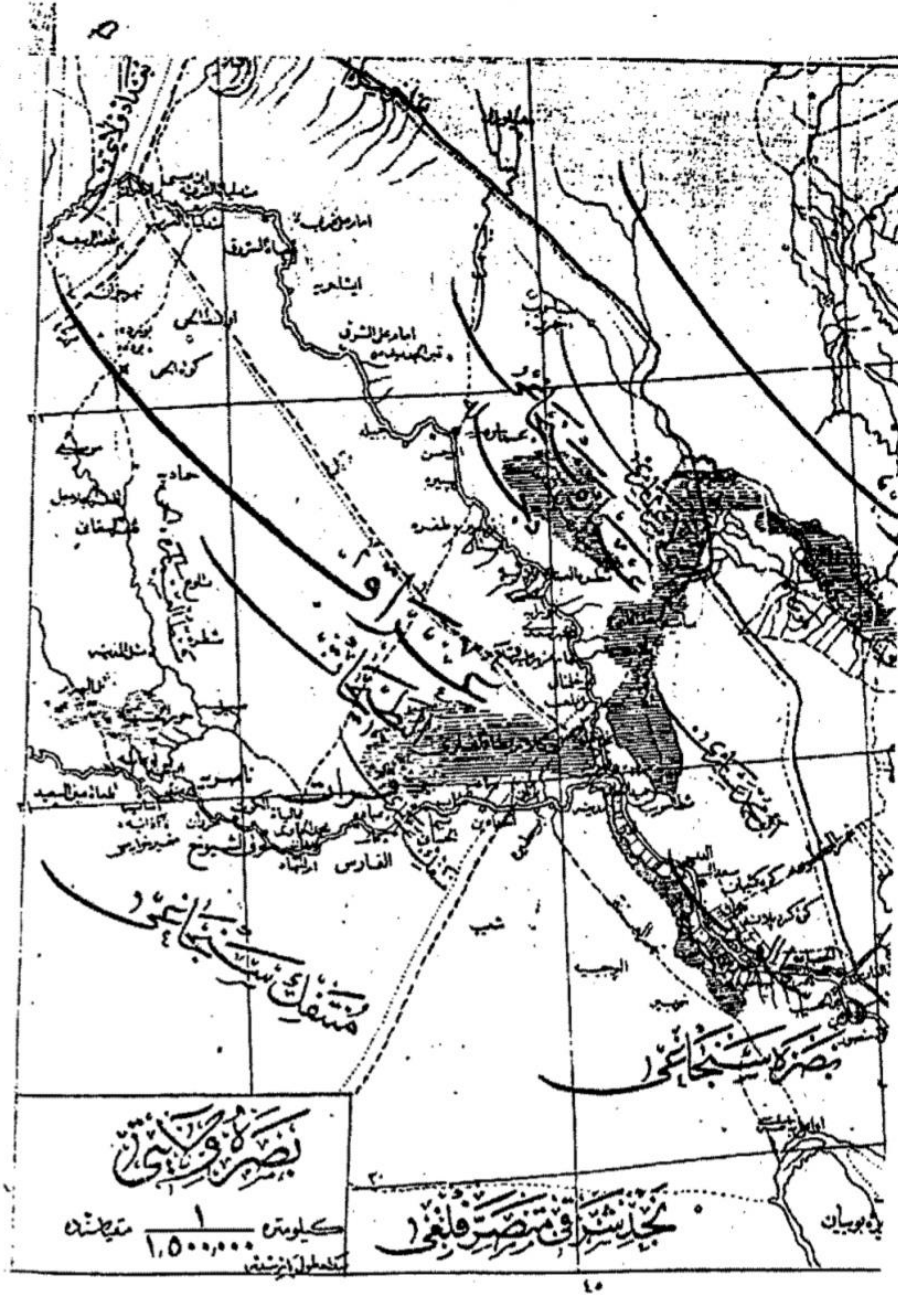


(١) أحمد سوسة، أطلس بغداد، مديرية العامة للمساحة، بغداد، ١٩٥٢، ص ١٤.

ملحق رقم (٢)

خريطة ولاية البصرة في العهد العثماني^(١)

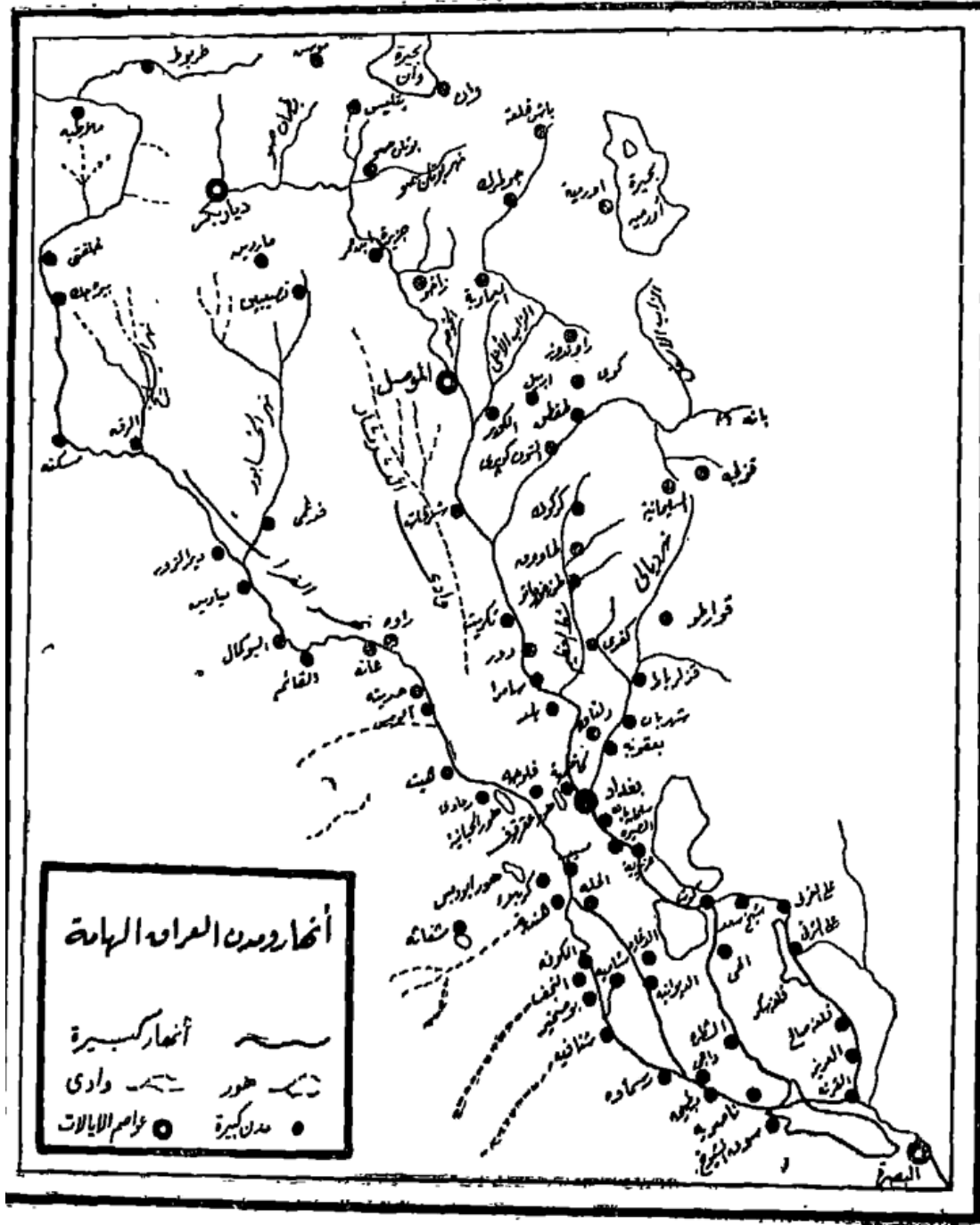
خريطة ولاية البصرة



(١) أوغلو، العراق في ...، ص ٢٥٤.

ملحق رقم (٣)

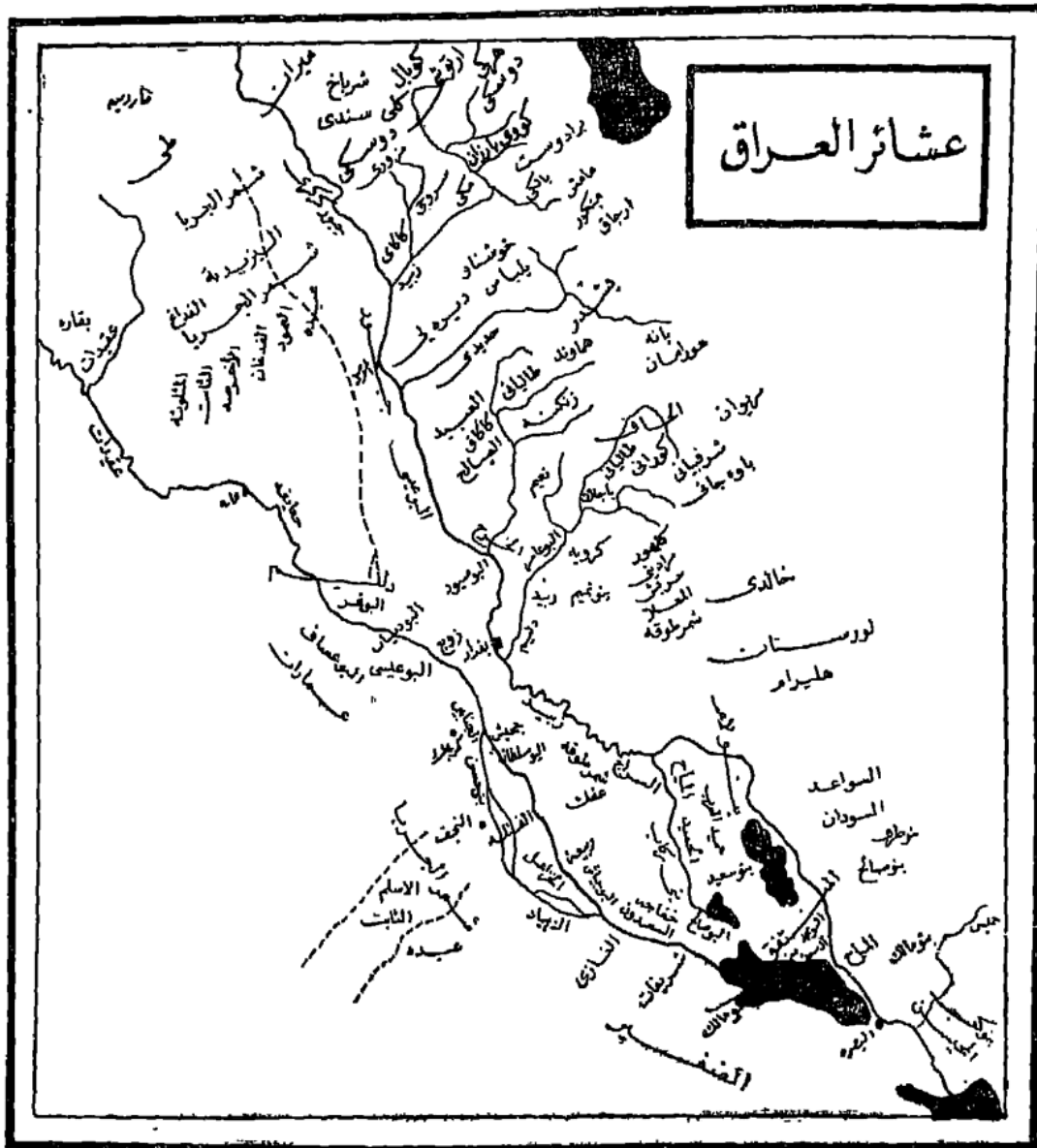
خريطة تبين أهم الأنهار والمدن في العراق^(١)



(١) نوار، داود باشا والي بغداد، ص ٣٦٩.

ملحق رقم (٤)

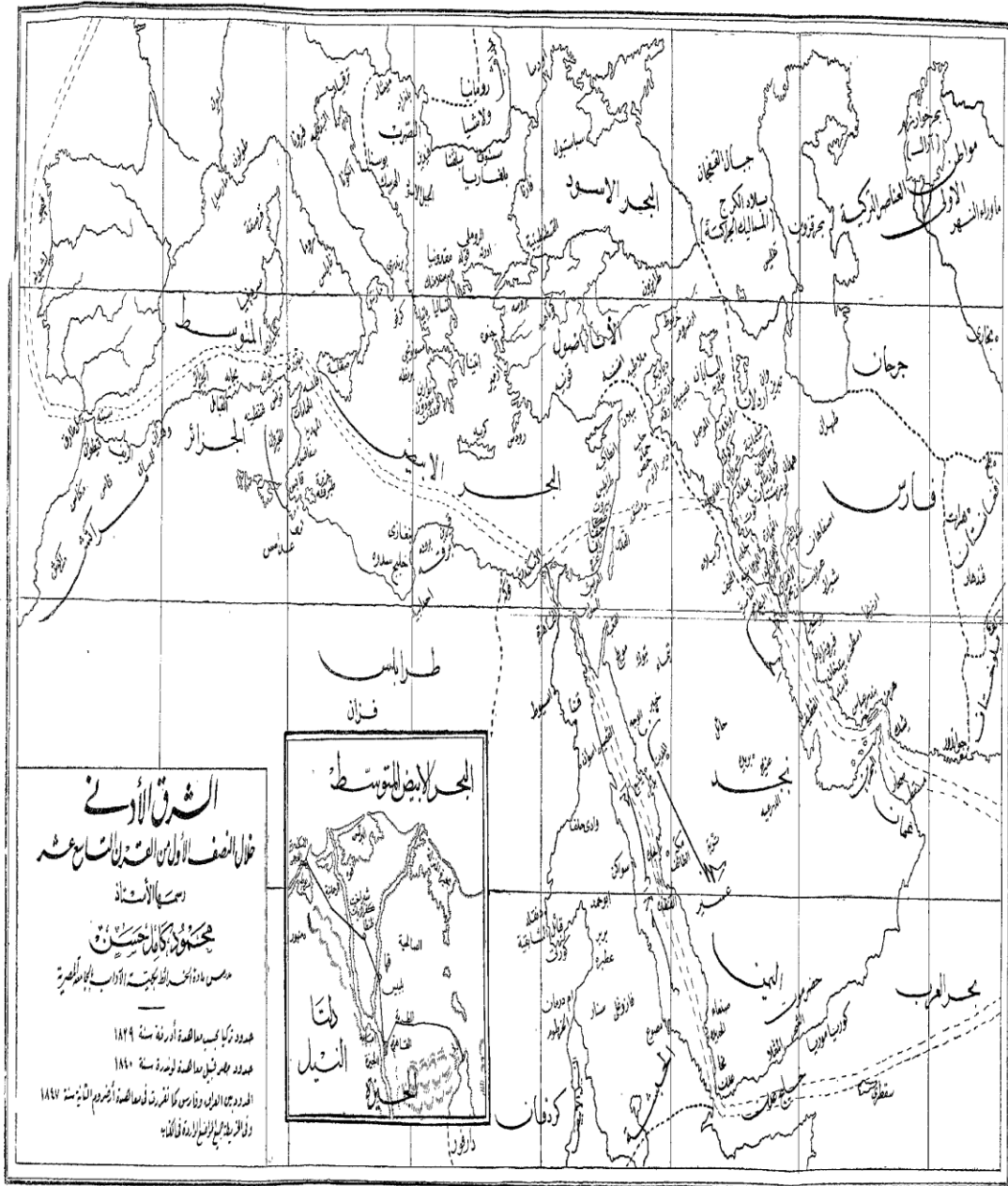
خريطة تبين توضع العشائر في العراق^(١)



(١) نوار، داود باشا والي العراق، ص ٣٦٧.

ملحق رقم (٥)

خريطة للشرق الأدنى تبين الحدود التي تقرر في معاهدة أرضروم الثانية ١٨٤٧^(١)



(١) حسين مؤنس، الشرق الاسلامي في العصر الحديث، مطبعة الحجازي، القاهرة، ١٩٣٨، ص ٤٦٨.

ملحق رقم (٦)

خريطة كارلتون لبلاد فارس والمنطقة العربية في القرن التاسع عشر^(١)

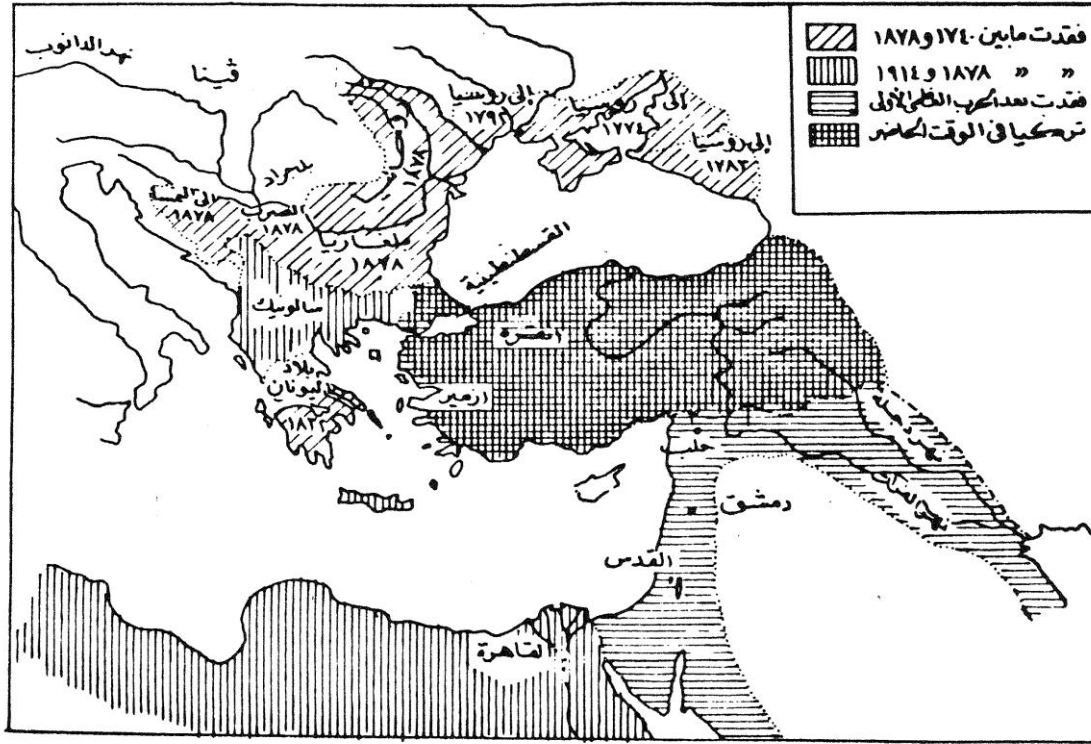


^(١) خريطة كارلتون لبلاد فارس والمنطقة العربية، مكتبة قطر الوطنية

<https://www.qdl.qa/archive/qnlhc/12887>

ملحق رقم (٧)

خريطة للدولة العثمانية تبين مراحل ضعفها^(١)

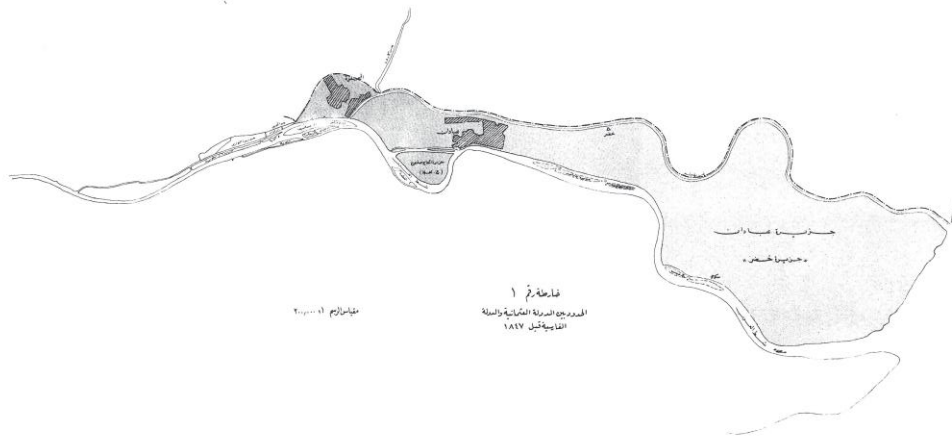


ضعف الامبراطورية العثمانية

(١) ياغي، الدولة العثمانية في تاريخ الإسلام الحديث، ص ٢٩٧.

ملحق رقم (٨)

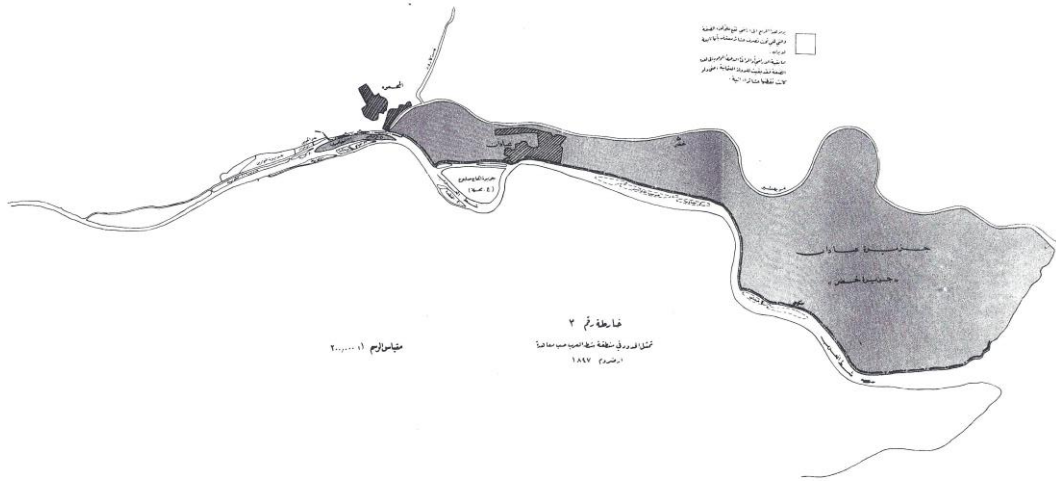
خريطة للحدود بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية قبل عام ١٨٤٧ تبين جزيرة خضر
عبادان والمحمرة وشط العرب بأكمله ضمن السيادة العثمانية^(١)



(١) كراس بالخرائط، التوسع الإيراني على حساب العراق والأمة العربية تابع لمؤلف مجهول، ملف وثائقي فصول
من النزاع دون ذكر صفحات فقط رقم الخريطة ١

ملحق رقم (٩)

خريطة للحدود بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية، بموجب معاهدة أرضروم ١٨٤٧ تبين توسع السيادة الفارسية لضم جزيرة خضر عبادان والمحمرة وأراضٍ على الضفة الشرقية لنشط العرب^(١)



^(١) كراس بالخرائط، التوسع الإيراني على حساب العراق والأمة العربية تابع لمؤلف مجهول، ملف وثائقي فصول من النزاع دون ذكر صفحات فقط رقم الخريطة رقم ٢.

ملحق رقم (١٠)

قائمة بأسماء السلاطين في الدولة العثمانية والشاهات في الدولة الفارسية المتعاصرين حتى نهاية فترة البحث^(١)

ملاحظات	إيران		تركية	
	اسم الشاه	التاريخ	اسم السلطان	التاريخ
صفويون	إسماعيل الأول	١٥٠٠	سليم الأول	١٥١٢
	طهماسب الأول	١٥٢٤	سليمان الأول	١٥٢٠
	إسماعيل الثاني	١٥٧٢	سليم الثاني	١٥٦٦
	محمد خدابنده	١٥٧٨	مراد الثالث	١٥٧٤
	عباس الكبير	١٥٨٧	محمود الثالث	١٥٩٥
			أحمد الأول	١٦٠٣
			مصطفى الأول	١٦١٧
			عثمان الثاني	١٦١٨
			مصطفى الأول	١٦٢٢
			(للمرة الثانية)	
	صفي	١٦٢٩	مراد الرابع	١٦٢٣
	عباس الثاني	١٦٤٢	إبراهيم	١٦٤٠
	سليمان	١٦٦٧	محمد الرابع	١٦٤٨
			سليمان الثاني	١٦٨٧
			أحمد الثاني	١٦٩١
أفغان كلاهما كان يطالب بالعرش	حسين	١٦٩٤	مصطفى الثاني	١٦٩٥
			أحمد الثالث	١٧٠٣
	محمود خان	١٧٢٢		
	أشرف خان	١٧٢٣		
	طهماسب الثاني	١٧٣٠	محمود الأول	١٧٣٠
	(صفوي)			
	نادر	١٧٣٦		
	عادل	١٧٤٧		
	شاه رخ وغيره (فوضي)	١٧٤٩	عثمان الثالث	١٧٥٤
	كريم خان	١٧٥٧	مصطفى الثالث	١٧٥٧
الوصي الزندي	فوضي	١٧٧٩	عبد الحميد الأول	١٧٧٣
	أغا محمد	١٧٩٦	سليم الثالث	١٧٨٩
	فتح علي	١٧٩٧	مصطفى الرابع	١٨٠٧
			محمود الثاني	١٨٠٨
	محمد	١٨٣٤	عبد المجيد	١٨٣٩
	ناصر الدين	١٨٤٨	عبد العزيز	١٨٦١
	فاحاريون			

(١) لونكريك، أربعة قرون...، ص ٤٢١-٤٢٢. نوار، داود باشا...، ص ٣٣٣.

ملحق رقم (١١)

جدول بأسماء الولاة العثمانيين في العراق (١٧٠٤-١٨٤٨)^(١)

المتسلسل	الولاية	مدة الحكم
١	الوالي حسن باشا	١٧٠٤ - ١٧٢٣
٢	الوالي أحمد باشا	١٧٢٤ - ١٧٤٧
٣	الوالي كسر لي الحاج أحمد	١٧٤٨ - ١٧٤٩
٤	الوالي الصدر الأسبق محمد باشا التريائي	١٧٤٩
٥	الوالي سليمان باشا (أبو ليلة)	١٧٥٠ - ١٧٦٢
٦	الوالي علي باشا	١٧٦٢ - ١٧٦٤
٧	الوالي عمر باشا	١٧٦٤ - ١٧٧٥
٨	أمين باشا الجليلي	١٧٧٥
٩	مصطفى باشا أسبيناقي	١٧٧٥
١٠	عبدي باشا	١٧٧٦
١١	الوالي عبد الله باشا	١٧٧٦ - ١٧٧٨
١٢	الوالي حسن باشا	١٧٧٨ - ١٧٨٠
١٣	الوالي سليمان باشا الكبير	١٧٨٠ - ١٨٠٢
١٤	الوالي علي باشا	١٨٠٢ - ١٨٠٧
١٥	الوالي سليمان باشا الصغير	١٨٠٨ - ١٨١٠
١٦	الوالي عبد الله باشا	١٨١٠ - ١٨١٣
١٧	الوالي سعيد باشا	١٨١٣ - ١٨١٦
١٨	الوالي داود باشا	١٨١٦ - ١٨٣١
١٩	الوالي علي رضا باشا اللاز	١٨٣١ - ١٨٤٢
٢٠	الوالي نجيب باشا	١٨٤٢ - ١٨٤٩

(١) الجدول من عمل الباحثة بالاعتماد على نورس، حكم المماليك، ص ٢٦-١١٣. نوار، داود باشا...،

ص ٣٣٢. الوردي، لمحات اجتماعية، ج ٢، ص ٨٢-١١٢

ملحق رقم (١٢)

رسالة من الوالي سليمان باشا إلى السلطنة العثمانية لترجمة التحريرات الفارسية من قبل فتح علي خان خان كرمشاه وأغا محمد علي حاكم كرمشاه^(١)



وثيقة رقم ١٣

الواصل من الوزير سليمان باشا والي بغداد

تاريخ: ٧ محرم ١٢١٦ هجري قمري

أرشف رنسة الوزراء في الجمهورية التركية: HAT-00161-06691-00001

نص: ترجمة التحريرات الفارسية الواردة الى حضرة سليمان باشا والي

بغداد من جانب فتح علي خان، خان كرمشاهان وآقا محمد علي حاكم

كرمشاهان. ٧ محرم ١٢١٦.

بعد المقدمات التمهيدية المؤيدة لأسس المخالصة والألقاب والفقرات الجديرة بشأن وعنوان المشار إليه والي بغداد، (نحيطكم علماً) بأن والدته باباخان صاحب السلطة في ايران والذي يذكر ببعض الألقاب والتعابير الرنانة، متوجهة الآن الي بغداد بهدف زيارة المشاهد المقدسة للإمام علي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام وسائر الأماكن المباركة، وإذا بالمشار إليها تسمع عند وصولها الى همدان، الشائعة التي انتشرت في إيران بشكل متكرر والتي تفيد بأن القبيلة الوهابية حاصرت بعدد كبير من الافراد قصبي الإمام علي والإمام الحسين (رضي الله تعالى عنهما) وقد بينت الموماً إليها في رسالة بعثتها الى آقا محمد علي السالف الذكر أنها كتبت بعض التحريرات الى ابنها بابا خان تفيد بأن يرسل معها الكثير من الجنود بمعاونة المشار إليها على سبيل الصداقة والمخالصة وأن يوكل إلى إرادة الوالي المشابه إليه بأن يرسل دون توقف كل ما يحتاجه من الجنود. ومن أجل اتضاح الكيفية، بنين أنه أرسل الرسالة المذكورة إلى الوالي المشار إليه وبعث الأجوبة المطلوبة في رسالتي الموماً إليهما مخاطبين حضرت سليمان باشا. القطعة ١- الرسالة التي بعثتها الموماً إليها مخاطبة آقا محمد علي المذكور سابقاً.

(١) موجاني، وثائق نجد...، ص ٢٣٧-٢٣٨

الحاج محمد نجيب باشا المفخم

الى الطلعة البهية والحضرة النورانية من تردى برداء الوزارة والكمال ومركز نقطة دائرة البهاء والجلال ، صفوة رجال الدولة العلية ومنظور السلطنة العثمانية الفايق بجودة فكره ورأية على أمثاله بمحض كماله وعرفانه الوزير الأسعد والكمال الأرشد حضرة لازال موفقاً للسعادة أمين .

بعد تحرير غيقة المحبة وترشيح المودة قد وردتنا شقتكم المنورة المورخة في 29 ش (شوال) المتضمنة قرائت الفرمان الشريف السنّي الوارد من الآستانة (إسطنبول) العلية لأجل منع العجم وجميع تبعة الدول الأجنبية حتى لا يصير لهم في الممالك المحروسة من أراضي ودكاكين وخانات وغيرها ، والذي هو في أيديهم يبيعوه الى مضي (خلال مدة) ستة أشهر ، وكذلك يكون لا يشترون أملاك من بعد ذلك .

فالجميع صار معلومنا وبسبب يدل مكتوبكم البهية لبعض نوابين وأمرء من أهل هندستان (الهند) من تبعة الدولة البهية الإنكليزية المجاورين هنا ، وفي المشاهد الشريفة ولهم بعض الأراضي ملكاً لهم .

بورود الفرمان المتقدم العام محبكم حررت الى حضرة أيلجي بك (السيد السفير) المقيم في المحروسة بخصوص ذلك وأتاني جوابه من تكليمهم مع حضرة علي باشا وكيل الخارجية السابق ، على أن إجراء هذا الأمر يتوقف .

فبناءً على ذلك مع البوستة (البريد) الآتية إن شاء الله تعالى نعرض الى حضرة أيلجي بك مضمون شقتكم الشريفة ، وكلما يأتينا جواب من حضرة المومىء إليه نفيد حضرتمك السنية بوقته . ولأجل إفادة الخلوص حررنا شقة المحبة ولا زلتم محفوظين .

في 5 ن (رمضان) 1264

برالنس

ملحق رقم (١٤)

رسالة من القنصل الإنكليزي إلى الوالي محمد نجيب باشا حول قرار الدولة العثمانية بمنع
رعايا الدول الأجنبية من امتلاك الأراضي والعقارات في الدولة العثمانية^(١)

الحالطة البنية والحضر النورية من زدي برداء الوزان والكال ومركز نسط دافع البها والكل
صفوح رجال الدولة العلية ومنقول رسلطنة العثمان الفائق بمودة فكم وراية على انزاله بمحض
كمال وعرفانه الوزير السعد والكمال الدرس حيف لوزال موافقا للشهادة آمين بعد فخر بنبغه المحبة
ونرشح الموؤدة قد وردت انشغالكم الموقر الموضحة في المنظمة فزالت الغماها انتم بلساني
الواردة المرسلة العلية لاجل نعي البهوج وجميع نبقة دولة الدجنية حتى لا يصير لهم في حاله الموقر
مراعيه وكما كين وخانات وعندها والذي هو في ايديهم يبيعون الى معنى شنة اشهر وكذلك
يكون لاجل نعي انما ذلك بعد ذلك فالجميع صار معلوما بسبب بديل مملوكهم البهي لبعض
نوابين وامر انهم اهل هندستان في نبقة دولة البنية الدكنية في المجاورين هذا وفي المشاهدة
ولهم بعض الأراضي ملكا لهم فيودود الفرمان المتقدم العام بحكم حررت الى حضر ابايجي بله القيم
في الموقر بغير ذلك واتاني جواب من بعد تكليمهم مع حضر علي باشا وكل الخارجه تاتي
على ان اجاز هذا الذي يتوقف فينا على ذلك مع بوسة الدية ان لا نرضى لغرض الى حضر
بابجي بله مضمون شغلكم انتم وكلما باننا يجب في حضر الموالية نفيد حفركم الشبه بوفته
ولد مل افادة لخلوس حررت انفة المحبة ودر زلتهم محفوظين ٥٥

(١) أوغلو، العراق في الوثائق العثمانية، ص ٢٥٩ وترجمة الوثيقة ص ١٦٨

الحاج محمد نجيب باشا المصخم

الى الطلعة البهية والحضرة النورانية من تردى برداء الوزارة والكمال ومركز نقطة دائرة البهاء والجلال ، صفوة رجال الدولة العلية ومنظور السلطنة العثمانية الفائق بجودة فكره ورأية على أمثاله بمحض كماله وعرفانه الوزير الأسعد والكمال الأرشد حضرة لازال موفقاً للسعادة أمين .

بعد تحرير غيقة المحبة وترشيح المودة قد وردتنا شقتكم المنورة المورخة في 29 ش(شوال) المتضمنة قرائت الفرمان الشريف السني الوارد من الأستانة (إسطنبول) العلية لأجل منع العجم وجميع تبعة الدول الأجنبية حتى لا يصير لهم في الممالك المحروسة من أراضي ودكاكين وخانات وغيرها ، والذي هو في أيديهم يبيعوه الى مضي (خلال مدة) ستة أشهر ، وكذلك يكون لا يشترون أملاك من بعد ذلك .

فالجميع صار معلومنا وبسبب يدل مكتوبكم البهية لبعض نوابين وأمرء من أهل هندستان(الهند) من تبعة الدولة البهية الإنكليزية المجاورين هنا ، وفي المشاهد الشريفة ولهم بعض الأراضي ملكاً لهم .

بورود الفرمان المتقدم العام محبتكم حررت الى حضرة أيلجي بك (السيد السفير) المقيم في المحروسة بخصوص ذلك وأتاني جوابه من تكليمهم مع حضرة علي باشا وكيل الخارجية السابق ، على أن إجراء هذا الأمر يتوقف .

فبناءً على ذلك مع البوستة(البريد) الآتية إن شاء الله تعالى نعرض الى حضرة أيلجي بك مضمون شقتكم الشريفة ، وكلما يأتينا جواب من حضرة المومىء إليه نفيد حضرتمكم السنية بوقته . ولأجل إفادة الخلوص حررنا شقة المحبة ولا زلتم محفوظين .

في 5 ن(رمضان) 1264

برالنس

ملحق رقم (١٥)

معاهدة أرضروم الثانية ١٨٤٧ والمذكرة الإيضاحية^(١)

معاهدة أرضروم المؤرخة ٣١ أيار سنة ١٨٤٧

المادة ١ - تتنازل الدولتان الاسلاميتان عن كل ما للواحدة على الاخرى من ادعاءات مالية في الوقت الحاضر على شرط انه ليس في هذا الترتيب ما له مساس بالاحكام الموضوعية لتسوية الادعاءات التي تبحث فيها المادة الرابعة .

المادة ٢ - تتعهد الحكومة الايرانية بأن تترك للحكومة العثمانية جميع الاراضي المنخفضة - اي الاراضي الكائنة في القسم الغربي من منطقة زاب . وتتعهد الحكومة العثمانية بأن تترك للحكومة الايرانية القسم الشرقي - اي جميع الاراضي الجبلية - من المنطقة المذكورة بما في ذلك وادي كرنند .

وتتنازل الحكومة الايرانية عن كل ما لها من ادعاءات في مدينة السليمانية ومنطقتها وتتعهد تعهدا رسميا بأن لا تتدخل في سيادة الحكومة العثمانية على تلك المنطقة او تتجاوز عليها .

وتعترف الحكومة العثمانية بصورة رسمية بسيادة الحكومة الايرانية التامة على مدينة المحمر ومينائها وجزيرة خضر والمرسى والاراضي الواقعة على الضفة الشرقية - اي الضفة اليسرى - من شط العرب التي تحت تصرف عشائر معترف بأنها تابعة لايران . وفضلا عن ذلك فللمراكب الايرانية حق الملاحة في شط العرب بملء الحرية وذلك في محل مصب شط العرب في البحر الى نقطة اتصال حدود الفريقين .

المادة ٣ - لما كان الفريقان المتعاقدان قد تنازلا بهذه المعاهدة عن ادعاءاتها الاخرى المختصة بالاراضي فأنهما يتعهدان بأن يعينا حالا قوميسيرين ومهندسين بمنزلة ممثلين عنها من اجل تقرير الحدود بين الدولتين بصورة تنطبق على احكام المادة المتقدمة .

المادة ٤ - يوافق الفريقان على ان يعينا في الحال قوميسيرين من الجانبين للحكم في كل قضية سببت ضررا لاحد الفريقين وتسويتها تسوية عادلة من القضايا التي وقعت منذ قبول الاقتراحات الودية التي وضعتها وقدمتها الدولتان الكبيرتان الوسيطتان في شهر جمادي الاولى سنة ١٢٦١ وكذلك للحكم في جميع المسائل المتعلقة برسوم الرعي منذ السنة التي دفعت فيها بقايا في تلك الرسوم وتسويتها تسوية عادلة .

المادة ٥ - تتعهد الحكومة العثمانية بأن يقيم الامراء الايرانيين الفارون في بروسة وبأن لا تسمح لهم بمغادرة ذلك المحل ولا بأن تكون لهم علاقات سرية بايران . وكذلك تتعهد الدولتان الساميتان بتسليم جميع المهاجرين الاخر عملا بأحكام معاهدة أرضروم الاولى .

(١) مؤلف مجهول، ملف وثائقي فصول من النزاع ...، ص ١٢٠-١٢٤.

المادة ٦ - على التجار الايرانيين ان يدفعوا الرسوم الجمركية على بضائعهم - عينا او نقدا - حسب قيمة البضائع الجارية الحالية وعلى المنوال المشروح في المادة المتعلقة بالمتاجرة في معاهدة ارضروم المنعقدة في السنة ١٢٣٨ (١٨٢٣ ميلادية) . ولا يستوفى شيء اضافي ما علاوة على المقادير المعينة في تلك المعاهدة .

المادة ٧ - تتعهد الحكومة العثمانية بمنح الامتيازات المقتضية لتمكين الزوار الايرانيين وفق المعاهدات السابقة من زيارة الاماكن المقدسة في الاراضي العثمانية بسلامة تامة ومن غير التعرض لمعاملات مزعجة مهما كانت . وكذلك لما كانت الحكومة العثمانية راغبة في تقوية وتوثيق عرى الصداقة والتفاهم والواجب بقاؤهما بين الدولتين الاسلاميتين وبين رعاياها فأنها تتعهد باتخاذ انسب الوسائل التي من شأنها ان تؤمن امر التمتع بالامتيازات المذكورة في الاراضي العثمانية ليس للزوار فحسب بل لجميع الرعايا الايرانيين وذلك بصورة تحميهم من كل الم او تعرض او خشونة سواء اكان ذلك فيما يتعلق بأعمالهم التجارية أو بأي امر آخر .

وفضلا عن ذلك تتعهد الحكومة العثمانية بالاعتراف بالقناصل الذين قد تعينهم الحكومة الايرانية في اماكن واقعة في اراضي عثمانية تتطلب وجودهم بداعي المصالح التجارية او لحماية التجار وسائر الرعايا الايرانيين . انما تستثنى من ذلك مكة المكرمة والمدينة المنورة وتتعهد فيها بخص القناصل الموما اليهم بأن تحترم جميع الامتيازات التي لهم حق التمتع بها بناء على صفتهم الرسمية والمنوعة لقناصل الدول المتحابية الاخرى .

وتتعهد الحكومة الايرانية فيما يخصها بتطبيق اصول المعاملة المتبادلة من جميع الوجوه بحق القناصل الذين تعينهم الحكومة العثمانية في اماكن واقعة في ايران ترى تلك الحكومة لزوما لتعيين قناصل فيها . وكذلك تتعهد بتطبيق اصول المعاملة المذكورة على التجار العثمانيين وعلى سائر الرعايا العثمانيين الذين يزورون ايران .

المادة ٨ - تتعهد الدولتان الاسلاميتان المتعاقدتان الساميتان باتخاذ وتنفيذ الوسائل اللازمة لمنع ومعاقبة السرقات والسلب من جانب العشائر والاقوام المستقرة على الحدود وتقومان لذلك الغرض بوضع الجنود في مراكز ملائمة ، وتتعهدان فضلا عن ذلك بالقيام بالواجب المفروض عليهما ازاء مختلف اعمال التعدي كلها كالتهب واللصوصية والقتل مما قد يقع في اراضيها .

على الدولتين المتعاقدتين فيما يخص العشائر المتنازع فيها والتي لا تعرف لمن السيطرة عليها ان تتركها حرة في اختيار وتقرير الاماكن التي سيقطنونها دائما من الان فصاعدا . اما العشائر التي تعرف لمن السيطرة عليها فتعزم على المجيء الى داخل اراضي الدولة التابعة لها .

المادة ٩ - تؤيد بهذا من جديد جميع النقاط والمواد المدرجة في معاهدات سابقة - ولا سيما المعاهدة المنعقدة في ارضروم في السنة ١٢٣٨ (١٨٢٣ ميلادية) والتي لا تعدلها او تلغيها هذه المعاهدة بصورة خاصة . ويسري هذا التأييد الى نصوصها كلها كما لو كانت قد نشرت بحذافيرها في هذه المعاهدة .

وتوافق الدولتان المتعاقدتان الساميتان على ان تقبلا وتمضيا هذه المعاهدة عند تبادل نسخها وعلى ان يتم تبادل وثائق ابرامها في ظرف مدة شهرين او قبل ذلك .

مذكرة ايضاحية حول بعض الشروط الواردة في معاهدة ارضروم المقترحة قدمها السفيران البريطاني والروسي في الاستانة الى الحكومة العثمانية في السادس والعشرين من شهر نيسان سنة ١٨٤٧ .

تشرف الموقعان في ادناه ممثلا بلاطي بريطانية العظمى وروسية الوسيطين بتسلم المذكرة المطابقة - مع الملحق - المتعلقة بالمفاوضات التركية الايرانية والتي تفضل معالي علي افندي وزير الخارجية بأرسالها اليهما في الحادي عشر من الشهر الحالي .

لقد ارتاح الموقعان اشد الارتياح من تصريح معاليه في المذكرة المذكورة بالنيابة عن الباب العالي بأنه قد قرر القرار على اصدار التعليمات على الفور الى المندوب العثماني المفوض في ارضروم للتوقيع على مواد المعاهدة المنعقدة مع بلاط ايران غير المعدلة اي وفق النص الذي وضعه مندوبا البلاطين الوسيطين وكما قدمت الموافقة الحكومات المختصة من قبل وزرائها المفوضين في ارضروم على شرط ان يقدم ممثلا البلاطين المذكورين الى الباب العالي الايضاحات عن بعض النقاط التي ترى الحكومة العثمانية انها غير واضحة كل الوضوح .

اما النقاط التي يريد الباب العالي تقديم ايضاحات عنها فهي كالآتي :

١ - يظن الباب العالي بأن الفقرة الواردة في المادة الثانية من مسودة المعاهدة والتي تنص على ترك مدينة المحمرة ومينائها ومرساها وجزيرة خضر لايران لا يمكن ان تشمل لا اراضي الباب العالي المتضمنة خارج المدينة ولا موانيه الاخرى الواقعة في هذه الاقاليم .

ويهم الباب العالي كذلك فيما يتعلق بالنص الوارد في فقرة اخرى من هذه المادة حول امكان تقسيم العشائر التابعة فعلا لايران اي اسكان نصفها الواحد في اراض عثمانية ونصفها الاخر في اراض ايرانية ان يعلم هل ان ذلك معناه تصبح ايضا اقسام العشائر الموجودة في تركية خاضعة لايران وبالتالي ان تترك كذلك لايران الاراضي التي تحت تصرف تلك الاقسام وهل سيكون لايران الحق يوما من الايام في المستقبل في ان تنازع الباب العالي حق التصرف في الاراضي المذكورة .

٢ - يهم الباب العالي فيما يخص احكام المادتين الاولى والرابعة الحالية ان يعلم هل ان للحكومة الايرانية الحق في ان تدخل التعويضات المالية فيما بين الحكومتين التي تنازلت عنها بوقتها ضمن الادعاءات الشخصية . والفهم لدى الباب العالي ان هذه الادعاءات لا تسري الا الى بعض رسوم الرعي والخسائر التي تكبدها رعايا الحكومتين من جراء الاعمال التي ارتكبها قطاع الطرق وما شاكل ذلك .

ثم أن الباب العالي يستفهم ما اذا كان سيتم الحصول على موافقة الحكومة الايرانية على مسألة الاستحكامات والحصول المضافة الى المادة الثانية وكذلك على الفقرات المختصة بالمعاملة المتبادلة التي سهى عن درجها في المادة السابعة من مسودة المندوبين .

ولما كان الممثلان الموقعان ادناه راغبين وملزمين في ازالة الغموض العالق مسذن الباب العالي حول جميع المسائل المذكورة في اعلاه فأنها يصرحان بهذا كالآتي : -

بخصوص ١ - ان مرسى المحمرة هو القسم الواقع مقابل مدينة المحمرة في قناة الحفار وهذا التعريف لا يحتمل ان يؤثر اي تفسير آخر على معناه .

وفضلا عن ذلك فان الممثلين الموقعان في ادناه يشاطران الحكومة العثمانية الرأي القائل بأن قيام الحكومة العثمانية

بتركها لايران مدينة المحمرة وميناءها ومرساها وجزيرة خضر في المنطقة المذكورة لا يعني تركها اية ارض او موان اخرى موجودة في تلك المنطقة .

ويصرح ، كذلك ، الممثلان الموقعان في ادناه بأنه سوف لا يكون لايران الحق بأية حجة كانت في ان تقدم ادعاءات حول المناطق الكائنة على الضفة اليمنى من شط العرب ولا حول الاراضي العائدة لتركية على الضفة اليسرى حتى حيث تقطن من تلك الضفة او من تلك الاراضي عشائر ايرانية او اقسام منها .

بخصوص ٢ - اما بشأن تخوف الباب العالي من احتمال تفسير المادتين الاولى والرابعة من مسودة المعاهدة تفسيراً غير قانوني بحيث يؤدي بالحكومة الايرانية الى اثاره مسألة الادعاءات المالية التي بين الحكومتين من جديد فإن الممثلين الموقعان في ادناه يصرحان بهذا بأنه كما ان المادتين المذكورتين من مسودة المعاهدة قد صرحتا بالتنازل الان وفيما بعد عن جميع الادعاءات التي من هذا القبيل مهما كان منشأها فإنه ليس في الاستطاعة استئناف البحث في هذه المسألة بشأن اية قضية كانت وبأنه على الفريقين ترضية اصحاب الادعاءات الشخصية فقط دون غيرها . وفضلاً عن ذلك فإن تدقيق تلك الادعاءات الشخصية والبت في مشروعيتها سيناط بلجنة خاصة تؤلف لهذا الغرض كما ان البت في اي هي الادعاءات التي ستعتبر بمنزلة ادعاءات شخصية سيحال كذلك الى هذه اللجنة .

وللجواب على السؤالين الفرعيين اللذين وردا في ختام مذكرة معالي علي افندي فإن الموقعين في ادناه يعتقدان بأن هنالك ما يسوغ لها القول بأن الحكومة الايرانية ستوافق بلا تردد على ان تدرج في المادة السابعة الفقرات المتعلقة بأصول المعاملة المتبادلة التي على كل من الحكومتين مراعاتها جبا بصالح رعاياها وزوارها وموظفيها القنصلين . اما بشأن مسألة الاستحكامات والحصون فلا يستطيعان سوى بيان رأيها الشخصي وهو ان تتعهد الدولتان الاسلاميتان تعهداً متبادلاً بعدم تحصين ضفتي شط العرب معناه ضمان آخر لدوام العلاقات السلمية بين المملكتين كما انه من شأنه توثيق عرى الاخلاص وحسن النية وهذا ما ترمي اليه المعاهدة المذكورة .

بناء على ما تقدم فإنه في وسع الممثلين الموقعين في ادناه ان يعقدا تلبية رغبات الباب العالي حول هذه النقطة بواسطة توسط زملائهم في طهران ولهما وطيد الامل بأن علمهما هذا سيسفر عن نتيجة مرضية .

وفي عين الوقت يعتقد الممثلان الموقعان في ادناه بأنه في الامكان امضاء المعاهدة قبل ظهور نتيجة المفاوضات حول النقطة الخاصة الأنفة الذكر لانه في الاستطاعة فيها بعد اضافة مادة جديدة الى المعاهدة .

بيره في ١٤ (٢٦) نيسان ١٨٤٧

الموقعان الخ . . استينوف

ملحق رقم (١٦)

جواب الحكومة العثمانية على مذكرة السفيرين الإنكليزي والروسي في مدينة الآستانة^(١)

جواب الحكومة العثمانية على مذكرة السفيرين البريطاني والروسي في مدينة الآستانة :

تلقيت مذكرة معاليكم الرسمية المشتركة والمؤرخة ١٤ (٢٦) شهر نيسان الماضي جوابا على مذكرتي الرسمية الى معاليكم التي طالبت فيها بعض الايضاحات حول موضوع المعاهدة الايرانية .

لقد قيل في مذكرة معاليكم فيها يتعلق بالاراضي والعشائر التي تبحث فيها المادة الثانية من مسودة المعاهدة انه وان كان الباب العالي يوافق على ما جاء في هذه المادة بشأن احتفاظ ايران بمدينة المحمرة ومينائها وبالمرسى الواقع مقابل المدينة في قناة الحفار وبجزيرة خضر لكنه لا يتنازل بذلك عن اي ميناء آخر او ارض اخرى في تلك المنطقة وانه سوف لا يكون للحكومة الايرانية الحق في تقديم اي ادعاء كان بحقوق الملكية لا فيها يخص الاماكن الكائنة في الضفة اليمنى من شط العرب ولا فيها يخص الاماكن العائدة للحكومة العثمانية على الضفة اليسرى منه حتى تقطن عشيرة ايرانية او قسم منها باجمعها بمقتضى المادة الاولى ضمن الادعاءات الشخصية التي تبحث فيها المادة الرابعة وان هناك ما يبعث فيكما الامل بموافقة بلاط ايران بلا تردد على درج الفقرة التي سهى عن درجها في المادة السابعة حول اصول المعاملة المتبادلة .

ان الباب العالي مرتاح الى الايضاحات والتأكيدات الرسمية المار ذكرها في اعلاه ، ولما كان لصاحب الجلالة السلطان ملء الثقة بالبلاطين الوسيطين بممثلتيهما منذ اصدار ارادته الملكية بارسال التعليمات لمعالي انور افندي مندوب الباب العالي في مدينة ارضروم كي يوقع على مسودة المعاهدة التي قدمها مندوبا البلاطين الوسيطين بلا تعديل على ان يقبل بلاط ايران بالتأكيدات التي اعطاها ممثلا البلاطين الوسيطين والتي مالها ان ايران سوف لا تقدم ادعاءات تتعارض وهذه التأكيدات وكذلك على انه اذا ما قدمت ادعاءات تتعارض وهذه التأكيدات وكذلك على انه اذا ما قدمت ادعاءات من هذا القبيل فان المعاهدة ستعتبر لاغية وباطلة المفعول .

ان الغرض من كتابه هذه المذكرة الرسمية وارسالها اليكما هو الفات نظر معاليكم الى جميع الاخبارات المذكورة اعلاه .

في ٢٩ جمادي الاول سنة ١٢٦٣ .

(الامضاء)

السعيد محمد ايمن علي

(١) مؤلف مجهول، ملف وثائقي فصول من النزاع ...، ص ١٢٥.

ملحق رقم (١٧)

مذكرة محمد علي خان إلى السفيرين الروسي والإنكليزي^(١)

مذكرة محمد علي خان إلى السفيرين الروسي والبريطاني .

اصرح بهذا لمعاليتكم بناء على المهمة التي عهدت بها الى حكومتي لتبادل وثائق ابرام معاهدة ارضروم نوافق كل الموافقة على الايضاحات التي قدمها ممثلا الدولتين الوسيطين الى الباب العالي حول النقاط الثلاث الاولى من رسالة معاليكم . وفضلا عن ذلك اصرح فيما يختص بالنقطة الرابعة من الرسالة المذكورة بانه لا مانع لدي على ان تدرج في المادة السابعة الفقرات المتعلقة باصول المعاملة المتبادلة التي على كل من الحكومتين مراعاتها فيما يتعلق برعايا الحكومة الاخرى وزوارها وموظفيها القنصليين وكذلك اصرح فيما يخص الاستحكامات والحصون بان جلالة الشاه يوافق على ان تمتنع ايران من اقامة الاستحكامات والحصون على الضفة اليسرى التي اؤمن تصرفها بها بموجب احكام المعاهدة ما دامت تركية تمتنع عن اقامة الاستحكامات والحصون على الضفة اليمنى من شط العرب مقابل الاراضي الايرانية .

وتأييدا لذلك فقد وقعت على هذه المعاهدة وختمتها بختمي .

بيره : ٢٣ صفر سنة ١٢٦٤ الموافق ١٩(٣١) كانون الثاني سنة ١٨٤٨ .

(١) مؤلف مجهول، ملف وثائقي فصول من النزاع، ص ١٢٦.



المصادر والمراجع المستعملة:

الوثائق غير المنشورة:

وثائق البلاط الملكي

د.ك. و ، ملفات وزارة الخارجية، مجموعة محاضر جلسات قومسيون تحديد الحدود

التركية - الفارسية

باللغة الفرنسية

1- F.O. 78/2714. Annx 5 in No.3. Tradution de la Copie a une Depehe Uizirielle Adressee au Pacla de Bagdad (Piece Communiquée le 5 fevrier (17) mars, 1846 . P. 13.

2- F.O. 78/2715 . Annx Zin No4. Tradution of the Ldentic Tukish and Persian nine Articles Propsed for Treaty.P. 24;

الوثائق المنشورة:

باللغة العربية:

١- المانع، شنته، جاسم، طاهر، الوثائق العثمانية والبريطانية ووثائق الشيخ خزعل، منشورات مركز الدراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٢.

٢- رستم، أسد، المحفوظات الملكية ببيان ووثائق الشام وما يساعده على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، ٤ مجلدات، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، ٢، ١٩٨٧.

٣- رؤوف، عماد عبد السلام، العراق في وثائق محمد علي، دار الزمان، مكتب التفسير، أربيل، ٢٠١٧

٤- مراد، خليل علي ، البوتاني، عبد الفتاح علي، صفحات من تاريخ الكرد وكوردستان الحديث في الوثائق العثمانية ١٨٤٠-١٩١٥، مطبعة الحاج هاشم، أربيل، ٢٠١٥.

٥- موجاني، علي، وثائق نجد تقارير أمراء المعاصرين لظهور محمد عبد الوهاب واستقرار أول دولة لآل سعود في نجد والحجاز، ترجمة: عقيل خورشاء، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٤.

٦- ناجي، هاشم، الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد (١٨٠٦ / ١٢٢١ هـ - ١٨٠٩ / ١٢٢٤ هـ)، ترجمة: هدى معوض، خالد عبد اللطيف حسن، الوراق للنشر، بغداد، ٢٠١٥

٧- مؤلف مجهول، سري العشائر الكردية في العراق، مديرية الاستخبارات العسكرية المعاونة الاولى، د.م، د.ت.

٨- مؤلف مجهول، ملف وثنائي فصول من النزاع العراقي الايراني، د.م، ١٩٨١.

وثائق عثمانية:

- ١- أوغلو، سنان معروف، العراق في الوثائق العثمانية الأوضاع السياسية والاجتماعية في العراق خلال العهد العثماني ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، ٢٠٠٦.

وثائق فارسية:

- ١- ايران/وزارت امور خارجي/دفتر مطالعات سياسی وبين المللي/واحد نشر اسناد. "گزیده اسناد سياسی ايران وعثماني: دوره قاجاريه." طهران، ١٩٩٠.
- ٢- كاووسي عراقي ، محمد حسن ، اسنادی از روابط ايران و فرانسه (در دوره فتحعلي شاه قاجار ١٢٥٠ هـ ق-١٢١٢ هـ ق ١٨٣٤-١٧٩٨م)، وزارت امور خارجه، تهران، ١٣٧٦

المصادر العربية و المعربة

المصادر العربية

- ١- البسام، عبد الله بن محمد، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، دارسة وتحقيق: ابراهيم الخالدي، شركة المختلف للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ٢٠٠٠.
- ٢- الحسناوي، رسول فرهود هاني، إمارات شمال الخليج العربي(البصرة- الأحواز - الكويت)، دار الرافدين، بيروت، دار الفرات، الحلة، lopus للنشر، كندا، ط١، ٢٠١٦.
- ٣- حليم بك، إبراهيم، تاريخ الدولة العثمانية التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٨.
- ٤- الحيدري، إبراهيم بن صبغة الله بن أسعد، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠.
- ٥- دحلان، أحمد بن زيني، فتنة الوهابية، اعتنى بطبعه بالأوفست حسين حلمي بن سعيد استانبولي، استانبول، ١٩٧٨.
- ٦- السويدي، عبد الرحمن، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، منشورات المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٣.
- ٧- العمري، ياسين، تاريخ محاسن بغداد هو تهذيب غاية المرام، تحقيق: ميعاد شرف الدين الكيلاني البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣.
- ٨- المحامي، فريد بك، البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، المطبعة الأميرية، بولاق، ط١، سنة ١٣٠٨هـ.
- ٩- المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق الدكتور إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٨١.

١٠- المدني، أمين بن حسن الحلواني، خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق ١١٨٨هـ - ١٢٤٢ مختصر كتاب مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود باشا للكاتب عثمان بن سند البصري الوائلي ، تحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٠هـ.

١١- الموصلي، سليمان صائغ، تاريخ الموصل، تحقيق: عبد الخالق بن عبد اللطيف بن حسن الموصلي، ج٢، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٣، ج١.

١٢- الموصلي، سليمان صائغ، تاريخ الموصل، ج١، القاهرة، ١٩٢٣.

١٣- النبهاني الطائي، محمد بن الشيخ خليفة بن حمد بن موسى ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، دار إحياء العلوم، بيروت، المكتبة الوطنية، البحرين، ط٢، ١٩٩٩.

المصادر المعربة:

١- أداموف، ألكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ج٢، ترجمة: هاشم صالح التكريتي دار ميسلون للنشر، بغداد، ١٩٨٢، ج٢.

٢- الحسيني، محمد بن أحمد، رحلة المنشئ البغدادي، ترجمة: عباس العزاوي المحامي، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٤٨.

٣- خان، أبو طالب، رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبا، ترجمة: مصطفى جواد، دار الوراق للنشر، بغداد، ٢٠٠٧.

٤- الدارندلي، عزت أفندي ، في ضوء مخطوط عثماني ضيائامة للدارندلي، ترجمة: جمال سعيد عبد الغني، سلسلة تاريخ المصريين ١٣٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.

٥- الدنبلي، عبد الرزاق بيك، المآثر السلطانية تاريخ إيران وحروبها مع روسيا في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين، ترجمة: محمد سيد أبو زيد، مراجعة وتقديم: عبد الحفيظ يعقوب حجاب، المجلس الأعلى للثقافة، العدد ٧٤٥، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥.

٦- ريج، كلوديوس جيمس، رحلة ريج المقيم البريطاني في العراق عام ١٨٢٠ إلى بغداد- كردستان-إيران، ترجمة: اللواء بهاء الدين النوري، دار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

٧- زكي بك، محمد أمين، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، ترجمة محمد علي عوني، ج٢، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٣٩.

- ٨- زكي، محمد أمين، تاريخ السليمانية ونواحيها، ترجمة: الملا جميل أحمد الملا أحمد الروزياني، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، بغداد، ١٩٥١.
- ٩- فائق بك، سليمان بك، تاريخ بغداد، ترجمة: موسى كاظم نورس، دار الرافدين، بغداد، ١٩٦٢.
- ١٠- فائق بك، سليمان، تاريخ الممالك الكولة مند في بغداد، ترجمة: محمد نجيب أرمنازي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦١.
- ١١- فائق بك، سليمان، تاريخ بغداد، ترجمة: موسى كاظم نورس، دار الرافدين، بيروت، د.م.
- ١٢- فائق بك، سليمان، عشائر المنتفق، تقديم: عبد الرزاق الحسني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٣.
- ١٣- فريزر، جيمس بيلي، رحلة فريزر إلى بغداد سنة ١٨٣٤، ترجمة: جعفر الخياط، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ٢٠٠٦.
- ١٤- كركوكلي، رسول، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة: موسى كاظم نورس، دار الكتاب العربي، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، د.ت.
- ١٥- لوريمر، ج.ج، تاريخ المملكة العربية السعودية في دليل الخليج، صنفه وعلق عليه: سعيد بن عمر آل عمر، مكتبة الفهد الوطنية للنشر، الرياض، ط١، ١٩٩٦.
- ١٦- لوريمر، ج.ج، دليل الخليج القسم التاريخي، ترجمة: مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، طباعة على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، قطر، ١٩١٤.
- ١٧- لوريمر، ج.ج عريستان في الوثائق البريطانية ١٦٠٠-١٩٠٠ من دليل الخليج للوريمر، إعداد وتقديم: ماجد شبر، الوراق للنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٢.
- ١٨- لونكريك، ستيفن هيمسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، بغداد، ط٤، ١٩٦٨.
- ١٩- نيبور، كارستن، رحلة نيبور كاملة إلى العراق، ترجمة: سعاد هادي العمري، مصطفى جواد، محمود حسين الأمين، مراجعة وتقديم: سالم الألوسي، الوراق للنشر والتوزيع، بغداد- بيروت، ٢٠١٢.
- ٢٠- ولستيد، جيمس ريموند، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي، مكتبة النهضة العربية ومكتبة دار إحياء التراث العربي، بغداد، ١٩٨٤.
- ٢١- ويلمسون، جون فريديريك، قبيلة شمر العربية مكانتها وتاريخها السياسي ١٨٠٨-١٩٥٨، ترجمة: مير بصري، دار الحكمة، لندن.

المراجع العربية:

- ١- إبراهيم، محمد زكي، المدرسة الشيعية، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٤.
- ٢- أبو حاكم، أحمد مصطفى، تاريخ الكويت الحديث، طباعة ونشر وتوزيع ذات السلاسل، ط١، ١٩٨٤.
- ٣- أبو خليل، شوقي، تشالديران: سليم الأول وإسماعيل الصفوي، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٥.
- ٤- أحمد، إبراهيم خليل، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٦، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ٢٠٠٥.
- ٥- أحمد، شيرين اسماعيل، الموجز في تاريخ سلطنة عمان القديم والحديث، دار الخليج، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠١٧.
- ٦- أحمد، كمال مظهر، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، الأمانة العامة للثقافة والشباب، بغداد، ١٩٨٥.
- ٧- آصف، يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثمان، تقديم، محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٥.
- ٨- آل خليفة، عبد الله بن علي، دراسات التنافس التركي - الإيراني على العراق من القرن الخامس عشر حتى معركة الموصل، مكتبة الملك فهد، الرياض، ٢٠١٧.
- ٩- آل طعمة، سلمان، مشاهير المدفونين في كربلاء، دار آل الصفوة، لبنان، ط١، ٢٠٠٩.
- ١٠- آل ياسين، راضي، تاريخ الكاظمية، ج٢، جمع وتحقيق: عبد الكريم دباغ، الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة- الشؤون الفكرية والإعلام، دار الكفيل للطباعة والنشر، العراق، ٢٠١٦.
- ١١- أمين، عبد الأمير محمد، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، دار الوراق للنشر المحدودة، بغداد، ٢٠٠٧.
- ١٢- البارودي، محمد سعيد، أحمد البدوي الشريعي، جغرافية العالم الإسلامي، كلية العلوم الاجتماعية-جامعة أم القرى، قسم الجغرافية مكة المكرمة، ٢٠١٧.
- ١٣- البديري، خضير، التاريخ المعاصر لإيران وتركيا، مؤسسة المنندى، بيروت، ٢٠١٥.
- ١٤- بيات، فاضل مهدي، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣.
- ١٥- البيدر، رعد، الصدى السياسي للظواهر التاريخية في العلاقات العراقية الإيرانية، دار دجلة، عمان، ٢٠١٤.

- ١٦- التبريزي، ثقة الإسلام علي بن موسى بن محمد بن شفيع، مرآة الكتب، تحقيق: محمد علي الحائري، ٥ ج، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤١٤ هـ، ج ١،
- ١٧- التكريتي، سليم طه ، الصراع على الخليج العربي، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، ١٩٦٦.
- ١٨- جالودي، عليان، التحولات الفكرية في العالم الإسلامي: أعلام وكتب وحركات وأفكار من القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠١٤.
- ١٩- جرادات، وليد محمد ، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، دوحة، ط ١، ١٩٨٦.
- ٢٠- جمعة، بديع محمد ، الشاه عباس الكبير ٩٦٦-١٠٣٨/١٥٨٨-١٦٢٩، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠.
- ٢١- الجميل، سيار، تكوين العرب الحديث، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٩.
- ٢٢- الجميل، سيار، زعماء وأفندية الباشوات العثمانيون والنهضويون العرب البنية التاريخية للعراق الحديث (الموصل نموذجاً)، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩.
- ٢٣- جودة، جوده حسنين، هارون، علي أحمد، جغرافية الدول الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٩.
- ٢٤- الحاج، لويس، مشكلة المضايق والعلاقات الروسية والتركية، سلسلة الثقافة السياسية، منشورات دار المكشوف، بيروت، ط ١، ١٩٤٧.
- ٢٥- الحسن ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن عبد الله ، أثر العناصر الأجنبية في فكر بعض الشيعة الاثني عشرية، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠١٧.
- ٢٦- حسون، علي، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية المكتب الاسلامي، بيروت- دمشق، ط ٣، ١٩٩٤.
- ٢٧- حسين، أمين، شط العرب ووضعه التاريخي، دار الحرية للطباعة، بغداد. ١٩٨١.
- ٢٨- حقي، عبد المجيد اسماعيل، الوضع القانوني لإقليم عربستان في ظل القواعد الدولية، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٣.
- ٢٩- الحلو، علي نعمة ، المحمرة مدينة وإمارة عربية، مديرية الإعلام العامة، دائرة شؤون الخليج العربي، العراق، د.ت.
- ٣٠- الحلو، علي نعمة، الأحواز عربستان في أدوارها التاريخية، ٣ ج، دار البصري، بغداد، ط ١، ١٩٦٩، ج ٢.

- ٣١- خلف الله، شعبان ، الأمراض السارية التي تنتقل إلى الإنسان من الحيوانات ومنتجاتها (الأمراض) الأمراض البكتيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤.
- ٣٢- الدجيلي، حسن مجيد، إيران والعراق في خمسة قرون، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
- ٣٣- الراوي، جابر إبراهيم، الحدود الدولية ومشكلة الحدود الإيرانية العراقية، المطبعة الفنية الحديثة، بغداد، ١٩٧٠.
- ٣٤- الرفيعي، عبد الرحمن، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، ٤ ج، د.م، د.ت، ج ٤.
- ٣٥- رؤوف، عماد عبد السلام، الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في العهود المتأخرة ٦٥٦ - ١٣٣٧ / ١٢٥٨ - ١٩١٨، جامعة بغداد- كلية التربية الأولى، بغداد، ١٩٩٢.
- ٣٦- رؤوف، عماد عبد السلام، الموصل في العهد العثماني في فترة الحكم المحلي ١١٣٩- ١٢٤٩ / ١٧٢٦ - ١٨٣٤، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧٥.
- ٣٧- زهداني، سعيد زاهر، البهائية في ايران، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٦.
- ٣٨- الزهراني، موسى بن محمد آل هجاد، الدولة الصفوية الإثني عشرية النشأة والآثار وعوامل الانهيار، دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ٢٠١٦.
- ٣٩- الزوكة، محمد خميس، جغرافية العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠.
- ٤٠- سري الدي، عابدة العلي، الأحواز - عربستان في دائرة النسيان، بيسان، بيروت، ٢٠١٦.
- ٤١- الشافعي، عبد العزيز صالح المحمود ، عودة الصفويين، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٧.
- ٤٢- شاكر، محمود، مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا ايران، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق، ط٤، ١٩٨٦.
- ٤٣- شكري، محمد فؤاد ، الصراع بين البرجوازية الاقطاعية ١٧٨٩-١٨٤٨، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.
- ٤٤- شلبي، سعد شاكر، العصيمي ، الأشكال القانونية في حق تقرير مصير إقليم عربستان، زهران للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤.

- ٤٥- الشيبلي، كامل مصطفى، الطريقة الصوفية ورواسبها في العراق المعاصر دراسة مزجية لأصول الشبك والنحل الصوفية في شمال العراق، مكتبة النهضة، بغداد، ط١، ١٩٦٧.
- ٤٦- صالح، جلال الدين محمد، ولاية الفقيه وإشكالية السلطة السياسية في الفقه الشيعي: المنطلقات الفكرية، الأسس الاستراتيجية الآثار الأمنية، مكتبة الاقتصاد، الرياض، ٢٠١٥.
- ٤٧- صالح، زكي، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤ دراسة في التاريخ الدولي والتوسع الاستعماري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨.
- ٤٨- صالح، نجيب، تاريخ العرب السياسي ١٨٥٦-١٩٥٦، دار إقرأ، بيروت، ط١، ١٩٨٥.
- ٤٩- الصباغ، عباس، تاريخ العلاقات العثمانية - الإيرانية: الحرب والسلام بين العثمانيين والصفيين، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩.
- ٥٠- الصمانجي، عزيز قادر، التاريخ السياسي لتركمان العراق، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٩.
- ٥١- طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ٩٠٧-١١٤٨/١٥٠١-١٧٣٦، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.
- ٥٢- طلفاح، خير الله الأحواز عربية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٢، جزء ٢٧ قسم الثاني.
- ٥٣- عبد الباقي، أحمد، صدقي، عوني بكر، الهاشمي، عبد المطلب، جغرافية العراق والبلاد العربية، مطبعة النجاح بغداد، ١٩٤٧.
- ٥٤- عبد الرحمن، عبد الرحيم، الدولة العثمانية، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٦.
- ٥٥- عبد الطالب، ابراهيم، انهيار عرب المشرق، دار الزهران للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٨.
- ٥٦- عبد المنعم، صبحي، الشرق الإسلامي زمن المماليك والعثمانيين، العربي للنشر، القاهرة، د.ت.
- ٥٧- عبدالله، محمود، كشف الأحواز من الإنكليز تقرير عسكري حول عريستان (المنطقة رقم ١٣) تم جمعه من قبل القيادة الجوية في العراق، دار دجلة، عمان، ط١، ٢٠١٩.
- ٥٨- عز الدين، يوسف، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، دار البصري، بغداد، ١٩٦٧.
- ٥٩- العزاوي، محمد عبد الله، دراسات في تاريخ العلاقات الفرنسية الإيرانية في العصر الحديث دراسة وثائقية من واقع الأرشيفات الفرنسية في باريس، الدار الوطنية الجديدة للنشر، دمشق، ٢٠٠٨.

- ٦٠- العلوجي، عبد الكريم، إيران والعراق صراع حدود أم وجود، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧.
- ٦١- علي، علي شاكر، ولاية الموصل العثمانية في القرن السادس عشر دراسة سياسية - إدارية - اقتصادية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١١.
- ٦٢- عمر، عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (١٩٢٢-١٥١٦)، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
- ٦٣- عمر، يوسف حسن، سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية ١٨٣٩-١٩٠٩، دار نور للنشر، ساربروكن ألمانيا، ط٢، ٢٠١٦.
- ٦٤- عودة، جهاد، جمعة، علاء، الصراع الدولي حول إقليم الأحواز، كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠١٧.
- ٦٥- فارس، علي عبد الله، شركة الهند الشرقية البريطانية ودورها في تاريخ الخليج العربي (١٦٠٠-١٨٥٨)، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ط٢، ٢٠٠١.
- ٦٦- الفتح، عارف مرضي، الإيجاز في البصرة ونجد والحجاز ٦٢٢-١٩٦٥، ٢مج، الدار العربية للموسوعات، د.ت.
- ٦٧- الفقاري، ناصر، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد، ٣ج، د.م، ١٤١٤هـ، ج١.
- ٦٨- قاشا، سهيل، الموصل في القرن التاسع عشر دراسة سياسية ١٨٣٤-١٩٠٩، مكتبة التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٠.
- ٦٩- قاشا، سهيل، الموصل في العهد الجليلي ١١٣٩-١٢٥٠هـ / ١٧٢٦-١٨٣٤، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، مكتبة السائح، لبنان، ٢٠٠٨.
- ٧٠- قورشون، زكريا، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني (١٩١٤-١٧٤٥)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
- ٧١- الكاش، علي، الصوفية والصوفية خصائص وأهداف مشتركة، منشورات البرهان، بغداد، ٢٠١٤.
- ٧٢- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ١٣ج، مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ت، ج٨.
- ٧٣- الكرياسي، محمد صادق محمد، معجم الشعراء النازمين في الحسين، دائرة المعارف الحسينية، ١٩٩٩، ج٣.
- ٧٤- الكرياسي، محمد صادق محمد، نظرة المستشرقين والرحالة إلى الروضة الحسينية، إعداد: د. جليل عطية، بيت العلم للناشرين، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

- ٧٥- الكرياسي، محمد صادق، معجم المشاريع الحسينية- دائرة المعارف الحسينية، ٣، ج، المركز الحسيني للدراسات، لندن، ٢٠١٩، ٣.
- ٧٦- كوثراني، وجيه، الفقيه والسلطان جدلية الدين والسياسة في تجربتين تاريخيتين العثمانية والصفوية-القاجارية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط٤، ٢٠١٥.
- ٧٧- كولن، صالح، سلاطين الدولة العثمانية، دار النيل، القاهرة، ط١، ٢٠١٤.
- ٧٨- مجموعة باحثين، العرب وإيران مراجعة في التاريخ والسياسة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٠.
- ٧٩- مجموعة باحثين، العلاقات العربية الإيرانية، معهد البحوث والدراسات العربية، بيروت، ١٩٩٣.
- ٨٠- مجموعة مؤلفين، الإمارات الكردية في العصر الحديث، دار الفارابي للنش، بيروت، دار أراس للطباعة والنشر، أربيل، ط٢، ٢٠١٣.
- ٨١- مجموعة مؤلفين، العلاقات العربية الإيرانية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٩٣.
- ٨٢- محمد بن ناصر العبودي، زيارات في الاتحاد السوفييتي جمهورية أذربيجان، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٨٣- محمد، صالح خضر، الدبلوماسيون البريطانيون في العراق ١٨٣١-١٩١٤، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، د.ت.
- ٨٤- محمود، سيد محمود السيد ، تاريخ الدولة العثمانية (النشأة-الازدهار) وفق المصادر العثمانية المعاصرة والدراسات التركية الحديثة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.
- ٨٥- محمود، عمار عباس، القضية الكردية.. إشكالية بناء الدولة، دار الغربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦.
- ٨٦- مراد، خليل علي، العراق في العهد العثماني الثاني دراسة في الادارة العثمانية والحياة الاقتصادية ١٦٣٨-١٧٥٠، دار الرافدين، بيروت، ط١، ٢٠١٨.
- ٨٧- المصري، حسين مجيب، معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤.
- ٨٨- مصطفى، (أحمد عبد الرحيم) ، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٩٨٦.
- ٨٩- مصطفى، نادية محمود، العصر المملوكي: من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية (٩٢٣-١٢٥٨هـ / ١٥١٧-١٢٥٨)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦.

- ٩٠- مكاريوس، شاهين، تاريخ إيران، دار الافاق العربية، مصر، ٢٠٠٣.
- ٩١- مهدي علي السليمان، أنعام، حكم الشيخ خزعل في الأحواز، ١٨٩٧-١٩٢٥، مكتبة دار الكندي، بغداد، ٢٠٠٦.
- ٩٢- مؤنس، حسين، الشرق الاسلامي في العصر الحديث، مطبعة الحجازي، القاهرة، ١٩٣٨.
- ٩٣- النجار، جميل موسى، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩١.
- ٩٤- النجار، جميل موسى، العلاقات العثمانية الإيرانية وتطوراتها وتأثير العراق فيها وانعكاسها عليه ١٨٢٣-١٨٧٥، الرافدين، بيروت، دار عدنان، بغداد، ط١، ٢٠١٦.
- ٩٥- النجار، جميل موسى، النجف الأشرف حوادث ومشاهدات ومواقف سياسية، دار الرافدين، بيروت، دار عدنان، بغداد، ط١، ٢٠١٥.
- ٩٦- النجار، مصطفى عبد القادر، التاريخ السياسي لإمارة عريستان العربية ١٨٩٧-١٩٢٥، تقديم: أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، مصر، ١٩٧١.
- ٩٧- النجار، مصطفى عبد القادر، التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب دراسة وثائقية، تقديم: أحمد عزت عبد الكريم، مطبعة الموانئ العراقية، ١٩٧٤.
- ٩٨- النجار، مصطفى عبد القادر، إمارة المحمرة دراسة لتاريخها العربي ١٨١٢-١٩٢٥، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١.
- ٩٩- النجار، مصطفى عبد القادر، إمارة المحمرة دراسة لتاريخها العربي ١٨١٢-١٩٢٥، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١.
- ١٠٠- النجار، مصطفى، الراوي، فؤاد، عريستان، وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الإعلام الداخلي العامة، العراق، ١٩٨١.
- ١٠١- نعيمة، يوسف، صالح، محمد حبيب، تاريخ العرب الحديث والمعاصر (مصر والسودان)، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٧-٢٠٠٨.
- ١٠٢- نوار، عبد العزيز سليمان، داود باشا والي بغداد، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٦٨.
- ١٠٣- نوار، عبد العزيز سليمان، داوود باشا والي بغداد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨.
- ١٠٤- نورس، علاء كاظم، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١م، منشورات وزارة الإعلام، العراق، ١٩٧٥.

- ١٠٥- هارون، علي أحمد، أسس الجغرافيا السياسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨.
- ١٠٦- هروتي، سعدي عثمان، كوردستان والإمبراطورية العثمانية دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كوردستان ١٥١٤-١٨٥١، مطبعة خاني، دهوك، ٢٠٠٨.
- ١٠٧- هروتي، سعدي عثمان، دراسات أكاديمية في كردستان الحديث، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢.
- ١٠٨- هريدي، عبد اللطيف، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٩٨٧.
- ١٠٩- الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ٦ أجزاء، انتشارات الشريف الرضي، قم، ط١، ١٣٧٧-١٤١٢، ج١.
- ١١٠- وصفي، محمد رضا، التفاعل بين الإسلام والمسيحية في إيران: العهد الصفوي (١٧٢٢-١٥٠١)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٥.
- ١١١- ياسين، باقر، تاريخ العنف الدموي في العراق الوقائع -الدوافع- الحلول خمسة آلاف سنة من العنف المتواصل، دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٩.
- ١١٢- ياغي، إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٦.
- ١١٣- ياغي، إسماعيل أحمد، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٧.

المراجع المعربة:

- ١- اشتياني، (عباس إقبال)، تاريخ إيران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥هـ / ٨٢٠ - ١٣٣٤هـ / ١٩٢٥)، ترجمة: محمد علاء الدين منصور، راجعه: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
- ٢- أمجان، فريدون، سليمان القانوني سلطان الأرضين والبحرين، حقائق في ضوء المصادر، ترجمة: جمال فاروق أحمد جمال، دار النيل، القاهرة، ٢٠١٤.
- ٣- انطونيوس، جورج، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة: ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، تقديم: نبيه فارس، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.
- ٤- أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان ومراجعة الدكتور محمود الأنصاري، المجلد الثاني، إستانبول، ١٩٩٠.

- ٥- بستكي، محمد أعظم بني عباسيان، بر فارس أحداث ووقائع ومشايخ بستك وخنج ولنجة، ترجمة: محمد وصفي أبو مغلي، إعداد، محمد ابراهيم بشمي، مؤسسة الأيام للصحافة والنشر، بحرین، ١٩٩٣.
- ٦- تومانوفيتش، نتاليا نيكولايفنا، الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ترجمة: سمير نجم الدين سطات، تقديم ومراجعة: قسم الدراسات والنشر والشؤون الثقافية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ط١، ٢٠٠٦.
- ٧- جوان، إدوار، مصر في القرن التاسع عشر سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم باشا والمغفور سليمان باشا الفرنسي من الوجوه الحربية والقصصية والسياسية، ترجمة محمد مسعود، وزارة الداخلية، القاهرة، ط١، ١٩٢١.
- ٨- خليل، إينالجبك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد م الأرنؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢.
- ٩- سلوت، ب. ج، عرب الخليج ١٦٠٢-١٧٨٤، ترجمة: عايدة خوري، مراجعة: محمد مرسي عبد الله، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط١، ١٩٩٣.
- ١٠- السوربوني، محمد صبري، الإمبراطورية المصرية في عهد محمد علي والمسألة الشرقية (١٨١١-١٨٤٩)، تقديم أحمد زكريا الشلق، ترجمة: ناجي رمضان عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢، ج١.
- ١١- شعباني، رضا، المنتخب من تاريخ ايران، تعريب: د. سعد رستم، مجموعة الهدى للنشر والتوزيع، طهران، ٢٠١٥.
- ١٢- عامر، محمد علي، المحمرة والوحدة العثمانية، إعداد: أحمد أمين غزي، ترجمة: محمد صالح، الهلال، مصر، ٢٠١٥.
- ١٣- فاسيليف، اليكسي، تاريخ العربية السعودية من القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط٤، ٢٠١٣.
- ١٤- فلور، ريمون، مصر منذ من قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر، ترجمة: سيد أحمد علي الناصري، تقديم ومراجعة: يونان لبيب رزق، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠.
- ١٥- قايا، ديلك، كربلاء في الأرشيف العثماني دراسة وثائقية (١٨٤٠-١٨٧٦م)، إشراف وتقديم: زكريا قورشون، ترجمة: حازم سعيد منتصر، مصطفى زهران، الدار العربية للموسوعات، بيروت، د.ت.
- ١٦- كاتوزيان، هوما، الفرس إيران في العصور القديمة والوسطى والحديثة، ترجمة احمد حسن المعيني، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١٤.

- ١٧- كول، خوان، مومن، موجان، العثمانيون وشيعة العراق كربلاء أنموذجاً ١٨٤٣، ترجمة: نهار محمد نوري، دار الوراق للنشر، بغداد، ٢٠١٦.
- ١٨- لازاريف، م.س، المسألة الكردية ١٩١٧-١٩٢٣، ترجمة: عبيد حاجي، دار الفارابي، بيروت، دار أراس للطباعة، أربيل، ط٢، ٢٠١٣.
- ١٩- ليرخ، ب، دراسات حول الأكراد وأسلافهم الخالدين الشماليين، ترجمة: عبيد حاجي، مكتبة خاني، حلب، ط١، ١٩٩٤.
- ٢٠- مايلز، س.ب، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة: محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط٢، ٢٠١٦.
- ٢١- مزاي، ميشيل، أصول الصوفييين تشيع وتصوف وغلو، ترجمة: نادر ديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٨.
- ٢٢- موستراس، س، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحات، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢.
- ٢٣- واتس، شلدون الأوبئة والتاريخ المرض والقوة والإمبريالية، ترجمة وتقديم: أحمد محمود عبد الجواد، مراجعة: عماد صبحي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠.
- ٢٤- ويلسون، ارنولد، تاريخ الخليج، تقديم: الرايت أوتوربول آي إس أميري، ترجمة: محمد أمين عبد الله، وزارة التراث والعمارة، سلطنة عمان، ط٤، ٢٠١٦.

الرسائل والأطاريح

- ٢٥- الأسدي، عبد الإله بدر علي، العلاقات العراقية - الإيرانية ١٩٢٠ - ١٩٣٧ - دراسة تاريخية سياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٣.
- ٢٦- البديري، عبد الله لفقة حالف، الصراع السياسي على العرش في بلاد فارس وتولي اغا محمد شاه السلطة ١٧٧٩-١٧٩٧، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعه بغداد، ٢٠١١.
- ٢٧- بغزو، حليلة، الامتيازات الأوروبية في المنطقة العربية سكة حديد بغداد أنموذجاً ١٨٧١ - ١٩١٤، إشراف: بلقاسم ميسوم، مذكرة ماستر في التاريخ المعاصر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠١٨-٢٠١٩.
- ٢٨- عبد الكريم، نيزك سعيد، الإدارة العثمانية في إيالة بغداد (١٨٣١-١٨٦٩) إشراف: د. جميل موسى النجار، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية التربية، جامعة المستنصرية، ٢٠١٢.

٢٩- عساكرة، عباس، القضية الأحوازية، إشراف: عباس شفيق سعيد، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة تونس المنار، ٢٠٠٣-٢٠٠٤.

٣٠- العطار، عماد عبد السلام رؤوف، الحياة الاجتماعية في العراق إبان عهد المماليك ١٧٤٩-١٨٣١، المشرف: أ.د. السيد رجب حراز، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في قسم التاريخ، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٧٦.

٣١- العلي، نورة عبد الرزاق، السلطان سليمان القانوني (حياته، حروبه، إدارته)، إشراف: كاميليا أبو جبل، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ الدولة العثمانية، جامعة دمشق، ٢٠١١.

٣٢- العوادي، بركات الزهراء محمد جابر، الصراع على السلطة في إيران (١٨٤٨-١٧٩٦) إشراف: كريم مطر حمزة الزبيدي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، ٢٠١٥.

٣٣- المحمدي، آمال عمر خميس عبيد، النشاط الملاحي البريطاني في أنهار العراق (١٨٣١-١٩١٤)، إشراف: جمال هاشم أحمد الذويب، وزارة التعليم والبحث العالي، كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم التاريخ، جامعة الأنبار، العراق، ٢٠١٦.

٣٤- مفتي، حفيظة، بوقرة، سعيده، العلاقات العثمانية-الصفوية خلال القرن ١٠/١٦، إشراف: د. نادية طرشون، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الدكتور يحيى فارس كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المدينة، ٢٠١٥.

المجلات

- ١-مجلة آداب البصرة.
- ٢-مجلة آداب الرافدين.
- ٣-مجلة آداب الكوفة.
- ٤-مجلة آفاق عربية.
- ٥-مجلة الباحث.
- ٦-مجلة التراث العلمي.
- ٧-مجلة الخليج العربي.
- ٨-مجلة السبط.
- ٩-مجلة العلوم الانسانية- كلية التربية صفى الدين الحلي.
- ١٠-مجلة العلوم الانسانية كلية التربية، جامعة بابل.

- ١١-مجلة المؤرخ العربي
- ١٢-مجلة المورد.
- ١٣-مجلة تراث كربلاء.
- ١٤-مجلة جامعة كربلاء العلمية.
- ١٥-مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية.
- ١٦-مجلة دراسات إيرانية، جامعة البصرة.
- ١٧-مجلة دراسات تاريخية.
- ١٨-مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، قطر
- ١٩-مجلة كلية التربية الأساسية.
- ٢٠-مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة المستنصرية.
- ٢١-مجلة كلية التربية للبنات.
- ٢٢-مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد.

باللغة الفارسية

- ١- پژوهشنامه‌ی انجمن ایرانی.
- ٢- مجله وحید.
- ٣- مطالعات تاریخ فرهنگي.

الموسوعات

- ١- الجاف، حسن كريم، موسوعة تاريخ إيران السياسي من بداية الدولة الصفوية إلى نهاية الدولة القاجارية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.
- ٢- الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، ١٢ مجلد، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٧، مجلد ٨.
- ٣- الزيدي، مفيد، موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر العثماني (١٥١٦هـ/١٩١٦) دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩.
- ٤- سوسة، أحمد، أطلس بغداد، مديرية العامة للمساحة، بغداد، ١٩٥٢.
- ٥- شامي، يحيى، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٣.
- ٦- العامري، ثامر عبد الحسين، موسوعة العشائر العراقية، ٩ ج، مكتبة الصفا والمروي، لندن، ١٩٩١.
- ٧- العزاوي، عباس، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، ٨ مج، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٤.

٨- العزاوي، عباس، موسوعة عشائر العراق، ٤ ج، دار العربية للموسوعات، بيروت- العراق، ٢٠٠٥، ج ٤.

٩- كيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، ٧ ج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩، ج ١.

١٠- مجموعة مؤلفين، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، ١٧ مج، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠، مج ٤.

١١- مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية الميسرة، ٧ مج، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٩، مج ٢.

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية:

باللغة الإنكليزية:

1. Axworthy, Michael, A history of Iran : empire of the mind, Basic book, United States of America.,2010.
2. Mortimer, Sir Henry, Durand, Nadir Shah, T. And A. Constable, Printers To His Majesty At The Edinburgh University Press, London, 1908.
3. R. Perry, John, Makers Of The Muslim World Karim Khan Zand Exford, England, 2006.
4. Ramazani, R. K., The Persian Gulf Iran's Role, University of Virgian, 1972.
5. Ruffner, Todd Walter, Identity and Border Relations between Iraq and Iran in the 20th Century: The Cases of Khuzestan and Shatt al-Arab, Presented in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree Master of Arts in the Graduate School of The Ohio State University,2010.
6. SYKES, P. M., C.M.G., C.Le.,A History Of Persia, 2 Vol., Macmillan And Co., Limited St. Martin's Street, London,1915,Vol 2.
7. von Freygang , Frederika, Wilhelm von Freygang, Letters from the Caucasus and Georgia: To which are Added, the Account of a Journey Into Persia in 1812, and an Abridged History of Persia Since the Time of Nadir Shah, Harvard University,1823.
8. William, Jones, The History Of The Life Of Nader Shah, King Of Persia. Extracted From An Eastern Manuscript, With An Introduction ... And An Appendix, William Jones, J. Richardson, London, 1773.

باللغة الفارسية

١- آروی، بیتر، تاریخ معاصر ایران از تأسیس تا انقراض سلسله قاجاریه، ترجمه: محمد رفیعی مهر آبادی، انتشارات عطایی، تهران، ١٣٧٣.

- ٢- باکروان، أمينة، اغا محمد خان قاجار ، ترجمه : جهانگیر أفکاری ، مؤسسـه انتشارات فرانکلین ، ١٣٤٨.
- ٣- سپهر، محمد تقی لسان الملك، ناسخ التواریخ، باهتمام: جمشید کیانفر، ٣ج، ناشر: انتشارات اساطیر، میدان فردوسی، چاپ: ١٣٧٧، ج ١.
- ٤- سمنانی، پناهی ، فتحعلیشاه قاجار سقوط در کام استعمار، انتشارات نمونه، تهران، ١٣٧٦.
- ٥- سیوری، راجر ، ایران عصر صفوی، ترجمه ی: کامبیز عزیزی، نشر مرکز ، تهران، ١٣٨٩.
- ٦- شمیم، علي اصغر، ایران در دوره سلطنت قاجار، بهزاد، تهران، ١٣٨٧.
- ٧- طلوعی، محمود، هفت پادشاه: ناگفته‌ها از زندگی و روزگار سلاطین قاجار، چاپخانه مهارت، جلد اول، تهران ١٣٧٧هـ.
- ٨- میرزا، جعفر خان مشیر الدولة، رساله تحقیقات سرحدیه، باهتمام محمد مشیری، انتشارات بنیاد فرهنگ ایران، ١٣٥٠هـ.

المواقع الإلكترونية

- 1- J. R.Perry, ĀDEL SHAH AFSĀR,” Encyclopedia Iranica, <http://www.iranicaonline.org/articles/adel-shah-afsar-the-royal-title-of-ali-qoli-khan-r>
- 2- خريطة كارلتون لبلاد فارس والمنطقة العربية، مكتبة قطر الوطنية <https://www.qdl.qa/archive/qnlhc/12887>

Abstract

This study deals with the Ottoman-Persian rivalry over Iraq 1747-1848 in light of the strategic interests of each of them and the impact of this competition on the relations between the two parties by tracing a series of historical situations that highlight this competition in various forms. Iraq has become an arena for conflict, and many wars for control have occurred on its soil. He must invest his wealth for the benefit of the conflicting countries as well as a state of relative calm and stability through the conclusion of several agreements and treaties that have somewhat contributed to the organization of relations between the two states. However, Iraq bore the consequences of this competition and carried the legacy of this conflict as each of the two countries sought to achieve gains for the other state, so they deducted part of it. Its lands and waters

European countries felt that the Ottoman-Persian rivalry over Iraq had become a real threat because the increasing ambitions to exercise a regional role in the region for each of the two countries posed a real threat to their strategic interests as it represented the road to India and the important outlet to reach the Arabian Gulf in light of the efforts made by the competing European countries for the sake of Controlling it, each country rushed to strike the interests of the other state in Iraq

At the same time, the weakness was running in the bodies of both the Ottoman and Persian states, so European countries were able to exert pressure on the Ottoman and Persian states by obliging them to conclude the Second Erzurum Treaty of 1847, which was ratified after exchanging copies between the two parties in 1848 to prevent the outbreak of war between them and to draw the borders between the two states

**Syrian Arab Republic
Damascus University
Faculty of Arts and Humanities
Department of History**



Ottoman-Persian rivalry over Iraq (1747-1848)

**A research project prepared for a PhD in modern and
contemporary Arab history Studies**

**Done by:
Samah Ahmad Mohrez**

**Supervision:
Professor. Dr. Abdul Moneim Al Ahmad**

**Co-Supervisor Dr:
Assistant Professor Dr. Wadah Novell**

**Academic year
1442 AH / 2021 AD**